محمّد بن عميرة

دور زناتة في الحركة المذهبيّة بالمغرب الإسلامي

المؤسسة الوطنية للكتاب

محمد بن عميرة

دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي

المؤسسة الوطنية للكتاب
3 ، شارع زيروت يوسف
الجزائر

رقم النشر 81/1042
المؤسسة الوطنية للكتاب
الجزائر ـ 1984

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أسباب اختيار الموضوع :

لاحظت أثناء المرحلة الجامعية من دراستي نقصا كبيرا في ميدان التأليف التاريخي الخاص بالمغرب العربي بصفة عامة ، كما لاحظت أن أغلب المؤلفات التي اهتمت بهذا الجانب الفكري ، كانت باللغات الأجنبية ، وخاصة الفرنسية منها ، بحكم الظروف التاريخية ، ومما لفت انتباهي ، عند اطلاعي على بعضها ، أنها لم تلتزم دائما بالنزاهة التي يتطلبها البحث العلمي ، وبالأخص التي تطرقت منها الى دراسة تاريخ المغرب الإسلامي ، ومن هنا نبعت فكرة اختياري للتخصص في دراسة تاريخ المغرب الإسلامي ، عسى أن أتمكن من المساهمة في اضافة لبنة في بناء المكتبة التاريخية المغربية العربية باللغة الوطنية ، مع محاولة الالتزام بالنزاهة التي يتطلبها البحث التاريخي العلمي بقدر الإمكان .

ونظرا للدور الكبير الذي لعبته القبائل في الأحداث السياسية التي كانت بلاد المغرب مسرحا لها ، بعد انتشار الإسلام فيها ، والتي كانت العصبية القبلية تعتبر أهم محرك لها ، رأيت أن فهم تاريخ هذه المرحلة يحتاج الى دراسة تاريخ أهم القبائل ، فوقع اختياري على زناتة وقررت أن أدرس : «دورها في الحركات المذهبية التي ظهرت بالمغرب الإسلامي في الفترة ما بين 122 ـ 440هـ/739 ـ 1049م » لأن سنة 122هـ/739 ـ740م تمثل قيام ثورة ميسرة ، وهي أول حركة مذهبية ظهرت ببلاد المغرب ، بينما تمثل سنة 440هـ/1048 ـ 1049م تاريخ القطيعة المذهبية الكبرى بين الخلافة الفاطمية الشيعية في مصر وبين بني زيري الذين كانوا يمثلونها بالمغرب،وبذلك وضع حد للمذهب الشيعي في هذا البلد ، وانتهى به نشاط الحركات المذهبية .

الصعوبات التي واجهتني :

لقد واجهتني أثناء قيامي بالبحث ، عدة صعوبات منها : صعوبة تحديد الاطار الجغرافي لزناتة ، لأن فروعها الكثيرة كانت منتشرة في كل أنحاء المغرب ، ولم تستقر في أماكن معينة ، بل يغلب عليها طابع التنقل من مكان الى آخر ، على مستوى المغرب العربي ، كما أن المدة الزمنية التي حدد الموضوع في اطارها كانت طويلة . تزيد عن ثلاثة قرون ، وكان لا بد لي من دراسة كل الأحداث ذات الصبغة المذهبية بعناية كبيرة والقاء الضوء على كل ما له علاقة بزناتة ، وهذا عمل يحتاج الى كثير من الصبر والمثابرة ، زيادة على انقطاعي عن العمل لمدة سنتين ، لتأدية واجب الخدمة الوطنية ، أثر بعض الشيء على عزيمتي ، اذ كان من الصعب علي أن أستأنف عملي بنفس الإرادة التي كانت لي من قبل ، ولولا خوفي على ضياع المجهودات السابقة التي كنت بذلتها لمدة سنتين من العمل الجاد المتواصل ، وكانت حصيلتها هي جمع ما يقرب من تسعين بالمائة من المادة التي يحتاجها الموضوع ، من جهة . وتشجيع الأستاذ المشرف ، خاصة في المدة الأخيرة . من جهة أخرى ، لانقطعت عن العمل ، غير أن هذين العاملين جعلاني أستمر في عملي ، لكن ببطء كبير ، على حساب وقتي من الراحة بعد العمل في مهنة التعليم الشاقة .

الخطة المتبعة في البحث :

وكانت الخطة التي اتبعتها في هذا البحث هي تقسيمه الى ستة فصول :

الفصل الأول : وهو عبارة عن مدخل تطرقت فيه الى «زناتة منذ ظهورها على مسرح التاريخ الى قيام حركة الخوارج بالمغرب الإسلامي » وتعرضت خاصة الى بحث معنى اسمها ونسبها وصلتها بالبتر وأهم فروعها ومواقعها الجغرافية وخصائصها العامة التي تشترك فيها مع بقية البدو ، والمميزات الخاصة بها ، ثم ظهورها ، وأوضاع المغرب الإسلامي السياسية قبيل الفتح الإسلامي وموقفها من المسلمين أثناء فتحهم له .

وفي الفصل الثاني : بحثت «دور زناتة في حركة الخوارج الصفرية» وتناولت تطور حركة الخوارج بالمشرق الإسلامي وأهم آرائهم ثم نشاطهم بعد « محنة » التقسيم التي تعرضوا لها وانتقال الصفرية والأباضية منهم الى بلاد المغرب ، والظروف السياسية التي تم فيها هذا الانتقال والتي كان يسيطر عليها طابع العصبية القبلية ونشاط دعاتهم ، وقيام ثورات الخوارج الصفرية بقيادة ميسرة المطغري وخالد بن حميد الزناتي فعكاشة وعبد الواحد ، ثم نشاط الصفرية في عهد الإمارة الفهرية بقيادة عاصم بن جميل الورفجومي في منطقة

الزاب ، وعيسى بن يزيد الأسود المكناسي بسجلماسة ، وأبي قرة المغيلي أو اليفرني بنواحي تلمسان

أما الفصل الثالث : فعالجت فيه « دور زناتة في الحركة الاباضية » قبل قيام الدولة الرستمية ، ومنذ قيامها ، ويبدأ بظهورها في المغرب الإسلامي ، فحركة أبي الخطاب ثم حركة أبي حاتم بعده ، وما تبع ذلك من تأسيس الدولة الرستمية ، وحركة المعارضة النكارية وعلاقة بني رستم بالواصلية ، والاضطرابات التي عرفتها الدولة الرستمية ، وأخيرا دور زناتة في العلاقات الرستمية الإدريسية .

والفصل الرابع : مخصص لدراسة موقف «زناتة من الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها حتى قيام حركة أبي يزيد » ، وتعرضت فيه لنشأة الاسماعيلية وانتقالها الى المغرب الإسلامي ، ثم الى قيام الدولة الفاطمية ، وموقف زناتة منها حتى بداية عهد القائم ، فبداية التدخل الأندلسي في المغرب الإسلامي .

وكان الفصل الخامس : وعنوانه «زناتة والخلافة الفاطمية منذ قيام ثورة أبي يزيد الى رحيل المعز لدين الله الى مصر» ، عبارة عن دراسة لقيام حركة أبي يزيد ولأهم المراحل التي مرت بها ، ثم مصيرها بعد مقتل زعيمها وموقف مغراوة المنتشرة في المناطق الغربية منها ، وعلاقة زناتة بالفاطميين بعد حركة أبي يزيد الى رحيل الخليفة المعز الى مصر وبداية النزاع بين زناتة وصنهاجة .

أما الفصل السادس والأخير : فيتناول تاريخ «زناتة وصنهاجة منذ تولية بلكين على بلاد المغرب الى حادث القطيعة المذهبية» ، وبحثت فيه : تولية بلكين بن زيري وحروبه ضد زناتة ثم نشاط زناتة في عهد المنصور بن بلكين وعودة النزاع بينهما وبين صنهاجة ، وانتقاله الى المناطق الشرقية من بلاد المغرب الإسلامي واستمراره حتى القطيعة الكبرى ، والزحف الهلالي على المغرب الإسلامي ، وأخيرا أسباب النزاع الزناتي ـ الصنهاجي .

وينتهي كل فصل من الفصول الستة بشبه خاتمة تتضمن بعض النتائج التي توصلت اليها فيه . وأنهيت البحث كله بخاتمة ، هي عبارة عن تلخيص وجيز لبعض النتائج التي توصلت اليها .

منهج البحث :

ولقد اعتمدت في انجاز هذا العمل على استخدام نصوص المصادر الأساسية القديمة التي تيسر لي جمعها فناقشت كل ما رأيت أنه يستحق الشرح والتفسير منها وقارنتها ببعضها البعض محاولا ، من وراء كل ذلك ، الوصول الى استنتاجات وأفكار جديدة . وقد

استعنت بالنتائج التي توصل اليها الباحثون في تاريخ المغرب الإسلامي قبلي في اثراء الموضوع .

نقد المصادر :

ومن المصادر المستخدمة في هذا البحث : ابن خلدون (عبد الرحمن) المتوفى سنة 750 هـ / 1349 م ، في «كتاب العبر» ، وقد استعملت الجزء الأخير منه الذي صححه وطبعه البارون دوسلان في جزئين بعنوان «تاريخ الدول الإسلامية بالمغرب» ، بالإضافة الى طبعة بيروت التي تشمل كل الكتاب لكن أخطاءها كثيرة ، على عكس الأولى التي لم تتعرض لاحداث كثيرة لها علاقة بموضوعي في حين ليس بها أخطاء مثل الثانية ، ويمكن اعتبار كتاب العبر أول مصدر اعتمدت عليه في بحث هذا الموضوع ، يليه في الأهمية كتاب « البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب » لابن عذاري المراكشي المتوفى سنة 712 هـ/312م ، فكتاب «الكامل في التاريخ» لابن الأثير الجزري المتوفي سنة 630هـ/1234م)، وتعود أهمية هذه المصادر الثلاثة الى كثرة ما أفادت به الموضوع بالنسبة لغيرها رغم ما يؤخذ عليها من غموض أو عدم الدقة أو تناقض للأخبار التي قدمتها في بعض الأحيان .

وهناك مصادر أخرى ترجع أهميتها الى كونها عاصرت الأحداث التي سجلت لنا أخبارها ، أو أنها كانت قريبة من عصرها ، ومنها كتاب «فتوح افريقية والأندلس» لعبد الرحمن بن عبد الحكم المتوفى (سنة 214 هـ / 830 م) الذي اعتمدت عليه في بعض أخبار الكاهنة الزناتية ومقاومتها للفتح الإسلامي ، وفي بداية نشاط الاباضيين بمنطقة طرابلس في عهد عبد الرحمن بن حبيب وبعض مساهمات زناتة في ذلك ، وكتاب «تاريخ ابن الصغير» الذي نشره موتلينسكي في المؤتمر الرابع عشر للمستشرقين الذي عقد بالجزائر سنة 1905 ، وقد انتهى ابن الصغير من تحرير كتابه حوالي سنة 290 هـ / 902 ـ 903 م ، وهو هام من حيث أنه عاصر أواخر أئمة الدولة الرستمية فسجل بعض ما رآه وما سمعه من الاباضيين عن دولتهم ، كما أن ابن الصغير لم يكن اباضيا فكانت له وجهة نظره الخاصة التي تختلف عن وجهة نظر الاباضيين ثم انه أرخ لبعض الأحداث التي سكت عنها المؤرخون الاباضيون أو أشاروا اليها فقط حتى يحافظوا على سمعة أئمتهم وشرف مذهبهم (1) ، ومن بين هؤلاء المؤرخين الاباضيين أبو زكرياء يحيي المتوفي حوالي سنة

---

(1) MOTYLINSKI (A.) DE (C.) : *Chronique d'Ibn-Saghir sur les imams rostémides de Tahert.* p p. 4-5.

500 هـ / 1006 ـ 1007 م وله «كتاب السيرة في أخبار الأئمة» الذي قام بترجمته الى الفرنسية «ماسكوري» وقد اعتمدت على مخطوط خاص منه ، ومن بينهم أيضا الدرجيني أحمد المتوفي حوالي سنة 670 هـ / 1271 ـ 1272 م وله «كتاب طبقات المشايخ» وقد استخدمت مخطوطا خاصا له بالإضافة الى الكتاب المطبوع ، ومن بينهم البرادي ، صاحب «كتاب الجواهر» . ويلاحظ آن هذه المصادر وغيرها من المصادر الاباضية لا تختلف فيما بينها ، حتى ليخيل لمن يطلع عليها أنه قرأ كتابا واحدا من عدة نسخ سقطت معلومات قليلة من بعضها وبقيت في بعضها الآخر ، مع العلم أنها لم تتعرض الا قليلا للدور الذي لعبته زناتة في الحركة الاباضية ، مثلها في ذلك مثل ابن الصغير .

ومن المصادر المعاصرة أو القريبة من عصر الأحداث التي أرخت لها القاضي النعمان بن محمد الذي عاش في النصف الأول من القرن الرابع الهجري (363 هـ / 973 ـ 974 م) وله كتاب «رسالة افتتاح الدعوة» التي تناول فيها قيام الدولة الفاطمية بالتفصيل وتعرض لأول احتكاك وقع بينها وبين زناتة ، وابن حيان المتوفي سنة 469 هـ / 1076 م وله كتاب «المقتبس في أخبار بلد الأندلس» الذي تحدث فيه عن وقوف زناتة الى جانب جيش الخليفة الأندلسي الحكم ضد حسن بن كنون الإدريسي ، والبكري (أبوعبيد) المتوفي سنة 487 هـ / 1094 م الذي ترك لنا كتاب «المسالك والممالك» ونشر البارون دوسلان الجزء الخاص بالمغرب منه تحت عنوان «المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب» وهو كتاب جغرافي لكنه كثيرا ما يبين مواقع القبائل ، ومن بينها زناتة بالنسبة للأماكن التي يصفها ، وفي نفس الوقت يسجل بعض الأخبار التاريخية المفيدة ، كما أن اليعقوبي المتوفي سنة 284 هـ / 897 م ، والذي تجول في المغرب في عهد الإمام الرستمي أبي اليقظان (حوالي سنة 270 هـ / 883 ـ 884 م) سجل ملاحظاته عن الأماكن التي مر بها في كتابه «البلدان» وبين فيه التوزيع الجغرافي لزناتة آنذاك ، بشرق وغرب تاهرت ، واشار الى المذاهب التي كانت عليها بعض مجموعاتها لكن لم يتعرض دائما الى القوة السياسية التي كانت تحكمها ، وقد اعتمدت على هذين المصدرين الأخيرين لتعريف الأماكن الجغرافية التي وردت في البحث كما اعتمدت في هذا الموضوع كذلك على «رحلة التجاني» لأبي محمد عبد الله التجاني المتوفي ما بين 706 ـ 708هـ/1306 ـ 1309م، بالاضافة الى بعض الأخبار عن زناتة التي كانت بافريقية وطرابلس ، وعلى «معجم البلدان» وهو عبارة عن قاموس جغرافي لياقوت الحموي المتوفي سنة 626 هـ / 1229 م ، وعلى «صورة الأرض» لابن حوقل الذي عاش في القرن الرابع الهجري (العاشر ميلادي) ، و«كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» للإدريسي المتوفي سنة 560 هـ / 1160 م ،

وقد اعتمدت على القسم الخاص منه بالمغرب الذي صححه ونشره هنري بيريس تحت عنوان « وصف افريقية الشمالية » ، بالإضافة الى الملحق الجغرافي الموجود في كتاب « العبر» لابن خلدون الذي ترجمه البارون دوسلان الى الفرنسية ، وهو خاص بتعريف الأماكن التي وردت في كتاب ابن خلدون . وقد استعنت أيضا « بقاموس التراجم التاريخية والجغرافية للعصور القديمة والمؤسسات» لصاحبيه دوزوبري وباشلي في التعريف ببعض الأشخاص الأوربيين الذين لهم علاقة بالموضوع وببعض الأماكن ، واستخدمت بكثرة دائرة المعارف الإسلامية بطبعتيها الأولى والحديثة(وهي غير كاملة) وترجمتها العربية «وهي غير كاملة أيضا) في التعريف ببعض الأشخاص والأماكن .

ومن المصادر التي أفادت البحث ببعض المعلومات الهامة : كتاب « رياض النفوس » لأبي بكرعبد الله المالكي الذي عاش في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) والذي سجل فيه بعض الأخبارعن الكاهنة وعبد الواحد الصفري ، وكتاب « نهاية الأرب» للنويري المتوفى سنة 733 هـ / 1133 م والذي ترجم القسم الخاص بالمغرب منه الى الفرنسية دوسلان وجعله ملحقا لترجمة الجزء الأول من كتاب العبر بعنوان « فتح المسلمين لافريقيا الشمالية وتاريخ هذا البلدفي عهد الأمراء العرب» وتطرق فيه الى مقاومة الكاهنة لحسان بن النعمان ونشاط موسى بن نصير ضد البربر ويتفق في رواياته ، عموما ، مع ابن الأثير ومع الرقيق القيرواني «في تاريخ إفريقية والمغرب الذي تناول نفس الموضوع ، كما يتفق مع ابن عذاري في رد سبب هزيمة أصحاب أبي الطاب الاباضيين الى تخلي زناتة عنهم ، وتطرق ابن أبي زرع الفاسي في كتابه «روض القرطاس» الى علاقة زناتة بالأدارسة والى أخبار من حكم مدينة فاس من الزناتيين وكثيرا ما تتفق معلوماته مع معلومات ابن الخطيب ، (لسان الدين) المتوفي سنة 776هـ/1375م ، التي تركها في كتاب « أعمال الاعلام» ، أما ابن حماد الذي عاش في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) فقد ترك لنا معلومات تتعلق بزناتة وعلاقتها بالفاطميين منذ قيام دولتهم حتى قضائهم على ثورة أبي يزيد في كتابه « أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم » ، كما ترك لنا صاحب كتاب « مفاخر البربر» وهو مؤلف مجهول توفي سنة 712 هـ / 1312 ـ 1313 م بعض أخبار الكاهنة وزناتة في المغرب الأقصى ، وكثيرا ما يتفق فيها مع ابن خلدون .

وقد استعنت أيضا بالآراء والنتائج التي توصل اليها الباحثون المحدثون ، أثناء قيامهم بدراسات تاريخية مختلفة ، لها علاقة ، من بعيد أومن قريب ، بزناتة خاصة منهم المستشرقين أمثال . 1 Golvin L في كتابه « المغرب الأوسط في عهد الزيريين»
(Le Maghrib central à l'époque des Zirides)
وقد أفاد هذا البحث في التعرف على خصائص البدو بالمغرب الإسلامي ، وبالتالي على

خصائص زناتة ، وكذلك برأيه حول أسباب النزاع الزناتي الصنهاجي ، ويؤخذ على هذا الباحث تسليمه ، دون أن يطرح المشكل ، على أن المعز بن باديس كان في نزاع مع زناتة التي كانت مستقرة بالمغرب الأقصى ، وأن الحماديين ، بالمغرب الأوسط ، وقفوا موقف المتفرّج من ذلك النزاع ، غير أن المصادر ، عندما تناولت موضوع النزاع بين المعز وزناتة بينت بوضوح أن الأمر كان يتعلق بزناتة المغرب الأدنى وشرق المغرب الأوسط لا زناتة المغرب الأقصى ؛ و Gautier E.-F. في كتابه «ماضي شمال افريقيا» (Le Passé de l'Afrique du Nord) والذي اهتم فيه بزناتة وأفاد هذا البحث خاصة في دراسة تاريخ زناتة في الفترة التي سبقت الفتح الإسلامي لبلاد المغرب وفي رأيه الخاص بأسباب النزاع الزناتي الصنهاجي ، ويلاحظ أنه أطلق اسم زناتة على قبائل أخرى ، غير التي عرفت بهذا الإسم عند المؤرخين المسلمين مثل «هوارة ولواتة والبدو الموجودين جنوب تونس وضواحي الأوراس والحضنة» (1) كما يلاحظ عليه كثير من التعصب والتطرف في أحكامه وآرائه مثله في ذلك مثل Carette E. في كتاب «بحث حول أصل وهجرات القبائل الرئيسية لافريقيا الشمالية» *(Recherche sur l'origine et les migrations des principales tribus de l'Afrique septentrionale)* والذي يطلق هو الآخر اسم زناتة على قبائل لا ينسبها اليها المؤرخون المسلمون مثل مكناسة ومطغرة (2) ، وقد استفيد منه في علاقة زناتة بالبتر وبضريسة وفي دورها في الحركة الاباضية وقيام الدولة الرستمية وحركة ابي يزيد ، وقد تعرض Mercier. E. أيضا لزناتة في بعض مؤلفاته ومن بينها «ملاحظات عن أصل الشعب البربري» *(Notes sur l'origine du peuple berbère)* و «حلقة غزو العرب لافريقية» *(Episode de la conquête de l'Afrique par les Arabes)* و «تاريخ اقامة العرب بافريقية الشمالية» *(Histoire de l'établissement des Arabes dans l'Afrique septentrionale)*.

واستعنت ببعض ما جاء فيها حول أصل زناتة وهجرتها من المشرق ومقاوماتها للرومان والمسلمين ووقوفها الى جانب البيزنطيين ، كما استعنت ببعض ما كتبه Hady Roger Idris عن «بلاد البربر الشرقية في عهد الزيريين» *(La Berberie orientale Sous les Zirides)* في موضوع العلاقة بين

---

1) أنظر : *le passé de l'Afrique du Nord*, p. 382. ، قارن بملحق 1، 2 .

2) أنظر : *Recherche sur l'origine et les migrations des principales tribus de l'Afrique septentrionale*, p, 165.

زناتة وصنهاجة وماكتبة Cauvet. Cnt في النشرة المؤقتة لمجتمع جغرافية مدينة الجزائر وافريقيا الشمالية. *(Bulletin provisoire de la société de géographie d' Alger. et de l' Afrique du Nord.*

«أصل زناتة» *l'Origine des Zenata* وتناول فيه ظهور اسم زناتة ودورها في مقاومة الفتح الإسلامي؛ و Tauxier. H. فيما كتبه بالمجلة الإفريقية بعنوان «عراقة افريقيا الشمالية هي عهد محمد» *(Ethnographie) (Ethnographie de l'Afrique septentrionale au temps de Mohamet)*

وأفاد الموضوع في ظهور اسم زناتة في عهد الرومان وتطور البدو الى حضر، وهو ما ينطبق على زناتة، كما استفدت من آراء باحثين أمثال.MarçaisG في كتابيه: «بلاد البربر الإسلامية والمشرق في العصر الوسيط» *La Berbérie musulmane et l'Orient au Moyen Age.*

و«العرب في بلاد البربر» *(Les Arabes en Berberie)* و Julien Ch. A في كتابه «تاريخ افريقيا الشمالية» *Histoire de l'Afrique du Nord*

و Dozy. R. في «تاريخ المسلمين باسبانيا» *Histoire de l'Espagne musulmane*

و Levi-Provençal في «تاريخ اسبانيا الإسلامية» *Histoire des Musulmans d'Espagne*

وغيرهم ...

ويلاحظ أن فوائد هذه المؤلفات وغيرها كبيرة ، نظرا لقدرة أصحابها على التحليل والجرأة في اصدار الأحكام ومع ذلك فإنها لا تخلو من بعض العيوب الناتجة عن تعصب بعضهم أو عدم فهمهم للنصوص العربية التي اعتمدوا عليها في كتاباتهم وترجمتها ترجمة خاطئة ، أو الاكتفاء بالاطلاع على بعض المصادر دون البعض الآخر ومن ثم تكون أحكامهم خاطئة أوناقصة في بعض الأحيان .

أما المؤلفات العربية الحديثة التي تمس الموضوع فتعد على الأصابع وأهم ما استخدمته في هذا البحث منها كتاب «فجر الأندلس» لحسين مؤنس الذي نشر القسم الخاص بثورات الخوارج الصفرية في المغرب منه بمجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، تحت عنوان «ثورات البربر في افريقية والأندلس» وهو أهم مرجع باللغة العربية عن الحركة الخارجية الصفرية بالمغرب رغم ما يظهر على صاحبه من تأثر بآراء المستشرقين في كثير من الأحيان ، كقوله : إن البربر قاموا بثورة من أجل الإستقلال عن العرب ، وما يصدره أحيانا من أحكام لا يوجد لها ما يبررها في المصادر كقوله : بإن زناتة انضمت الى العرب اليمنية وأخذ الجميع ينظرون الى القيسيين نظرتهم الى عدو دخيل وأن انتصار عبد الرحمن بن حبيب على حنظلة بن صفوان وتأسيس امارته كان انتصارا لزناتة من بعض الوجوه بدليل الانتصار الذي حققته قبيلة ورفجومة الزناتية (مع العلم أن ورفجومة حسب المصادر

ليست زناتية) (1) كما يلاحظ على بعض هذه المؤلفات العربية نوع من السطحية في التحليل ، مثل ما هو الأمر بالنسبة لحركات ابراهيم في كتابه «المغرب عبر التاريخ» الذي يقول على سبيل المثال : إنه ظهر للمعز (بن زيري بن عطية الزناتي) أن يتخلى عن محاربة صنهاجة ليتصدى لحرب بني واندين المغراويين ، أصحاب سجلماسة» ، مع العلم أن قرار المعز بالتخلي عن محاربة صنهاجة كان سنة 391 هـ / 1000 ـ 1001 م ، ومحاربته لسجلماسة كانت سنة 407 هـ / 1016 ـ 1017 م ، أي بعد ست عشرة سنة ، وهو ما لا يقبله المنطق ، وكذلك الأمر بالنسبة للعبادي في المقالة التي كتبها تحت عنوان سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس بصحيفة الدراسات الإسلامية في مدريد والتي يبدي فيها صاحبها تعصبا كبيرا ضد الفاطميين ، ومن ثم تميزت أحكامه عليهم بالقسوة التي تخلو من المنطق ، وقد استفدت من المقالة التي كتبها ابن تاويت في نفس المجلة بعنوان « دولة الرستميين » والتي يتفق فيها مع التازي في مقالته « دولة الأدارسة وإمارة الرستميين الكسراوية» التي كتبها بمجلة «دعوة الحق» حول الدور الذي لعبته زناتة في العلاقات الإدريسية الرستمية ، ويلاحظ من خلال ما كتبه هذان الباحثان أنهما يميلان الى العطف على الأدارسة بعض الشيء».

ومن المراجع التي استفدت منها أيضا في هذا البحث كتاب «تاريخ المغرب» الذي كتبه بالفرنسية العروي عبد الله وتطرق فيه الى الدور الذي لعبته زناتة في العلاقات الفاطمية الأندلسية والى أسباب النزاع الزناتي الصنهاجي واعتمد في تحليله لها على الناحية الإقتصادية .

وختاما : يطيب لي أن أشكر كل اللذين ساعدوني ، من قريب أو بعيد ، في انجاز هذا العمل ، وأخص بالذكر منهم المشرف الأستاذ الدكتور موسى لقبال الذي لم يبخل علي بجهده ، ولم يقصر معي في تقديم التوجيهات والنصائح التي كانت لي بمثابة مصباح تنير لي الطريق الذي سلكته للوصول الى هذه النتيجة .

كما أشكر الأستاذ عبد المنعم ماجد الذي كان له الفضل في تشجيعي على التسجيل في الدراسات العليا ، وكان أول من تولى عملية الإشراف علي قبل عودته الى بلاده وبلادنا مصر العربية ، وأشكر كذلك أساتذة قسم التاريخ بجامعة الجزائر الذين كان لهم الفضل في تلقيني المعلومات الأساسية التي مكنتني من دخول ميدان البحث العلمي .

---

(1) أنظر : ملحق، 1، 2 .

أخيرا أترحم على روح الأستاذ الدكتور أحمد فكري الذي تولى علي هو أيضا عملية الاشراف وبذل معي جهوده قبل عودته الى بلاده هو الآخر ، في الوقت الذي كنت أقوم فيه بتأدية واجب الخدمة الوطنية كما أترحم على روح الشيخ طفيش الذي قدم لي تسهيلات كبيرة للحصول على بعض المصادر والمراجع الاباضية التي لم أتمكن من الحصول عليها في مكتبة جامعة الجزائر أو المكتبة الوطنية .

الفصـــل الأول

زناتة منذ ظهورها على مسرح التاريخ الى قيام حركة الخوارج بالمغرب الاسلامي

أسم زنـاتـة :

لم يعثر على اسم زناتة مع أسماء القبائل الأمازيغية التي وجدت في كتب المؤرخين القدماء ، من يونان وروما وبيزنطيين ، على أنه عثر على كتابة في منطقة شلف (1) وأخرى بشرشال (2) تدل على أن هذه التسمية كانت موجودة ببلاد المغرب في العصر الروماني ، وكانت تطلق على شخص هو كلوديوس زناتوس Claudius Zenatus وهو ، حسب Tauxier ينتسب الى قبيلة زنـاتـة (3) .

أما في العهد الإسلامي فقد أصبح اسم زناته معروفا ، ويطلق على قبيلة كبيرة لعبت دورا هاما في بناء صرح تاريخ المغرب العربي ، وقد فسره ابن خلدون بقوله : «فاعلم أن أصل هذه اللفظة هي صغة جانا (4) التي هي اسم جيل كله ... وهم إذا أرادوا الجنس في لغتهم ألحقوا بالإسم المفرد تاء فقالوا جانت وإذا أرادوا التعميم زادوا مع التاء نونا فصار جاناتن ونطقهم بهذا الجيم ليس بمخرج الجيم عند العرب بل ينطقون بها بين الجيم والشين ويقرع السماع منه بعض الصفير فأبدلوها زايا محضة لاتصال مخرج الزاي بالشين فصار زناة

1. GAUTIER (E.-F.), *le passé de l'Afrique du nord*, Paris, 1952, p. 208
2. TAUXIER. (E.), *Ethnographie de l'Afrique septentrionale, au temps de Mahomet*, « Revue Africaine », 1964, p. 59.
3. *Ibid.*
4. هوجنا أو شانا عند ابن خلدون (كتاب العبر، تصحيح وطبع دوسلان، الجزائر1851، جـ1، ص :2، شانا حسب ابن حزم. جمهرة أنساب العرب، تحقيق ليفي بروفنسال، القاهرة، 1948، ص: 461؛ حنا عند ابن عذاري. البيان المغرب، تحقيق ومراجعة ج.س. كولان وليفي بروفنسال، بيروت، جـ1، ص : 31 .

لفظا مفردا دالاً على الجنس ثم ألحقوا به هاء النسب وحذفوا الألف الأولى بعد الزاي تخفيفا لكثرة دورانه» (1) . وقد يكون اسم زناتة مأخوذا من اسم مدينة زانـة (2) التي ما تزال أثارها باقية على بعد خط مستقيم ، طوله 80 كلم ، جنوب شرق قسنطينة وكانت تسمى عند الرومان ، ديانة فيتيرانورم Diana Vétéranorum (3) وقد يكون مدلوله التشابه مع قوم انحدروا من اين (ENN) (4) وهي كلمة تعني الجنس الطوراني (5) .

لكن أغلبية المؤرخين يأخذون برأي النسابة الذين يجعلون اسم زناتة مأخوذا من اسم جانا أو شانا الذي هو الجد الأول لها ، ولعل هذا الرأي يصبح مقبولا ، بعد تعديله قليلا ، بجعل جانا أو شانا أول رئيس لها لا أول جد (6) .

نسب زناتة :

ناقش ابن خلدون طويلا نسب زناتة : فأتى بأراء المؤرخين الذين ينسبونها الى حمير أو التابعة أو العمالقة ، وأنكرها جميعا ، ثم اكتفى برد أصل زناتة والبربر الى الشام وفلسطين (7) .

---

1) ابن خلدون : العبر، 1، 2، (ط. درسلان) .

2) GSELL. (S.), *Atlas historique de l'Algérie*, éd. spéciale, Paris, 1911.
هناك مقاطعة بهذا الإسم ما بين بونة والقيروان ، كانت مشهورة بسفرجلها (البكري : المغرب في ذكر افريقية والمغرب ، ص : 54، 57 ، ط . الجزائر 1857) .

3) CAUVET (CT.), *l'origine des Zenata*, « Bulletin Aprovisoire de la société de géographie d'Alger et de l'Afrique du Nord », 2éme Trimestre, 1942, p. 10.

4) RINN. (L.), *Essai d'études linguistiques et ethnographiques*, R. A, 1887, p. 132.

5) تسمية شعوب أو بلاد ابن الاله «إين» بالبربرية توازي تسمية ابن السماء وابن الاله آنو (Anou) بالكتابة المسمارية وكل هذه التسميات تعني الجنس الطوراني (*Ibid*, 1888, p. 446) .

6) أنظر : ما بعد ، ص : 21 ــ 22 .

7) العبر، 2، 3فا بعدها (ط. دوسلان)؛ وهويتفق في ذلك مع الادريسي: وصف افريقية الشمالية، ص: 35، (ط. الجزائر1957)، أنظر : Mercier : *Notes sur l'origine du peuple berbère*, pp. 15-16.
يرى Gautier أن التقسيم الى زناتة من جهة والبربر من جهة أخرى الذي يكون أساس كتاب ابن خلدون كاذ لتسهيل الكتابة، كما كان يعكس حالة المغرب في القرن الرابع عشر الميلادي بدليل أن ابن خلدون نفسه يلح على تقسيم آخر للبربر أقدم من التقسيم المذكور لكنه كان يستعمل في عصره (*Op. cit.*, p. 212)

ويتفق المؤرخون على أن زناتة من البتر ، نسبة الى «مادغس الابتر» (1) الذي يشك ابن خلدون في رجوع «نسبه الى البربر ... ويكون البربر على هذا من نسل برنس فقط والبتر ... ليس من البربر ... لكنهم أخوة البربر لرجوعهم كلهم الى كنعان بن حام» (2) وهو يختلف في ذلك مع بقية المؤرخين المسلمين الذين ينسبون مادغس الى البربر (3) .

صلة زناتة بالبر :

عند محاولة اقتفاء أثر زناتة في كتب المؤرخين المسلمين ، فان الباحث يضطر الى التوقف أمام قبيلة ضريسة ، احدى البطون الرئيسية للبتر ، فالمؤرخون قسموا كتلة البتر الى أربعة قبائل هي : ضريسة ونفوسة وأداسة وبنولوى وهم نواتة (4) ، ثم قسموا كل واحدة من هذه القبائل الى فروع ، ومن هنا كانت زناتة فرع من ضريسة . والذي يلاحظ هو اختفاء اسم البتر شيئا فشيئا ، أمام اسم ضريسة (5) ، ثم اختفاء هذا الأخير أمام اسم زناتة بالتدريج (6) .

أهم فروع زناتة ومواقعها الجغرافية :

لا يمكن تحديد مواقع زناتة بنفس الدقة التي يحدد بها الموقع الجغرافي لقبيلة صنهاجة مثلا ، لأن زناتة غير مستقرة في مكان ما ، بل رحالة ، على العكس

---

1) يرى Gautier أنه لم يكن أي وجود لمادغس الابتر هذا ((*Op. cit.*, p. 220)) بينما يرى أن النسابة المسلمين استخدموا اسم مدينة ميدى مادراصة (*Médie Madrassa*) لصياغة هذا الاسم ((*Op. cit.*, p. 16)) أنظر : ملحق، 1، 2.

2) ابن خلدون : المصدر السابق، 2، 2، حسب ياقوت الحموي فانه كنعان بن سام (معجم البلدان ، ج4، 311 (ط. طهران 1965) .

3) ابن حزم: المصدر السابق، ص: 461، الادريسي: المصدر السابق، ص: 35، ابن عذاري: البيان، 1. 65، ابن خلدون (يحي) بغية الرواد، ص: 89 (نشر وتحقيق بل. أ، الجزائر 1903)، مؤلف مجهول: نبذة تاريخية في أخبار البربر في القرون الوسطى (منتخبات من المجموع المسمى كتاب مفاخر البربر)، ص: 76 نشر وتصحيح أ.ل. بروفنسال الرباط 1352هـ / 1934م) .

4) أنظر : ملحق 1و2، الاستقصا لاخبار دول المغرب الأقصى، ج1، ص: 31 .

5) نفسه :

6) CARETTE (F.), *Recherche sur l'origine et les migrations des principales tribus de l'Afrique septentrionale*, Paris, 1853, pp. 152, 153; GAUTIER : *Op. cit.*, p. 219.

من صنهاجة ولهذا يكون الكلام عن الوضع الجغرافي لزناتة تقريبيا **(1)** وان كان أكثر الزناتيين يسكنون «بالمغرب الأوسط حتى أنه لينتسب اليهم فيقال : وطن زناتة» (2) .

كما يحتاج ذكر فروع قبيلة زناتة الى بحث طويل ولهذا يستحسن الاكتفاء بذكر الأهم منها وهي :

(1) بنـو يفـرن (3) :

ينتسب بنو يفرن الى زناتة «وهم عند نسابة زناتة بنو يفري بن يصليتن ... **أما شعوبهم فكثيرة ومن أشهرهم بنو واركو ومرنجيصة» (4) . وقد يكون يفـري ، هو أول شيخ ترأس هذه القبيلة ، ومن ثم نسبت اليه .**

وكان بنو يفرن ، في عهد الفتح الإسلامي ، منتشرين «بافريقية وجبل **أوراس والمغرب الأوسط»(5) ثم انتشروا في الناحية الغربية لبلاد المغرب وسبب** ذلك راجع : حسب رأي **Gautier** ، الى انسحابهم أمام تقدم القبائل الطرابلسية ***(Tripolitaine)*** ، لواتة وهوارة ، المنتشرة بالجنوب التونسي **وضواحي الأوراس (6) .**

---

1) FOURNEL (H.), *les Berbères* (Etudes sur la Conquête de l'Afrique par les Arabes), Paris, 1927, p. 25.

2) العبر ،2، 1، (ط. دوسلان) .

3) عنها أنظر : الخريطة رقم: 1 .

4) ابن خلدون : المصدر السابق، ص: 14، في رأي **Cauvet** فان علماء الأنساب المسلمين اتخذوا من اسم قصر يفرن، وجبل يفرن الموجودين بجبل نفوسة، جدا لبني يفرن ونسبوهم اليه، ويعتبرون أحيانا من مطماطه لا من زناتة (*Op.cit.*, p. 17. E. I. (*Art-Ifren*), t.2, p. 481 في رأي Gautier فان اسم يصليتن ((*Isliten*)) يوجد في اسم وادي يصلي (Isly) قرب وجدة وفي هذه النواحي يجب البحث عن مركز بلاد مغراوة وبني يفرن ، وربما يكون بالضبط في نواحي تلمسان.
(*le Passé de l'Afrique du Nord*, p. 370)

5) ابن خلدون : العبر، 2، 14، (ط. دوسلان) .

6) *Le Passé de l'Afrique du Nord*, p. 371.

(2) مغـــراوة :

«كانوا من أوسع بطون زناتة ... ونسبهم الى مغراو (1) بن يصليتن ...) (2) أي أنهم ينتسبون الى يصليتن ، مثل بني يفرن ، ولمغراوة فروع كثيرة أهمها : بنو سنجاس ، وبنو غيار ، وبنو ريغة ، وبنو ورا (3) ، وكان انتشارهم ما بين افريقية والسوس (4) : جنوب المغرب الأوسط بجبل راشد (عمور) وجبل كريكرة (5) وعمل الزاب (6) ، وعمل شلف (7) ، وقسنطينة ، وجبل عياض (8 (جبل كيانة) ، وما بينه وبين نقاوس (نقاوس) ، ووراكلا (ورقلة) ، ولقواط (لغواط) ، ومراكش والسوس . ويعتقد Gautier أن «قلب بلاد مغراوة يجب البحث عنه في سهل شلف غير أنهم كانوا ينتشرون في الهضاب العليا حتى الصحراء (9) »

1) يوجد مكان بهذا الاسم في سلسلة الجبال الواقعة جنوب طرابلس
(Ibn-Khaldoun : *Histoire des Berbères*), Irad. Deslane. Paris. 1968. T. 4., *Index*, p. 513. ويرى Cauvet انهم ينتسبون الى هذا المكان (*Op. cit*, p. 17)

2) أنظر : ملحق د .

3) العبر ، 2، 64 ـ 65 (ط. دوسلان) .

4) تطلق هذه التسمية على المنطقة المحصورة بين أرض درعة شرقا ونهر درعة جنوبا والمحيط الأطلسي غربا والجزء الشمالي يسمى السوس الأدنى والجنوبي السوس الأقصى : Ibn-Khaldoun : *Op. cit.*, p. 508. والسوس بالمغرب كورة مدينتها طنجة، وهناك السوس الاقصى كورة أخرى مدينتها طرقلة (معجم البلدان، 3، 189).

5) يسمى أيضا جبل ناظور ويطلق على عدة جبال تقع على سبع فراسخ جنوب وجنوب شرق تيارت وتسع فراسخ شرق فرندة . (Ibn-Khaldoun: *Histoire des Berbères*, t. 4, p. 56)

6) حسب ياقوت الحموي فان هناك زابان بالمغرب: الزاب الأصغر، ويقال له: ريغ وهي كلمة بربرية تعني السبخة، والزاب الاكبر أو الكبير ومنه بسكرة وتوزر وقسنطينة وطولقة وقفصة ونفزاوة ونفطة وبادس (معجم البلدان 2، 888 وهنا وهناك) ؛ والزاب هو منطقة الرمال والواحات الواقعة جنوب الأوراس وكانت الحضنة وبلزمة تابعة له في عهد الأمراء العرب.
(Ibn-Khaldoun: *Histoire des Berbères*, t. 4, p. 56)

7) هناك مدينة مندثرة بهذا الاسم على الضفة اليسرى لنهر شلف وأخرى بين مليانة والأصنام
(Ibn-Khaldoun : *Op. cit.*, p. 501)
حسب البكري فان المدينة الاولى كانت تسمى شلف بني واطيل (المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص : 69) .

8) ويسمى أيضا جبل مزيتة ويقع على سبع فراسخ شمال شرق مسيلة. (Ibn-Khaldoun : *Op.*, p. 511)
وهو الجبل الذي بنيت به فيما بعد قلعة بني حماد (Gautier : *Op. cit.*, p. 366)

9) Gautier : *Op. cit.*, p. 370.

3) جـراوة :

كانت قبيلة جراوة في عهد الفتح الإسلامي تسكن جبل الأوراس (1) .

4) بنو يرنيـان : كانوا بملويه (2)

5) وجديجن : كانوا بالمغرب الأوسط (3)

6) واغمرت : كانوا «قبلة (جنوب) بلاد صنهاجة من المنشتل (4) الى الدوسن (5) ...» (6) .

7) بنوومانو : الى الشرق من وادي مينا

8) بنويلومي : بالجعبات (7) ، والبطحاء (8) ، وسيك (9) ، وسيرت (10) وجبل هوارة (11) ، وبني راشد (12) .

9) بنو يالدس : جنوب المغرب الأقصى ، والأوسط ، جنوب سجلماسة ، وتسمى أرضهم وطن توات (13) .

---

1) ابن خلدون : العبر، 2، 10، يقدر البكري طول جبل أوراس بمسيرة سبعة أيام (المغرب، ص : 144) ، ويقدره الإدريسي باثني عشريوما (المصدر السابق ، ص : 66 ، 75 . أنظر :

ABOU-ZAKARIA : *Chronique d'Abou-Zakaria*, trad. Masqueray, Alger, 1878, p. 22 SQ; E.I (*Art. Awrąs)*, t. 1, p. 528 SQQ.

2) ابن خلدون : المصدر السابق، ص: 10 .

3) نفسه، ص: 69 .

4) أرض جبلية في منطقة أولاد نايل وتمتد ما بين الزاب وجبل عمور *Histoire des Berbères*, t. 4, p. 515.

5) الدوسن : مدينة الزاب الغربية على بعد تسع فراسخ جنوب غرب بسكرة (Ibid, p. 504) وهي واحة من واحات الزاب القبلي (E.I. (*Art. Zab*), t. 4, p. 1247)

6) ابن خلدون : العبر ،2، 770 .

7) نفسه ، ص: 78 .

8) قلعة بضواحي توقرت (IBN-KHALDOUN : *Op. cit*., p. 503)

9) مدينة : على الضفة الشرقية لنهر مينا، على بعد، أربعة أوخمسة فراسخ من شلف بايغيليزان تقريبا (*Ibid*. p. 493)

10) هناك نهر ومدينة وسهل بهذا الاسم جنوب خليج أرزو (أرزيو : (*Ibid*. p. 493)).

هناك مدينة وتل وسهل بهذا الاسم على الضفة اليمنى لنهر هبرة (*Habra*) (*Ibid*, p. 501).

11) ما بين نهر مينا وهبرة : جنوب وجنوب شرق مستغانم وهناك مكان بهذا الاسم جنوب طرابلس ومكان آخر بالجريد (*Ibid*, p. 509)

12) يسمى جبلهم جبل عمور (*Ibid*, pp. 507-508

13) ابن خلدون : العبر ،2، ص: 80 .

10) **بنوواركلا : جنوب الزاب واختطوا المدينة المعروفة بهم لهذا العهد (ورقلة) على بعد ثمان مراحل جنوب غرب بسكرة** (1) .

11) **بنود مر** (2) : **في نواحي طرابلس وجبالها وغرب افريقية ، ومن بطونهم : بنو ورغمة وبنو ورنيد ، وبنو ورتاتين ، وبنو غرزول ، وبنو تافورت** (3) .

كانت أهم الفروع الزناتية ، في عهد الفتح الإسلامي ، هي قبيلة جراوة التي لعبت دورا كبيرا في مقاومة هذا الفتح أولا ثم في انجاحه ثانيا ، بانضمام أفرادها الى جيوش المسلمين وفيما بعد (في الفترة التي تمتد ما بين بداية القرن الثاني ومنتصف القرن الخامس الهجريين أصبح فرعا بني يفرن ومغراوة هما أقوى فروع زناتة .

خصائص زناتة :

المعروف عن زناتة أنهم «قوم رحالة ظواعن ينتجعون من مكان الى مكان غيره» (4) ويمكن تقسيم الرحالة في بلاد المغرب الى ثلاثة أصناف هي :

أ) الرحالة الكبار (grands nomades) **أو البدو :**

وهم الذين يتنقلون في طرق متغيرة ، غير معروفة ، مع كونها تقع ما بين سهوب مقدمة الصحراء والسهول المرتفعة ، حسب ما تقتضيه حاجيات عيشهم ومتطلبات منهم مجتنبين الجبال أثناء الذهاب والاياب (5) ويعتمدون في عيشهم على «سكنى الخيام واتخاذ الابل وركوب الخيل» (6) .

كما يجتمعون في قبائل ، يحكم كل قبيلة شيخ يطلق اسمه عليها وعلى سلالتها وعندما تصبح هذه السلالة كبيرة جدا تنقسم الى فروع يحكمها شيوخ آخرون ، وهذا الانقسام لا يكون ، في الغالب ، شعوبا من أصل واحد : فالقبيلة تجمع الأقارب والحلفاء وكثيرا ما تنتقل وظيفة الشيخ من الأب الى الإبن دون أن

---

1) نفسه، ص: 72 .

2) هناك جبل بهذا الاسم «جبل دمر» يقع على ثلاث مراحل من جبل نفوسة في رمل متصل (الادريسي: وصف افريقية الشمالية، ص: 91) .

3) ابن خلدون : العبر، 2، 75 .

4) الادريسي : وصف افريقية الشمالية، ص: 61 .

5) GOLVIN : *le Maghrib central à l'époque des Zirides*, Paris, 1957, p. 32.

6) العبر، 2، 1، (ط. بيروت) .

يكون الكلام عن أسرة حاكمة ممكنا . كما أن سلطة الشيخ المطلقة ، وقت الحرب ، يكون مشكوكا في أمرها ، وقت السلم (1) .

يشعر أفراد القبيلة الواحدة أن هناك رابطة فزيولوجية قوية تربطهم ، مما جعلهم لا يتأخرون عن نجدة بعضهم أبدا « فمن المستحسن عدم نسيان هذه الحقيقة بالمرة ، اذا أريد فهم التاريخ الغامض لهؤلاء الرحالة الكبار » (2) ومن صفاتهم الغلظة والبساطة والخشونة والصراحة والشجاعة في الحروب ، وان كانوا يفشلون فيها بسرعة ثم يستأنفونها ، في مكان آخر (3) .

ب) أنصاف الرحالة (semi-nomades) **أو أنصاف البدو** :

يتميز هؤلاء بمقرهم المحدد الذي يقضون فيه جزء من السنة ، وبتنقلهم في طرق معروفة جدا ، بينابيع مياه ، يشتركون في ملكيتها ، وهم منتجعون كبارا لكنهم ، في نفس الوقت ، عمال موسميون يذهبون الى الشمال ليؤجروا خدماتهم (4) .

يعيش أنصاف الرحالة ، أثناء تنقلهم ، في ظروف تشبه ظروف الرحالة الكبار الا أن التقاليد تختلف اختلافا ملموسا ، عندما يستقرون في القرية ، اذ يقتسم مجلس القدماء (Conseil d'Anciens) السلطة مع الرئيس ، وتكون قوانين الحياة عندهم موافقة لمتطلبات حياة الحضر» (5)

ج) الرحالة الصغار (Petits transhumants) :

ويتميزون بأنهم : يجمعون بين القيام بأعمال الزراعة والرعي ، في آن واحد ، فهم يملكون مزارع في الجبال وأراضي للرعي في السهول ، حيث تخيم العائلات في فصل الشتاء ثم تعود مع بداية الربيع الى المنزل للقيام بالأعمال الزراعية ، وكثيرا ما تصعد الى أعلى الجبل ، في عز الصيف ، عندما تجف الحشائش حول القرية ، « والمنتجع لا يخرج أبدا من ممتلكاته ، الا في حالة القحط الشديد ، متبعا مراحل معينة في زمن محدد بدقة » (6)

(1 GOLVIN : *Le Maghrib central*, p. 32.

(2 *Ibid.*

(3 GOLVIN : *Op. cit.*, p. 32.

(4 *Ibid.*

(5 *Ibid.* pp. 32-33.

(6 *Ibid.*, p. 33.

وقد كانت بعض فروع زناتة ، في الفترة التي يتناولها هذا البحث . رحالة كبارا ، والبعض الآخر أنصاف رحالة ، أو رحالة صغارا وهؤلاء هم الذين «مسوا المدن» (1) .

والذي يمكن ملاحظته هنا هو أن القبيلة البدوية أو نصف البدوية لا تبقى دائما على حال واحدة ، بل تتغير وتتطور أوضاعها الاقتصادية ، من طور الى آخر حتى تصبح متحضرة . وقد لاحظ Tauxier أن كلا من مراعي النجود الغنية والطمع في سلب سكان التل «الحضر» ، يجذب البدو فيهجمون على النجود ويستولون عليها . ثم يبعدون السكان الذين كانوا قبلهم ، ويرغمون أصحاب المزارع على دفع الاتاوة لهم ، بعد ذلك نشتد سيطرتهم على تلك المناطق ويستولون على أراضيها الخصبة ليستقروا بها مع قطعانهم ، مجبرين سكانها على الخضوع لهم ، والإرتباط بقبيلتهم ، كخدم ، وفلاحين ، أو على الفرار الى الجبال ، وهكذا يستقرون في المدن القديمة أو في مدن يؤسسونها ، متخلين بذلك عن حياة المغامرة البدوية بسرعة ، وعن النجود شيئا فشيئا لقبيلة أخرى ، تأتي مكانهم ، فتنتزعها منهم (2) .

كانت مثل هذه الأشياء تقع بسبب ضعف ، أو تجزئة السلطة السياسية والإدارية ، الناتجين على افتقار بلاد المغرب الى الوحدة الجغرافية ، والى توزيع معقول لمختلف المناطق ، حول مركز اجتذاب معين ، وكذلك عن عدم وجود أنهار كبيرة ، قابلة للملاحة ، تسهل المواصلات ، وبالتالي تسهل مهمة هذه السلطة في حفظ الأمن (3) .

واذا كانت زناتة تشترك في خصائصها العامة مع الرحالة الآخرين فإن لها أيضا مميزات خاصة بها ، أهمها :

---

1) *Ibid.*, p. 32.

2) *Ethnographie de l'Afrique septentrionale au temps de Mohamet*, « Revue Africaine ». 1863, pp : 456-457.

3) بل الفرد : الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، طبعة بنغازي 1969 ، ص : 14

XAVIER de PLANHOL : *Les Fondements géographiques de l'Histoire de l'Islam*, Paris, 1968, p. 125

أ) **اللهجات الزناتية** : وهي اللهجات التي يتحدث بها الزناتيون ، والتي تختلف عن سائر اللهجات البربرية الأخرى (1) وتعود في أصلها الى السامية . لما لها من خصائص مشتركة .مع اللغة العربية (2) وما تزال ، الى اليوم ، منتشرة في الواحات الموجودة بأطراف الصحراء وفي بعض المناطق الجبلية الصغيرة ، المنعزلة ، التي تحيط بالمغرب الأوسط وبالمغرب الأقصى : في الريف ، والجزء الشمالي من الأطلس الأوسط (3) .

ب) **الفروسية** : بينما كان أكثر الرحالة جمالين ، فإن «أكثر زناتة فرسان يركبون الخيل» (4) .

ج) **رؤية الكتف** : انتشرت عند زناتة ، عادة استخدام الكف في أمور التكهن ، مما جعل الإدريسي يقول في ذلك : «ولا يدرى أن أحدا من الأمم أعلم من زناتة بعلم الكف» (5) .

د) **نشاطهم عند الاستقرار** : ان الزناتيين عندما يستقرون ، يعملون كجزارين حتى ليقال عنهم : «جدهم دم» (6) ويستهلكون اللحم بكثرة ، فأغلب محضري المشوي منهم (7) .

ظهور زناتة :

كان أقدم سكان بلاد المغرب مستقرين ، يعيشون على الصيد والقنص ، ومن الصعب معرفة ما اذا وجد الى جانبهم رحل ، نظرا إلى أن خيام هؤلاء لاتترك أثرا (8)

---

1) ابن خلدون : المصدر السابق، ص: 1، يلاحظ أن ابن خلدون استخدم كلمة لغة في المفرد وهذا خطأ لانها لا تكتب ،كما أن اختلافها عن بعضها من منطقة الى أخرى يحتم على الباحث أن يذكرها بصيغة الجمع فتصبح اذا «اللهجات الزناتية» (*Dialectes Zenata*) كما سماها GAUTIER : *Op. cit.*, p. 204.

2) Basset R. : La Zenatia du M'zab de l'Ourgla et de l'Oued Rir, Paris 1892, pp. 251-252.

3) G.H.Bousquet, *Les Berbères*, Presse Universitaire de France, Paris, 1957, p. 53.

4) الادريسي : المصدر السابق، ص: 61 .

5) نفسه.

6) E. LEBLANC), *Antropométrie et caractères morphologiques, des Zenata sahariens*, « Revue Antropologique », N° 10-12, oct-déc. 1934, p. 341.

7) Ibid.

8) الفردبل : الفرق الاسلامية، ص: 45 .

غير أنه يبدو أن حياة البداوة ، بدأت تمارس بفضل انتشار الجمل في هذه البلاد . .

وليس من السهل أيضا أن يعرف بالضبط متى ظهر الجمل في هذه المنطقة إذ ختلف المؤرخون حول هذه النقطة : فمنهم من يرى أنه كان يعيش «منذ عصر نيوليتيك)» (1)

ومنهم من يرى أن الجمل وحيد السنام كان موجودا بالصحراء ثم تعرض للفناء بعد العصر الجيولوجي الرابع quaternaire ثم ظهر من جديد قادما من شرق، في القرن الأول الميلادي (2) . والبعض يرى أن الجمل استعمل بقلة «في نهاية القرن الأول الميلادي (3)» . والآخر يعتقد أنه بدأ يربّى «منذ القرن الثاني (4)» وهناك من يقول أنه ظهر، في ظروف غامضة، في «القرنين الوندالي والبيزنطي (5)»، لذين يبتدئان باحتلال الوندال للمغرب سنة 429م، وينتهيان مع ابتداء الفتح لاسلامي سنة 647م.

لكن الجمل أصبح منتشرا «في القرنين الثالث والرابع الميلاديين ... ما بين حدود الموريطانية (6) في الشمال الشرقي وحدود برقة شرقا ...(7)» .

وبفضل ، انتشاره «كانت الصحراء الوسطى والغربية (8) مسرحا لمجموعة من لاحداث لا نعرف تفاصيلها ... اذ كانت ملكا للأثيوبيين (9) ثم غزاها بيض)

---

1) DEMOUGEOT (E.) *le Chameau et l'Afrique du Nord romaine*, « Annales », E.S.C (Economies, sociétés et civilisations), mars-avril, 1960, p. 210.

2) XAVIER de PLANHOL : *Les fondements géographiques*, p. 130.

3) GSELL (S.) *La tripolitaire et le Sahara au 3é S*, Mémoire de L'Institut national de France, t. 43, 1933, p. 154.

4) JULIEN GUEY : *Notes sur les limes de Numidie et le Sahara au 5é S.*, Ecole française de Rome, 56é année 1933, p. 233.

5) GAUTIER (E.F.) *Op.cit.*, pp : 211-212

6) موريطانيا هي عبارة عن المملكة المغربية والجزائر الغربية اليوم، أنظر:

DÉZOBREY et BACHELET : *Dictionnaire de biographie, d'histoire et de géographie, des Antiquités et des institutions*, 11é éd., Paris, 1895, t. 2, pp : 1845-1846.

7) GSELL (S.), *Op.cit.*, p. 234. GUEY (J.), *Op.cit.*, p. 154. يرى XAVIER De PLANHOL أن هذا لانتشار تم في القرنين الأول والثاني الميلاديين بطرابلس أولا ثم بتونس ثانيا (*Les Fondements géographiques*, p. 130)

8) ما وراء طرابلس وتونس والجزائر والمغرب GSELL (S.), (*La Tripolitaine*, p. 160.)

9) تعني كلمة أثيوبيين «محروقي الوجوه» وكانوا من أجناس مختلفة GSELL : *La Tripolitaine*, p. 158.

قدموا من بلاد البربر (1) » فأخذت تتحول الى «بلاد البربر» ، بعدما كان بلين (2) (Pline) يسميها «أثيوبيا» (3) ابتداء من الشرق ، فالصحراء الشرقية، الواقعة غرب مصر، وقعت واحاتها «في وقت مبكر تحت نفوذ البربر (4) في عهد هيرودُوت (5) كانوا يذهبون، كل سَنة الى واحة أوجيلة (Augila) (6) ، لالتقاط التمر» (7)

أما جزء الصحراء الواقع جنوب بلاد المغرب بالذات فقد كان ملكا للاثيوبيين فقط ، آنذاك، وحسب غزال (Gsell)، فلا بد من الوصول الى القرن الرابع الميلادي، لايجاد نص مختصر (دون أن يذكر مصدره) جاء فيه : «تمتد الى الجنوب من افريقية ، ... أي جنوب طرابلس وتونس، صحراء واسعة جدا، يسكنهافي بعض نقاطها شعوب بربرية قليلة تسمى مازيس واثيوبيين» وكلمة مازيس كانت تعني قديما البربر. كما يشير بول أوروز (8) (Paul Orose)في حوالي القرن الخامس، الى وجود بربر وأثيوبيين، جنوب مقاطعة طرابلس، ومن هنا استنتج غزال Gsell ان البربرلم يعيشوافي الصحراء قبل أسرة سيفروس Sévères (9) التي حكمت الامبراطورية الرومانية في الفترة الواقعة بين 193 م و 235 م (10)

---

1) *Ibid.* p. 155.

2) عاش ما بين سنتي 23م ـ 79م وهو مؤرخ ، عنه أنظر : (Bézobray et Bachelet, : *Op. cit.*, t. 2. pp : 2265-2266.

3) Guey (J.), *Notes sur le limes de Numidie*. p. 231.

4) هؤلاء البربر هم الناسمون (Nassamons) ، عنهم أنظر :. Demougeot (E.). *Op.cit.*, p. 214 Julien (Ch.-A.), *Histoire de l'Afrique Blanche*. Presse Universitaire de FranceParis, 1966, p. 19.

5) مؤرخ يوناني عاش في القرن الخامس ق.م، عنه أنظر : *Dictionnaire de Biog.*, t. I, p. 1383

6) عنها أنظر : *Dictionnaire de Biographie*. t. I, p. 181.

7) أنظر : Gsell (S.). *La Tsipolitaine et le Sahara* : p. 160.

8) أنظر : *Dictionnaire de Biographie*, t. 2, p. 2022.

9) Gsell (S.), *La Tripolitaine et le Sahara*, p. 160 SQQ.

10) أنظر : Hermann Kinder et autres : *Atlas historique : adaptation française*, par P. Mougenot. éd. Librairie Stok. 1968, p. 95.

في حين يرى J. Guey أنهم بدأوا يعيشون بها، في عهد الانطونيين (1) Antonins 96 م ـ 192م واستمر زحفهم اليها في عهد أسرة سيفروس ، تاركين الشمال الذي ستولى عليه الرومان لاستغلاله في الزراعة (2) .

في نفس هذا الوقت تقدمت قبائل جمالة (Tribus chamelières) جاءت من برقة غازية (عند ميلاد زناتة) وكان انطلاقها مع نهاية حكم تراجان Trajan (98م ـ 117م) بسبب وقوع ثورة يهودية ضد الاغريق (3) هناك، أما وصولها في المغرب فكان في القرنين الوندالي والبيزنطي (4) (429م ـ 647م) .

ويستدل Gautier على حدوث هذا الغزو، أو هذه الهجرة، بعدة أشياء :

أولها : توغل بلاد زناتة، كما يحددها ابن خلدون، مثل زاوية بين كتلتين من قبائل البربر: كتلة جبال القبائل الجزائرية وكتلة الأطلس المراكشي (الأطلس الأعلى والأوسط وجبال الريف) اللتين ينسبهما ابن خلدون الى صنهاجة (5) ، وهذا الوضع الجغرافي أوحى منذ مدة طويلة بفكرة غزو زناتي ، يكون قد قسم كتلة صنهاجية، كانت موجودة هناك (6) .

ثانيها : عدم اشارة الكتاب القدماء الى غابات النخيل الموجودة بوادي ريغ ، جنوب بسكرة، وعدم وجود أي أثر لها في المخلفات الرومانية، بينما توجد تفاصيل دقيقة . في كتب التاريخ العربية تتعلق بغابات نخيل القرارة ، كل هذا يدفع الى الاعتقاد بان مؤسسي هذه الغابات جاؤوا مهاجرين من الشرق، في «عام الفيل» (7) .

---

(1) أنظر : DEZOBREY et BACHELET : *Dictionnaire de biog.*, t. I. p. 115.

(2) GUEY (J.). *Op.cit.*. p. 231.

(3) أنظر : BASSET (R.), *Recherches sur la seligion des Berbères*. (Extrait de la « Revue de l'histoire des religions », t. 61, 1910). p. 35.

(4) عن تقدم هذه القبائل أنظر : GAUTIER : *Op.cit.*, pp. 211 SQQ.

(5) أنظر : خريطة رقم : 2 .

(6) GAUTIER : *Op.cit.*. p. [illegible] عن هذه الهجرة أنظر : BOUSQUET (G.H.). *Les Berbères*, p. 35; TERRASSE (H.). *Histoise du Maroc*. Casablanca [illegible] t. I. p. 23; MERCIER (E.). *Note sus l'origine du peuple* berbère, p. 15.

(7) يوافق هذا العام 570م تقريبا، أنظر : E. I.. (*art. Al-Fil*), t. 2. p. 916.

ومن المؤكد أن الصحراء ،في شكلها الحالي، صحراء الرحالة الكبار. من السلالة البيضاء تكونت تدريجيا، خلال القرون الوسطى والحديثة، منذ اللحظة التي ظهر فيها الجمل الذي استطاع أن يجعلها سهلة المرور والاستغلال (1).

ثالثها : هناك علاقة لاتنكر، على الأقل في البداية، بين زناتة والديانة اليهودية : ان الكاهنة ، أول أميرة زناتية يتحدث عنها التاريخ ، تحمل لقبا يهوديا (كاهنة ، قسيسة ، أصل موجود في اسم كوهين اليهودي الواسع الانتشار) وان كان لقبها عربيا أيضا ، لكن اليهودية كانت منتشرة في المغرب آنذاك (2) .

وهكذا اختلطت القبائل البربرية النازحة من الشمال، بسبب استيلاء الاستعمار الروماني عليها ، بالقبائل البربرية المهاجرة من برقة ،في الصحراء وأصبح للجميع «كيان جديد(3)» ولقد اختلف المؤرخون فيما بينهم حول مشكلة دخول الجمل الى الصحراء . فالبعض قرروا أن القبائل المهاجرة من الشمال ، هي التي أدخلته اليها(4) ، والبعض الآخر قرروا أن القبائل المهاجرة من الشرق هي التي فعلت ذلك(5) ، وليس بعيدا أن يكون الجمل دخل الصحراء من شمال المغرب وشرقه في آن واحد .

المهم أنه بفضل انتشار الجمل في الصحراء، استطاع البربر الموجودون فيها أن يجتازوا حدود الامبراطورية الرومانية(6) ، ويرغموها على التقهقر.

فمنذ نهايةالقرن الثالث الميلادي ، بدأ ديوكليسيان (7) **dioclétien** بسحب الخط الدفاعي **Le Limes** لموريطانية القيصرية (النصف الشمالي الغربي

---

1) GAUTIER : *Le passé* de *l'Af. du Nod.*, pp. 209-10. يرى CAUVET أن وجود النخيل على نقود قرطاجة، يبطل رأي GAUTIER هذا، أنظر : L'Origine de Zenata, p. 22

2) Gautier : *Ibid*, p. 210 يرى MERCIER أن اسم الكاهنة عربي *Episode de La Conquête*, p. 26.)

3) GAUTIER : *rbid*, p. 209.

4) DEMOUGEOT (E.) *Op.cit.*, p. 210; GUEY (J.), *Op.cit.*, p. 231 SQQ.

5) XAVIER de PANHOL : *Op.cit.*, p. 130 GAUTIER : *Ibid*, p. 200 SQQ;

6) GUEY (J). *Notes sur les limes*, p. 231 أنظر : الخريطة رقم : 3.

7) امبراطور روماني من سنة 284 الى سنة 305م، عنه أنظر : *Dictionnaire de Biog.* t.I, p. 855.

لبلاد الجزائر اليوم)، أمام تهديدهم، الى وادي رهيو ومنطقة الشلف الداخلية، تاركا بذلك المناطق الجافة الوهرانية ، والمراكشية الشرقية، وكذلك المواصلات الأرضية، مع موريطانية الطنجية (شمال المغرب الأقصى) التي ترك جزءها الأكبر.في نفس الوقت تركت التيتري ومنطقة الحضنة، وسحب الخط الدفاعي الى الخط الذي يربط بين أوزي (سور الغزلان) ـ السفوح الجنوبية الشرقية لجبال الحضنة والسفوح الجنوبية للأوراس. كما تقهقر الاستعمار الروماني في منطقة طرابلس الى مدن الساحل (1)

ولما أعلن كونت افريقية قيلدون(2) (Gildon) البربري، الذي كان يحكم قرطاجة باسم الامبراطورية الرومانية، استقلاله ، استنجد الكونت بونيفاس(3) Boniface بالوندال سنة 428م ، فأجاز ثمانون ألف همجي مضيق جبل طارق Frètum Gaditanum) (4) بقيادة ملكهم جانسريك (5) Géneseric وتخطوا: الوادي الكبير (Ampsaga) الذي عينه لهم بونيفاس كحد يتوقفون عنده، ثم استولوا على منطقة قرطاجنة لكنهم سرعان ماردوا قواتهم الى أوربا و «بهذا انتهزت القبائل غير المرومنة الفرصة لتثبت نفسها بالتل ، ومن بين هذه القبائل، يجب على الخصوص، ذكر القبائل المتوحشة، التي كانت تحتل الصحراء والهضاب العليا، الواقعة على أطرافها، وكان الرومان يسمونها جيتول (Gétules)(6)

وبمجرد ما قامت الامبراطورية ، البيزنطية، سارع جستنيان (7) Justinien بارسال قائده بليسير (Belissaire) الى افريقية سنة 533م فهزم الوندال وأعادها الى الامبراطورية، بعد ما حطمت مدنها الغنية، واستعاد البربر جزء من الأرض حتى «أصبحت الحدود البيزنطية، ... تصل الحضنة وبجاية بخط مستقيم

---

1) XAVIER de PLANHOL : *Les fondements géographiques*, pp. 130. 131.

2) عنه أنظر : *Dictionnaire de Biographie*, t. I, p. 1249

3) قائد الامبراطورية لرومانية الغربية، توفي سنة 432م، أنظر *Dictionnaire de Biographie*, t. I, p. 341.

4) يسمى أيضا فريتوم هركلوم (Fretum Herculeum *Dict. de Biog.*, t. I, p. 1247

5) حكم الوندال من سنة 428م الى سنة 477م، أنظر : *Dict. de Biog.* t. I, p. 1228

6) MERCIER (E.), *Episode de la conquête de l'Afrique par les Arabes*, *Constantine*, 1875, p. 10; C.F. *dict. de Biog.* t. I, p. 1244; GAUVET : Les origines eaucasiennes des Touareg. «Buletin de la société de géographie d'Alger», 2e trimestre 1925, p. 33.

7) حكم ما بين 527م و 565م ، أنظر : *Dictionnaire de Biog.*, t. I, p. 1542.

وأصبحت المدن المحتلة على ساحل موريطانيا القيصرية محرومة من المناطـق الداخلية» (1) ، .

كما أن شواطيء ما بعد خط بجاية ـ الحضنة لم يعد بالامكان اجتيازها سوى عن طريق البحر لمحاصرة القبائل لها (2) وتعقدت الأمور ، أكثر فأكثر، بسبب سياسة البيزنطيين الجديدة المبنية على جمع الضرائب الفادحة، من الاهالي، والتدخل في شؤونهم الدينية (3) ، معتمدين في تنفيذها على القوة العسكرية.

غير أن النتيجة لم تكن في صالحهم ، اذ لم تستطع شبكة قلاعهم أن تمنع هجمات البربر ، جبليين ورحل ، كما لم تستطع الحملات ، التي كان يقوم بها المسمى سولومون (**Solomon**) أو المدعو جان تروغليطة (**Jean Troglita**)، أن تقضي عليهم بل أدت الى تكوين الاتحادات الكبيرة للقبائل البربرية مثل لواتة وصنهاجة وزناته (4) .

أوضاع المغرب السياسة قبيل الفتح الإسلامي :

وجدت الامبراطورية البيزنطية صعوبات، في اخضاع الأهالي، دفعتها الى جعل ولاية افريقية عسكرية، يدير شؤونها قائد عسكري (**Exarcus**) ، ثم ان الامبراطور هرقل (5) **Héraclius** أنشأ مذهب «المشيئة الواحدة» (6) (monothélisme) لمحاولة التوفيق بين المذاهب العديدة التي شتتت امبراطوريته لكنه لقي معارضة شديدة في أفريقية بلغت أشدها سنة 640 م (19 هـ ، أي في السنة

---

1) XAVIER de PLANHOL : *Op.cit.*, p. 131.

2) JULIEN (Gh.A.), *Op.cit.*, p. 79.

3) BIGNON (J.), et autres : *Histoire du Maroc*, p. 46.

4) JULIEN (CH.-A.). *l'histoire de l'Afrique Blanche*, p. 79.

CARETTE (E.), *Recherche sur l'origine et les migrations des principales* (*tribus de : l'Afrique septentrionale*, Paris, 1853; pp : 127-128;

حسب Gautier أن هذه القبائل كانت في شرق وجنوب الأوراس (*Op.cit.*, pp : 249-250)

أو أنها توغلت في جبل أوراس والزاب والحضنة (MERCIER (E.), *Op.cit.*, p. 10.) أنظر :

الخريطة رقم : 4 .

5) امراطور بيزنطي ما بين سنة 610م ـ 641، أنظر : *Dictionnaise de biographie*, t. I, p. 1374.

6) عنه أنظر : *Dictionnaire de biographie*, t. I, p. 1374

التي دخلت فيها جيوش المسلمين مصر (1) وكانت الظروف السياسية لصالح هذه المعارضة كما يبدو ذلك من قول ابن خلدون. «ولما ملك الافرنجة بلاد البربر ودانوا لهم بدين النصرانية ونزلوا الأمصار بالسواحل وكانت زناتة ... وسائر البربر في ضواحيهم يودون لهم طاعة معروفة وخراجا موقتا ويعسكرون معهم في حروبهم ويمتنعون عليهم فيما سوا ذلك ... » (2).

وهنا يمكن استنتاج بأن الحروب توقفت، قبيل الفتح بين البربر والبيزنطيين وأن المعارضة، استفادات من هذا التوقف، حيث صارت توفر جنودها لمواجهة الهجومات المحتملة عليها ، ومن جهة أخرى ، كسبت الى صفها زناتة والبربر ، للاستعانة بهم عند الحاجة، ثم أخذت تنتظر الوقت المناسب .

وما لبثت الفرصة أن سنحت لجريجوريوس (Grégoire) أو جرجير، كما يسميه المؤرخون المسلمون، ليعلن استقلاله بافريقية، عندما مات هرقل وخلفته زوجته مارتينة Martine بصفتها وصية على ابنها هرقلوناس Héracléonas وكانت علي مذهب زوجها (3) .

وبهذا أصبحت أفريقية منقسمة سياسيا الى قسمين :

ـ الشمال (قرطاجنة)، وكان يحكمه ممثل للامبراطورية Légat (4)

ـ الجنوب (سبيطلة) (5) وكان ملكا لجريجوريوس الذي يبدو أنه عرف كيف يستميل قبائل زناتة والبربر، فأصبحت مستعدة للوقوف الى جانبه في أي وقت، وهذا ما فعلته، عندما قام المسلمون بحملتهم الأولى على افريقية .

مقاومة زناتة للمسلمين .

تأييدها للبيزنطيين :

أول من فكر في فتح بلاد المغرب من المسلمين هو عمرو بن العاص ، وذلك

---

1) العدوي ابراهيم : المسلمون والجرمان (ط. دار المعرفة 1960)، ص: 61 ما بعدها .

2) ابن خلدون : العبر، 2، ص: 9 .

3) العدوي : المسلمون والجرمان، ص: 63 ـ 64 .

4) MERCIER (E.), *Episode de la conquête*, p. 212.

5) تقع على بعد 200 كلم جنوب غرب مدينة تونس ، انظر :

Dict. de biog. t. I., *Dict. de biog*; t. 2, p. 2664.

بعد فتح (طرابلس) سنة 23هـ/643 ـ 644م لكنه عدل عن رأيه، أمام رفض الخليفة عمر بن الخطاب، واكتفى بارسال جرائد الخيل الى افريقية (1).

في نفس هذه السنة، مات عمر وتولى الخلافة عثمان بن عفان، فعين على ولاية مصر عبد الله بن أبي سرح ، سنة 25هـ/645م ـ 646م ، فاستمر في ارسال جرائد الخيل مثل سابقه، وفي سنة 27هـ/637م ـ 648م خرج بنفسه (2) في حملة من «عشرين ألفا من المسلمين» (3)، قاصدا مدينة سبيطلة، مقر البطريق جرجير الذي «ظاهره زناتة والبربر على شأنه مع المسلمين وانفضوا جميعا ...» (4) بعد قتله، و« افترقت رياستهم (5)، وأخذ المسلمون يغزون كل قبيلة من البربر في جهتها ... مع من تحيز اليهم من قبل الافرنجة» (6).

وفي احدى غزواتهم تلك ، أسروا ، على ما يبدو ، أمير مغراوة وزمار (7) وبعثوا به الى أمير المؤمنين، عثمان بن عفان، الذي منّ عليه باطلاق سراحه، وعقد له على قومه، مما جعله يسلم باخلاص ـ اعترافا بالجميل ـ واختص هو وسائر **أحياء مغراوة ، بولاء عثمان وأهل بيته من بني أمية (8) . غير أن هناك بطون أخرى** لزناتة بقيت تقاوم المسلمين .

ب) مقاومة زناته للمسلمين بعد زوال نفوذ البيزنطيين :

انقطعت الأخبار عن زناتة أثناء الحملات التي قام بها كل من معاوية بن

---

1) أنظر : هويدي (يحي) . تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الافريقية ، طبعة مكتبة النهضة المصرية (القاهرة 1966) ، جـ1، ص: 18 .

2) يحي هويدي : تاريخ فلسفة الاسلام، جـ1، ص 18 .

3) الدباغ : معالم الايمان في معرفة أهل القيروان، ط. تونس 1320هـ ـ 1325هـ .

4) ابن خلدون : العبر، 2، ص : 9 .

MERCIER (E.), *l'Etablissement des Arabes : dans l'Afrique septentrionale*, Paris, 1875, p. 34.

5) ابن خلدون : العبر، 2، ص : 10 .

6) نسفه.

7) أو هو خزر بن حفص بن صولات بن ونزمار (ابن خلدون أبو زكرياء : كتاب بغية الرواد ، ص : 84 .

8) ابن خلدون العبر، 2، ص: 34، ابن خلدون: بغية الرواد، ص: 84، قد يكون وزمار وفد على عثمان من نفسه (ابن خلدون : العبر ، 2 ، 34 ، السلاوي : المصدرالسابق ، 1 ، 36) .

حديج التجيبي (1) وعقبة بن نافع الفهري ، في المرة الاولى (2) ، ثم أبو المهاجر دينار، مولى الأنصار (3)، ولم تعد الى الظهور، الا أثناء حملة عقبة بن نافع الثانية (4) التي توغل فيها بالمغرب .

فأثناء توغله، قصد مدينة أذنة(5)، وقبل أن يصلها، بثلاثة أميال، وقعت بينه وبين أهلها معركة عند واديالسهر «قتل فيها أكبر فرسان البربر، فذهب عزهم من الزاب» (6 ، ولا تذكر المصادر الى أي قبائل ينتمي هؤلاء البربر، غير أنه ليس بعيدا أن يكونوا من زناتة، أو على الأقل يكون بعضهم من زناتة، نظرا لأنها كانت منتشرة بهذه المنطقة (7) .

نفس الكلام يمكن أن يقال في البربر الذين استعان بهم الروم الموجودون بتاهرت عند اقتراب عقبة منهم، «فأعانوهم ونصروهم ..... ولم يكن للروم والبربر بقتالهم من طاقة فولوا هاربين» (8) ، ويمكن تأييد هذا الرأي بما أورده السلاوي من أن الردة «فشت ...في زناتة والبرانس» (9) ، بعد قتل عقبة بن نافع فاذا صح هذا فان زناتة تكون اعتنقت الاسلام على يد هذا القائد، لان المؤرخين لم يتحدثوا حتى الوقت ، عن اسلام زناتة ، باستثناء فرع مغراوة (10)، ومن هنا يمكن استنتاج

---

1) حسب الدباغ أن معاوية بن حديج غزا افريقية ثلاث مرات في سنوات 34هـ / 654 ـ 655م و 41هـ / 661 ـ 662م، و50هـ / 670 ـ 671م (معالم الايمان في معرفة أهل القيروان، ج1، ص: 114 ـ 115) يحدد لقبال موسى نشاطه بسنتي 45هـ / 665 ـ 666م أو 47هـ / 667 ـ 668م (المغرب الاسلامي قسنطينة 1969، ص: 27)، أما يحي هويدي فيرى أنه خرج سنة 34هـ / 654 ـ 655م و40هـ / 660 ـ 661م فلسفة الاسلام ،ج1، ص: 18) .

2) وقعت هذه الحملة سنة 46هـ / 666 ـ 667م، أنظر: هويدي: (تاريخ فلسفة الاسلام، 1، 35).

3) عن هذه الحملة، أنظر: لقبال موسى: المرجع السابق، ص: 42 فما بعدها .

4) عنها أنظر: هويدي: المرجع السابق، ص: 60، لقبال موسى: المرجع السابق، ص: 49 فما بعدها .

5) عنها أنظر: لقبال موسى: المرجع السابق، ص: 50، هامش 2.

6) الرقيق القيراواني : تاريخ افريقيا والمغرب ، تحقيق وتقديم المنجي الكعبي ، نشر رفلق القسنطيني ، ط . تونس (بدون تاريخ) ، ص : 43 .

7) أنظر : سابقا ، ص : 19 في بعدها .

8) الرقيق القيرواني : تاريخ افريقيا والمغرب، ص: 43 ـ 44 .

9) السلاوي : الاستقصا ، 1، 38 .

10) أنظر : سابقا ، ص : 32 .

أن القبائل المرتدة توجد من بين التي احتكت بعقبة أثناء زحفه خاصة تلك التي لا يعرف عنها سوى أنها من قبائل البربر.

ولم تنته مقاومة زناتة لعقبة عند هذا الحد، فابن عبد الحكم يذكر بأن ابن الكاهنة البربري، خرج «على أثر عقبة كلما رحل عقبة من منهل دفنه ابن الكاهنة فلم يزل كذلك حتى انتهى عقبة الى السوس ولا يشعر بما صنع البربري، فلما انتهى عقبة الى البحر أفحم فرسه حتى بلغ نحره... وانصرف راجعا والمياه قد غورت، وتعاونت عليه البربر ...» (1)، ويعود الى الحديث عنه مرة أخرى. بعد مقتله، سنة 63هـ/682م قائلا. «ثم زحف ابن الكاهنة الى القيروان يريد عمر بن علي وزهير ابن قيس فقتلاه قتالا شديدا فانهزم ابن الكاهنة وقتل أصحابه، وخرج عمر بن علي وزهير بن قيس الى مصر بالجيش لاجتماع ملأ البربر وأقام ضعفاء أصحابهما ومن كان خرج معهما من موالي افريقية باطرابلس» (2).

والمعروف، أن الذي قتل عقبة بن نافع هوكسيلة (3) ومن هنا يمكن أن يستنتج من قول ابن عبد الحكم ما يلي.

أولا : أن يكون هذا المؤرخ أطلق اسم كسيلةعلى ابن الكاهنة اما خطأ أو عن قصد ،في حالة ما اذا كان كسيلة يسمى ابن الكاهنة (4).

ثانيا : أن يكون ابن الكاهنة ، من بين قادة كسيلة الذين حاربهم المسلمون ، وربما يوجد ما يؤيد هذا الاستنتاج في قول ابن خلدون عن الكاهنة : «وكان قتل عقبة بن نافع في البسيط قبلة الأوراس باغرائها برابرة تهودا عليه (5)» فما دامت تغري وتحرض على الحرب، يمكن جدا أن تكون أرسلت جيشا للمساهمة فيها، وعلى رأس هذا الجيش أحد أبنائها، وابن خلدون نفسه، ذكر مرة أخرى بأن:

---

1) فتوح افريقيا والأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، ط. بيروت 1964، ص: 59 ـ 60.

2) ابن عبد الحكم : فتوح، ص: 59 ـ 60.

3) عن هذا الموضوع، أنظر : JULIEN (Ch.-A.), *Histoire de l'Afrique du Nord*, Paris, 1966, p. 17, SQQ. لقبال موسى : المرجع السابق، ص : 53 ـ 54.

4) أنظر : ما جد عبد المنعم: التاريخ السياسي للدولة العربية، ط. الثالثة (بيروت 1966) 2 ص : 81.

5) ابن خلدون : العبر، 2، 10 (ط. دوسلان).

«الكاهنة لها بنون ثلاثة(1)» سيطرت بهم على قومها، وعند حديثة عن هزيمة حسان لها، لم يختلف مع باقي المؤرخين،في قولهم ان الكاهنة كان لها ابنان قد لحقا بحسان (2) » دون أن يتحدث عن مصير الابن الثالث، فلعله قتل اذا في احدى المعارك التي تحدث عنها ابن عبد الحكم.

ان الدور الرئيسي في مقاومة المسلمين، وقتل عقبة، قام به هذه المرة كسيلة رئيس قبيلة أوربة البرنسية لكن بمساعدة قبيلة زناتة البترية، ومن هنا كان المستفيد الأول من الانتصار المحقق هو كسيلة وقومه، اذ بقي أميرا بالقيروان لمدة «خمس سنين(3) » بعد ما لحق من كان بها من المسلمين بزهير بن قيس في برقة (4).

في هذه الأثناء كانت تجري حوادث بالمشرق، من موت الخليفة يزيد بن معاوية وفتنة الضحاك بن قيس مع مروان بن الحكم بمرج راهط وحروب آل الزبير (5) ، مما شغل الخلافة عن المغرب وبمجرد ما «استقل عبد الملك بن مروان بالخلافة» (6)، بادر بارسال إمدادات الى زهير الذي توجه الى القيروان فورا.

ولم يرد كسيلة أن ينتظره بالمدينة بل خرج للقائه عند سهل «ممس» (7) حيث وقعت معركة بين الطرفين قتل فيها كسيلة ، وهزم جيشه .

بهذا الانتصار ، قضى المسلمون على مقاومة فرع البرانس المتأثرين بالحضارة البيزنطية وبقي عليهم أن يواجهوا فرع البتر والروم، الذين بقوا يراقبون الاحداث من بعيد (8) ، غير أن هذه المواجهة تأخرت مرة أخرى ، لمدة ست سنوات ، بسبب انشغال الخلافة بثورة ابن الزبير خاصة وأن زهير غادر افريقية الى برقة، حيث استشهد

1) نفسه، ص : 11 .

2) نفسه .

3) السلاوي : الاستقصاء ، 1، 39 .

4) السلاوي : الاستقصا ، 1، ص: 39، استخلف عقبة بن نافع زهير بن قيس وعمر بن علي على القيروان عند توغلة في المغرب، وانسحبا مع بقية المسلمين بعد مقتله (ابن عبد الحكم: فتوح ،ص: 59 فما بعـدها) .

5) الاستقصا ، 1، ص : 39 .

6) نفسه :

7) يقع قرب أحد فروع وادي مجردة، غرب سبية (MERCIER (E.), *Episode*., p. 23)

8) أنظر : لقبال موسى: المرجع السابق، ص: 77 .

في معركة ضد الاغريق الذين قاموا بغارة على سواحلها(1)، فكان لابد على الخلافة أن ترسل قائدا لتنفيذ المهمة الجديدة ، وما أن قضى الخليفة عبد الملك بن مروان (2) على ثورة ابن الزبير، حتى التفت مرة أخرى الى المغرب. فأرسل حسانا بن النعمان الغساني على رأس جيش مصر، ليراقب الموقف من هناك عن كثب ، وينظم قواته ، ثم أرسل اليه يأمره بالتوجه الى جهاد البربر وبعث اليه بالمدد (3) كما أطلق يده في أموال مصر، يعطي منها، ما يشاء لمن يرد عليه من الناس (4)، فزحف عليهم بأربعين ألف مقاتل (5) ولما وصل الى طرابلس، انضم اليه المسلمون الذين كانوا خرجوا من افريقية، مع زهير بن قيس(6)، ثم اتجه الى القيروان ومنها الى قرطاجنة، فحاصرها، وهدمها، «ثم أبلغ حسان أن البربر والفرنج قد عسكروا بجموع عظيمة ببلاد صطفورة وبنزرت فصعد اليهم وهزمهم وشرد بهم من خلفهم الى باجة وبونة ورجع... الى القيروان (7) فاستراح، وسأل عما اذا كانت هناك قوة تشكل خطرا على المسلمين، فدلوه على الكاهنة (8) ، بجبل أوراس وقالوا له : إن جميع روم افريقية يخافونها ، وجميع البربر يطيعونها ، فان تغلبت عليها دانلك المغرب كله (9) .

---

1) أنظر : E.I. (*Art.* Abd-Al-Malik b., 705-685 / 86-65 Marwan), p. 49 SQ.

2) تولى الخلافة في الفترة ما بين 65 ـ 86هـ / 685 ـ 705م.

3) أنظر : لقبال موسى : المرجع السابق، ص: 73 .

4) ابن أبي دينار : المؤنس في أخبار افريقية، تونس، تحقيق محمدشمام، ص: 33 (ط.الثالثة تونس 1964)
EN-NOWEIRI : *Conquête de l'Afrique septentrionale, par les Musulmans et l'histoire de ce pays, sous les émirs arabes*, t. I, tras. De Slone, Nelle éd., Paris, 1968, p. 338.

5) يختلف المؤرخون حول تاريخ هذه الحملة، فهو في المحرم 68هـ / يوليو ـ أوت 687م، حسب البكري المغرب، ص: 7)، أوسنة 73هـ / 692 ـ 693م (ابن عبد الحكم : فتوح، ص: 62، أوسنة 79هـ / 698 ـ 699 (ابن خلدون : العبر ، 6، 218)، أوسنة 76هـ/695 ـ 696م أو 77هـ/ 696 ـ 697 أو 79هـ 698 ـ 699 (ابن أبي دينار : المؤنس ، ص : 33)، أوسنة 69هـ// 688ـ689م (السلاوي : الاستقصاء ، 1 ، 38) .

6) ابن عبد الحكيم : فتوح ، ص62 .

7) السلاوي : الاستقصا ،1، 38 .

8) هذه التسمية عربية (MERCIER : *Episode*, p. 26. وحسب GAUTIER أن معنى هذا الاسم يوجد في اللغات : العربية والعبرية والبونيقية (*Le passé de l'Afrique du Nord*, p. 256.)

9) المالكي : رياض النفوس، جـ1، ص: 32 (ط. القاهرة 1951)، ابن عذاري : البيان ،1، 35 EN-NOWEIRI : *Op.cit.*, p. 340. الرقيق القيرواني المصدر السابق، ص: 55 .

عندما سمع حسان ما قيل له عن الكاهنة، انطلق نحوها فورا، مارا بمجانة «وكانت قلعة لم تفتح، فتحصن بها الروم، فمضى وتركهم(1)»، مما يدل على أنه كان يريد أن يسرع في سيره حتى يفاجيء الكاهنة ، أو كان يريد أن يحافظ على كل نشاط جيشه لخوض غمار المعركة الحاسمة .

وكانت داهيا بنت تابته(2)، التي سميت الكاهنة لأنها كانت تخبر قومها «بأشياء من الغيب(3)» ، رئيسة قبيلة جراوة(4) الزناتية التي «تهودت قبل الاسلام(5)» ، أي أنها اعتنقت الديانة اليهودية وحسب ابن خلدون ، فهي توصلت الى الرئاسة على حساب أبنائها الثلاثة الذين ورثوا الحكم عن سلفهم، اذ سيطرت عليهم أولا ، ثم سيطرت على قومها بهم . ونجحت في القيام بهذا العمل ، بفضل «ما كان لها من الكهانة والمعرفة بغيبة أحوالهم وعواقب أمورهم»(6)، وقد يكون هذا هو السبب أيضافي جعل فترة حكمها تستمر «خمسا وستين سنة» (7)، ويظهر أن قبيلة جرواة هذه، كانت أقوى قبيلة بترية مما يفسر انضمام بني يفرن ومن كان بافريقية من قبائل زناتة، وسائر البتر اليها بعد قتل كسيلة(8) كل هذا زاد من وزنها العسكري.

---

1) المالكي : رياض النفوس، ص: 32 .

2) ابن خلدون : العبر ،2، 10 (ط. دوسلان)، أو هي دهيا بنت ماتية (ابن خلدون : العبر ،6، 218 (ط . بيروت) ، أو داهية ابنة ثابتة بنت تيفان (مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص : 65) ، أو دامية بنت ينفاق (ابن أبي دينار : المؤنس ، ص : 34) .

3) ابن الأثير الكامل في التاريخ، جـ4، ص: 32، (ط. الثانية بيروت 1967). EN-NOWEIRI : *Op.cit.*, p. 340.

4) يسميها التجاني كاهنة لواتة (رحلة التجاني، ص: 57، (ط. تونس 1377هـ / 1958م) .

5) مؤلف مجهول مفاخر البربر، ص: 65، ويشك بعض المؤرخين في كون جراوة اعتنقت اليهودية قبل الاسلام ALBERTINI et autres : *l'Afrique du Nord française, dans l'histoire*, éd. Archat, Lyon, Paris, p. 136) بينما ينفي البعض الآخر هذه الفكرة ويقرر عدم اعتناق هذه القبيلة اليهودية (CAUVET : *l'Origine des Zenata*, p. 20).

6) ابن خلدون : العبر ،2، 11، (ط. دوسلان)، السلاوي : الاستقصا، 1، 42 .

7) ابن خلدون نفس المصدر، السلاوي نفس المصدر، وقد عاشت مائة وسبعا وعشرين سنة (ابن خلدون : نفس المصدر، السلاوي نفس المصدر) .

8) ابن الأثير : الكامل ،4، 32؛ EN-NOWEIRI *Op.cit.*, p. 340. ابن خلدون : نفس المصدر، ص : 10 ـ 11 ، السلاوي : نفس المصدر : ص 42 ـ 43 .

ولما بلغ خبر سير حسان الكاهنة ، تحركت هي الأخرى من جبل أوراس. وقصدت مدينة باغاية (1) ، فأخرجت من بها من الروم وهدمتها ، خوفا من أن يتحصن بها المسلمون ثم تقدمت الى نهر مسكيانة (2) ، حيث تنزل جيوش المسلمين. ونزلت هي أيضا على هذا النهر، وقضى الطرفان «ليلتهم على سروجهم(3)».

وفي الصباح نشب القتال ، وكان النصر حليف الكاهنة، فاتبعت أعداءها حتى أخرجتهم من عمل قابس(4)، عند ذلك كتب حسان الى الخليفة عبد الملك ابن مروان يخبره بما حصل (5) فرد عليه بأن يقف حيثما وافاه الجواب ، فورد عليه في عمل برقة، فأقام بها ينتظر لمدة خمس سنوات(6) .

أما الكاهنة فقد عادت الى جبل أوراس، وكانت قد تقبضت على ثمانين أسيرا من المسلمين، أحسنت اليهم وأطلقت سراحهم جميعا، فالتحقوا بحسان، الا واحدا وهو «خالد بن يزيد القيسي (7) أبقته ، لتؤاخي بينه وبين ولديها (8) ،

---

1) ابن عذاري : البيان ،1، 35، أو باغاي (المالكي : رياض النفوس ،1، ص: 32)، وتقع على الجانب الشمالي الشرقي لجبل أوراس على بعد ستة عشر فرسخا شرق لامبيزا (تازولت)
(IBN-KHALDOUN : *Histoire des Berbères*, t. 4, p. 493.)

2) ابن عذاري نفس المصدر ،1، ص: 35، اختلف المؤرخون في تسمية هذا النهر فهو نهر مكناسة (المالكي المصدر السابق ، 1 ، ص : 32) أو نهر بلي (الرقيق القيرواني : المصدر السابق ، ص : 56) ؛ أو وادي نيني (EN-NOWEIRI. *Op.cit.*, p. 340.) ، وبعد هزيمة المسلمين أصبح يسمى «وادي العذارى» أو نهر البلاء (الرقيق القيرواني : المصدر السابق ، ص 56 ، ابن عبد الحكم : فتوح ، ص : 63 ، ابن عذاري : البيان ، 1 ، ص : 36) .

3) ابن عذاري : البيان ،1، 36، الرقيق القيرواني نفس المصدر، ص: 56 .

4) المالكي : المصدر السابق، ص: 33، ابن عذاري : البيان،1، 36، الرقيق القيرواني : المصدر السابق، ص: 56، ابن أبي دينار : المؤنس، ص: 34، حسب البكري فان المعركة وقعت بين الطرفين في قابس وليس في مسكيانة (المغرب، ص: 7) .

5) نفسه ؛ البيان ،1، 36 .

6) الرقيق القيرواني المصدر السابق، ص : 57؛ أو أقام ثلاث سنين (المالكي : المصدر السابق ، ص : 33).

7) ابن الأثير : الكامل ، 4 ، ص : 32 ، ابن خلدون : العبر ، 6 ، 218 (ط . بيروت) فهو يزيد بن خالد القيسي (البكري : المغرب، ص: 8)، أو خالد بن يزيد العبسي (ابن عبد الحكم : فتوح، ص: 63؛ المالكي : رياض ،1، ص: 33) .

8) أحدهما يوناني والآخر بربري (البيان ،1، 37)، واذا صح ما أورده الرقيق القيرواني من أن أحدهما يسمى «قويدر» والآخر «يمين» (نفس المصدر، ص: 58)، فانه يحتمل أن يكونا أخذا هذين الاسمين بعد اسلامهما.

وقالت له: «ما رأيت من الرجال أجمل منك، ولا أشجع وأنا أريد أن أرضعك فتكون أخا لولدي (1) ثم أخذت قليلا من دقيق الشعير بزيت ووضعته على ثدييها، وأطعمت منه خالدا وولديها (2).

وبعدما «نفت العرب عن بلاد المغرب (3)»، وجهت جنودها الى كل ناحية، فقطعوا الأشجار، وهدموا الحصون، وخربوا المدن، ونهبوا الأموال، حتى لا يبقى، في نظرهم ما يجذب أعداءهم من مدن وذهب وفضة (4)، وكانت هذه السياسة «سياسة الأرض المحروقة» معروفة في القديم، غير أن المؤرخين بالغوا في وصفهم للبلاد بأنها «كانت ظلا واحدا من طرابلس الى طنجة، وقرى متصلة ومدائن منتظمة (5)»، ثم لم يبق لهذا كله أثر (6)، لكن ما تم من التخريب كان كافيا لاثارة الرأي العام، وجلب سخط السكان على الكاهنة وجنودها فبدأ الناس يهاجرون الى «الأندلس وسائر الجزر البحرية (7)»، وراح البعض يستغيثون بحسان الذي كان يتحرك نحوها (8)، أو كان يستعد للتحرك اليها، بعدما وصلته الامدادات والأوامر بهذا الشأن، من الخليفة عبد الملك (9) الذي التفت الى المغرب من جديد، بعد قضائه على الثورات التي كانت قائمة ببلاد الشام (10).

---

1) البيان، 1، 37.

2) المالكي: المصدر السابق، ص: 43؛ ابن عذاري: المصدر السابق، 1، ص: 37، يرى CAUVET أن الكاهنة اتخذت من خالد خليلا وعمدت الى حيلة التبني لتنجو من انتقادات شعبها (l'Origine des Zenata, p. 20.) غير أن فارق السن بينهما يبعث على الشك في صحة هذه النظرية.

3) السلاوي: الاستقصا، 1، 43.

4) ابن الأثير: الكامل، 4، 32، ابن عذاري: البيان، 1، 36، الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص: 61، ابن أبي دينار: المؤنس، ص: 34؛ السلاوي: الاستقصا، 1، ص: 43.

EN-NOWEIRI : *Conquête*, p. 341;

5) البيان، 1، ص: 36.

6) ALBERTINI et autres : *Op.cit.*, p. 138.

7) ابن عذاري: البيان، 1، 36 ـ 37.

8) ابن الأثير: الكامل، 4، 32؛ الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص: 61.

9) نفسه، البيان، 1، 37؛ العبر، 2، 11 (ط. دوسلان)، الاستقصا، 1، 43.

10) أنظر: MERCIER (E.) *Episode*, p. 30.

واعاد حسان الكرة على الكاهنة سنة 74هـ (1) ، /693 ـ 694م بعدما زوده خالد بن يزيد بما يحتاج من معلومات (2) ، فقصد مدينة قابس «فلقيه أهلها بالأموال والطاعة وكانوا قبل ذلك يتحصنون من الأمراء» (3)، ثم قصد قفصة، ليختصر الطريق، «فأطاعه من بها واستولى على قسطيلية ونفزاوة» (4) ، وما ان علمت الكاهنة بتقدم جيش المسلمين اليها حتى تحركت من جبل أوراس (5) مثل المرة الأولى، في اتجاهه، ثم أحضرت خالدا وطلبت منه أن ينطلق بابنيها الى قائد المسلمين ليأخذ لهما الأمان، ففعل خالد، وبقيت هي وجنودها الى أن اصطدموا بالمسلمين، في معركة حاسمة، قضى فيها المسلمون نهائيا على المقاومة في هذا البلد ، بهزيمتهم للكاهنة التي قتلت (6) بمكان يسمى «بئر الكاهنة» (7) بهذا تكون زناتة لعبت أكبر دور في مقاومة المسلمين عند فتحهم لبلاد المغرب، فقد قاومتهم الى جانب البيزنطيين ، بقيادة جرجير ، والى جانب البرانس بقيادة كسيلة ، ثم قادت هي هذه المقاومة، وكانت أنجح من غيرها نظرا لأهمية الانتصار الذي حققته على جيش حسان رغم أنه كان قائدا لاكبر جيش وصل المغرب حتى ذلك الوقت (8) .

تأييد زناتة للمسلمين :

الى جانب المقاومة لعبت زناتة دورا في تأييد المسلمين عند فتحهم لبلاد المغرب

---

1) ابن الأثير : المصدر السابق، ص: 32، ابن خلدون : المصدر السابق، ص: 11 (ط. دوسلان).

2) ابن عبد الحكم : فتوح، ص: 63 ـ 64؛ المالكي : رياض، ص: 34؛ ابن الأثير : الكامل، 4، ص: 32، السلاوي : الاستقصا ،1، 43 .

3) ابن الأثير : الكامل ،4، 32، EN-NOWEIRI : *Op.cit.*, p. 341. الرقيق القيرواني : المصدر السابق، ص: 62؛ حسب المالكي فان حسانا اصطدم بالكاهنة هذه المرة بقابس (رياض النفوس، 1، ص: 36) .

4) ابن الأثير : الكامل ،4، 32، EN-NOWEIRI : *Op,cit.*, p. 342 الرقيق القيرواني : المصدر السابق، ص: 36 .

5) البيان ،1، ص: 37 .

6) ابن عبد الحكم : فتوح ، ص: 64؛ يروي ابن الأثير عن الواقدي أن ولداها قتلا معها (الكامل ،4، 33).

7) نفسه؛ هذا المكان غير معروف MERCIER (E.), *Episode*, p. 32, note I;) قتلت في طبرقة (المؤنس، ص: 35) .

8) ابن الابار : كتاب الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، جـ2، ص: : 331 (ط. القاهرة 1963)؛ التجاني : رحلة التجاني ، ص : 570 ـ 58 ابن أبي دينار : المؤنس ، ص : 33.

فابن خلدون يذكر أن طائفة من بني عبد الواد الزناتيين، كانوا يسكنون بجبل أوراس في عهد الفتح، «حضروا مع عقبة بن نافع فتح المغرب....وأنهم أبلوا البلاء الحسن فدعا لهم وأذن في رجوعهم قبل استتمام الغزاة» (1)

ولما وصل الى جبال درن (2)، حيث تقيم قبيلة مصمودة البرنسية، نشب القتال بينه وبينها «وحاصروه... ونهضت اليهم جموع زناتة وكانوا خالصة للمسلمين منذ اسلام مغرواه (3) فأفرجت المصامدة عن عقبة وأثخن فيهم حتى حملهم على طاعة الاسلام» (4).

بهذا تكون زناتة لعبت دورا هاما في انجاح حملة عقبة بن نافع على المغرب واذا كانت أهمية مساعدة بني عبد الواد له غامضة، فانه على العكس من ذلك بالنسبة لمساعدة زناتة له، عندما حاصرته مصمودة، ان زناتة هنا أنقذته، ولم تنته مساعدة زناتة عند هذا الحد، بل هناك موقف آخر لها يمكن وصفه بموقف تأييد للمسلمين.

ذلك أن حسانا، بعدما انتصر على الكاهنة، أمن قومها «ومن انضوى اليهم بجبل أوراس» (5)، على شرط أن يعطوه اثني عشر ألفا منهم يضمهم الى جيشه ليستكمل بهم فتح المغرب فوافقوا وأسلموا على يديه، فجعل كل واحد من ابني الكاهنة على ستة آلاف منهم، وبعثهم مع العرب لجهاد الروم ومن كفر من البربر (6) وهذا ان دل على شيء فانما يدل على اعجاب حسان بهؤلاء القوم، الذين استطاعوا أن يلحقوا أول هزيمة من نوعها بجيوش المسلمين في أرض المغرب.

---

1) ابن خلدون : العبر، 2، 85 (ط. دوسلان).

2) كان يسمى أيضا سنجنفوا (البكري : المغرب، ص: 147).

3) أنظر : سابقا، ص : 32.

4) ابن خلدون : العبر، 6، 217، (ط. بيروت)، السلاوي : الاستقصا، 1، 38، يعتقد .FOURNEL (H) أن سبب هذه النجدة راجع الى عداوة بين القبيلتين فوجدت زناتة هذه الفرصة للانتقام من مصمودة ولم يكن الدافع دينيا (*Les Berbères* pp. 173-174.)

5) ابن خلدون : العبر، 2، 11، (ط. دوسلان).

6) المالكي : رياض، ص: 36، ابن الأثير : الكامل، 4، 32؛ ابن عذاري : البيان، 1، 38؛ حسب عبد الحكم أن الأكبر من ابني الكاهنة ولاه حسان على جماعة من البتر، كانوا انضموا اليه، قبل وقوع المعركة (فتوح، ص: 64).

ثم ان عامل مصر عبد العزيز بن مروان عزل حسانا وولى مكانه موسى بن نصير دون أمر أخيه الخليفة عبد الملك ولا مشورته (1)، وقد اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ وقوع هذا التغيير (2).

وكان أول عمل عسكري قام به، عند وصوله الى افريقية، هو ارسال جيش بقيادة «عياش ابن أخيل الى هوارة وزناتة في ألف فارس» (3)، فأغار عليهم «قتلهم وسباهم، فبلغ سبيهم خمسة آلاف رأس» (4)، وكان رئيسهم، كمامون(5)، من بين الأسرى الذين بعث بهم موسى الى عبد العزيز بن مروان فقتله.

وهذه الغارة على ما يبدو، كانت لها أبعاد سياسية كبيرة. فقد كانت بمثابة درس لبقية القبائل التي أصبحت تشعر بضعف، أمام جيوش المسلمين، ولم يبق أمامها سوى الأخذ بأحد الحلين الباقيين، وهما: طلب الصلح والأمان أو الفرار، وفعلا لجأت بعضها الى الحل الأول: فقدم وجوهها الى موسى فصالحهم(6)، بشرط أن يتركوا معه «رهائن من خيارهم» (7)، أما بعضها الآخر: فراح يبحث

---

1) ابن عذاري: البيان، 1، 39؛ هناك من يرى أن تولية موسى وعزل حسان كانا بأمر من الخليفة الوليد الى عمه عبد العزيز والي مصر EN-NOWEIRI : *Op.cit.*, p. 344 الرقيق القيرواني: المصدر السابق ص: 68؛ غير أن هذا الرأي يبدو بعيدا عن الصحة لأن عبد العزيز مات قبل تولية الوليد (EN-NOWEIRI : *Op.cit.*, p. 334, note 2)

2) حدث هذا التغيير سنة 78هـ / 697 ـ 698م أو 79هـ / 698 ـ 699م ابن عبد الحكم، فتوح، ص: 69؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج2، ص: 332؛ أو سنة 77هـ / 696 ـ 697) أو 89هـ / 707 ـ 708م؛ (ابن خلكان: وفيات الأعيان، 4، 402)؛ أو سنة 83هـ / 702 ـ 703م، (ابن عذاري: البيان، 1، 41، ابن خلدون ويحي): بغية الرواد، ص: 77) أو سنة 84 هـ /703 ـ 704 م أو 96 هـ /714 ـ 715 م؛ (EN-NOWEIRI : *Op.cit.*, p. 334, note 2.) أو سنة 77هـ / 696 ـ 697م أو سنة 87هـ / 705 ـ 706م (السلاوي: الاستقصا، 1، 44).

3) ابن قتيبة: الامامة والسياسة، (ط. الثانية، مصر1957)، ح2، ص: 66؛ يضيف ابن عذاري كتامة الى هوارة وزناتة ويقول ان موسى هو الذي فتح هذه القبائل (البيان، 1، 41)؛ حسب النويري أن موسى أرسل ولديه عبد الله ومروان، كل من جهته، وراح هو من جهة أخرى لغزو الذين خرجوا عن الطاعة، فعاد كل منهم بمائة ألف أسير (*Conquête*, p. 343)

4) ابن قتيبة: المصدر السابق، ص: 66؛ ابن عذاري: المصدر السابق، ص: 41.

5) ابن قتيبة: المصدر السابق، ص: 66؛ حسب ابن عذاري أنه طامون (المصدر السابق، ص: 41).

6) ابن قتيبة: المصدر السابق، ص: 66؛ حسب ابن عذاري فان الذين قدموا عليه كانوا من كتامه (البيان، 1، 41).

7) ابن عذاري: البيان، 1، 41؛ هؤلاء الرهائن كانوا في الغالب من أبناء الرؤساء الذين كانوا يعلمون الاسلام ثم يعادون الى قبائلهم، لاستلام القيادة السياسية والدينية حتى ينشروا الاسلام فيها (BRIGNON (J.) et autres : *Histoire du Maroc*, p. 51.)

عن النجاة في المغرب الأقصى وراح موسى يلاحقه حتى بلغ السوس الأدنى (1) دون أن يجد مقاومة ما .

فلما «رأى البربر ما نزل بهم ، استأمنوا وأطاعوا. فولى عليهم واليا، واستعمل مولاه طارقا على طنجة وما والاها» (2) ، وترك معه جيشا ، اختلف المؤرخون في تقدير عدده، وان كان معظمهم متفقا على أن البربر فيه كانوا اثني عشر ألفا (3) ، وحسب الرقيق القيرواني فهؤلاء هم «العدة التي جعلها عليهم (على البربر) حسان بن النعمان» (4) ، أي أنهم زناتيون، لكن ابن عذاري يقول: «وفي سنة 92هـ (710ـ 711) جاز طارق الى الأندلس، وافتتحها بمن كان معه من العرب والبربر، ورهائنهم الذين ترك موسى عنده والذين أخذهم حسان من المغرب الأوسط قبله» (5).

فمن هذين الرأيين يمكن استنتاج أن هؤلاء البربر كانوا من رهائن حسان ورهائن موسى على السواء، أي خليطا من القبائل على أنه لا يستبعد أن يكون رهائن حسان أكثر عددا ، على اعتبار أنهم كسبوا ثقة العرب ، لأنهم أخلصوا لهم منذ اسلامهم، فيكونوا أكثروا منهم، ليجعلوهم عيونا على الرهائن الجدد، فيقفوا لهم

---

1) ابن عبد الحكم : فتوح، ص: 71؛ وهو بلاد درعة (ابن عذاري : البيان، 1، 42)؛ حسب النويري أن موسى بلغ السوس الأقصى، (*Conquête*, p. 344.) وفي رواية أخرى لابن عبد الحكم أن موسى يكون قد وجه ابنه مروان الى طنجة، ولم يتوجه بنفسه (فتوح، ص: 70 ـ 71)؛ وهذا يتفق مع ما جاء في كتاب ابن الأبار (الحلة السيراء ،2، 333) .

2) ابن عذاري : البيان، 1، 42، حسب ابن عبد الحكم أن موسى ولى على هؤلاء البربر واليا ثم عزله وولى مكانه طارق بن زياد، (فتوح، ص: 71)؛ في رأي حسن مؤنس أن أهل المغرب لم يكونوا بحاجة الى غزوات موسى حتى يطيعوا فهو قام بتلك الغزوات من أجل الغنائم والسبي، لكنها مع ذلك كانت ايجابية مع بعض الأوجه، لأنها نبهت القبائل الى العصر الجديد فأسرعت تعتنق الاسلام (فجر الأندلس، ص: 46 فما بعدهـا) .

3) نفسه، ابن خلدون : العبر ،6، 220 (ط. بيروت)؛ الرقيق القيرواني : المصدر السابق، ص: 69؛ أما عدد العرب فهو كالآتي : 17 رجلا (البيان، 1، 42) أو 17000 (البيان، 1، 42، العبر ،6، 220، ط. بيروت) أو 27 (الرقيق القيرواني : المصدر السابق، ص: 69) أو عدد قليل (

EN-NOWEIRI : *Op.cit.*, p. 344.

أو16 (ابن عبد الحكم : فتوح، ص: 70 ـ 71) لكن هذا الأخير يأخذ برواية تقول أن مجموع الجيش الذي تركه موسى مع طارق 1700 (فتوح ، ص : 70ـ 71 ، ابن الابار : المصدرالسابق ، ص : 333) .

4) المصدر السابق، ص: 69 .

5) البيان ،1، 43 .

بالمرصاد اذا ما حاولوا أن يتمردوا واذا صح هذا الافتراض، فان عدد الزناتيين يكون أكثر من غيرهم ،في هذا الجيش الذي قام بفتح الأندلس .

بعدئذ أمر موسى العرب ان يعلموا هؤلاء البربر القرآن والفقه (1) ، ثم رجع الى القيروان(2)، وبذلك تم فتح المغرب، ولم تبق سوى سبتة خاضعة اسميا الى بيزنطة وساد الاستقرار والهدوء كل أرجائه .

فزناتة ظهرت اذا على مسرح تاريخ بلاد المغرب، مع بداية الفتح الاسلامي، وهي احدى بطون قبيلة ضريسة إلبترية ويكثر انتشارها خاصة في المغرب الأوسط ، ولها فروع عديدة أهمها .

بنو يفرن : الذين كانوا منتشرين أيام الفتح الاسلامي، بافريقية والأوراس والمغرب الأوسط، وفيما بعد انتقلوا الى الناحية الغربية من بلاد المغرب.

ومغراوة : وكانت منتشرة في الهضاب العليا ، بصفة عامة ، وفي شلف بصفة خاصة .

جراوة : وكانت أيام الفتح منتشرة بالأوراس .

وكانت بعض فروع زناتة ،في الفترة التي تناولها هذا البحث، رحالة كبارا (بدو). أوانصاف رحالة (انصاف البدو)، أورحالة صغارا، ومن ثم تشترك في خصائصها العامه مع بقية البدو، بالاضافة الى ان لها خصائص ومميزات خاصة بها : مثل اللهجات الزناتية، والفروسية، ورؤية الكتف، وامتهان القصابة، وكثرة استهلاك اللحم.

ولم تحدد المصادر التاريخية الدور الذي تكون زناتة قد لعبته، الى جانب غيرها من البدو، في مقاومة الاستعمار الروماني لبلاد المغرب، واجباره على سحب خطوط الليمس نحو الشمال ، بل لم تشر اليها بالمرة .

وفي عهد البيزنطيين ، تصالح قادة المعارضة التي كانت قائمة في المغرب مع قبائل البربر، ومن بينها زناتة، وجذبتها الى صفها للاستعانة بها، عند الضرورة، واعتمد جرجير على ذلك لاعلان استقلاله بجنوب افريقية (سبيطلة) عن الامبراطورية

---

1) ابن عذاري : البيان ، 1 ، 42 ، ابن خلدون : العبر ، 6 ، 220 ، ط. بيروت .

2) رجع موسى إلى القيروان سنة 85 هـ/704 م ، (البيان ، 1 ، 42 ، الاستقصاء ، 1 ، 44) .

وعرف كيف يستميل البربر بصفة عامة، وزناتة بصفة خاصة، فأصبحوا مستعدين للوقوف الى جانبه .

لذلك فان الزناتيين كانوا يقاومون المسلمين في بداية الفتح أكثر مما كانوا يساندونهم، فقاوموهم الى جانب البيزنطيين، والى جانب البرانس، ثم تزعموا هذه المقاومة فعطلوا عملية الفتح، بانتصارهم على حسان، لمدة خمس سنوات، ومن هنا يمكن اعتبارهم أقوى معارضي فتح المغرب .

الى جانب تلك المقاومة، التي قامت بها بعض فروع زناتة، فان فروعا أخرى وقفت الى جانب المسلمين، وخاصة منهم عقبة بن نافع الذي كان لها الفضل في انقاذه من حصار قبيلة مصمودة البرنسية في جبل درن .

بعد انتصار حسان على الكاهنة، أصبحت زناتة تقف الى جانب المسلمين بفضل من أسلم من أفرادها على يد ذلك القائد العربي الذي ضمهم الى صفوفه، وحتى فروعها التي لم تسلم ولم تؤيد عملية الفتح آنذاك، لم تقم بأي عمل مضاد للمسلمين، ومن ثم ساد الاستقرار، وشاءت الصدفة أن تجعل زناتة أكبر مساهم في فتح الأندلس، بفضل عدد رهائنها الهام .

هكذا يكون دور زناتة في فتح المغرب مزدوجا . سلبيا وايجابيا في آن واحد. فالسلبي يتمثل في مقاومتها الشديدة للمسلمين في أول الأمر، والايجابي يتمثل في وقوفها الى جانبهم ومساهمتها مساهمة فعالة في اتمام عملية الفتح .

هذه المساهمة كانت، بدون شك، ثمرة لسياسة الاحتفاظ بالرهائن التي اتبعها حسان بالمغرب الاسلامي واقتدى به فيها موسى، فأصبح البربر يخافون على رهائنهم، فلا يحاربون العرب، مما أتاح لهؤلاء فرصة نشر الاسلام بين أولئك ، وأصبح الجميع اخوانا في ظل الدين الجديد .

وازدادت الروابط بين الطرفين عندما اجتاز «كثير من رجالات البربر وأمرائهم» الى الأندلس، مع طارق بن زياد وموسى بن نصير، لغرض الجهاد، مما جعلهم يشعرون أنهم أصحاب الدين الجديد، ومغربهم هو مغرب كل مسلم ومن ثم زالت أسباب العداء بين الشعبين، العربي والبربري، وهدأت الأوضاع، واستمر الهدوء قائما الى أن هبت ريح العصبية القبلية القوية، من المشرق الاسلامي الى المغرب،

مع يزيد بن أبي مسلم ، في بداية القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) . وحملت معها مظالم لتسلطها على الموالي الذين وجدوا في مبادىء الخارجية أحسن وسيلة لتخليصهم من تلك المظالم، فاعتنقوها وحاربتها فيهم جيوش الخلافة الآتية من المشرق الاسلامي، ومن ثم نشأت صراعات بين الجانبين العربي والبربري استمرت طويلا ولعبت فيها زناتة أكبر دور.

الفصـــل الثـــاني

دور زناتة في حركة الخوارج الصفرية

تطور حركة الخوارج في المشرق الاسلامي :

ظهر الخوارج بعد موقعة صفين (1) التي دارت رحاها ، على ظاطيء الفرات سنة 37ه (2) / 657 ـ 658م بين الامام علي بن أبي طالب ، ومعاوية بن أبي سفيان ، ذلك أن معاوية لجأ ، عندما أوشك جيشه أن ينهزم ، الى حيلة بارعة شتت بها جيش خصمه: فقد توقف القتال، بناء على طلبه، لايجاد حل سلمي للمشكل القائم بين الطرفين المتنازعين، عن طريق التحكيم الى كتاب الله «القرآن» ولما تبين الامام وأصحابه أن معاوية خدعهم، حاولوا استئناف القتال من جديد، غير أن جماعة منهم اعتبرت أن قبول التحكيم جريمة كبيرة، وطلبت من «علي» أن يتوب عما ارتكب لأنه كفر عندما وافق على ذلك، كما كفرت هي وتابت، وأن يواصلوا بعد ذلك قتال معاوية(3)، لكن عليا رفض طلبهم قائلا : «كيف أحكم على نفسي بالكفر بعد ايماني وهجرتي وجهادي؟» (4).

---

1) هو موضع بقرب الرقة على شاطىء الفرات من الجهة الغربية بين الرقة وبالس (ياقوت الحموي : معجم البلدان، 3، ص: 402) .

2) حسب ياقوت الحموي فقد وقعت في غرة صفر سنة 38ه / جويلية 658م (نفسه) .

3) الشهرستاني : الملل والنحل ،1، 85 ـ 86، ط. لندن 1842؛ أنظر : أبو زهرة : المذاهب الإسلامية ، ص : 97 ـ 98 (ط. القاهرة) ؛ ماجد عبد المنعم : المرجع السابق ، 2، 134 ـ 135، بل الفرد : المرجع السابق، ص 41 ـ 42 .

4) ابن خلدون (عبد الرحمن) : العبر ،2، 1122 (ط. بيروت) .

عند ذلك رفعت شعار «لا حكم الا لله»، وانفصلت عنه، وأطلق على أفرادها اسم «الخوارج» (1)، وكان عددهم أربعة آلاف(2)، وصاروا منذ ذلك الوقت يقاتلون عليا ومعاوية، كما أخذوا يقاتلون من يخالفهم الرأي في الحكم على خلافة عثمان وعلي من المسلمين(3)، مما جعل الأخير يتوجه اليهم ويخوض ضدهم معركة النهروان(4)، في أواخر سنة 37هـ / 658م، هزمهم فيها وقتل أميرهم عبد الله بن وهب الراسبي، فتشتتوا(5)، بعد ذلك واستتروا ثم قرروا قتل علي ومعاوية وكذلك عمرو بن العاص(6)، وقد نجحوا في قتل الأول سنة 40هـ / 661م وساعدوا الثاني عندما فشلوا في قتله، على تولية منصب الخلافة (7).

---

1) عندما قبل علي التحكيم، غادر جماعة من أصحابه صفوفه إلى قرية حروراء بالقرب من الكوفة وبايعوا عبد الله بن وهب فسموا «حرورية أو المحكمة» «أي الذين يرددون شعارا : لا حكم إلا لله» ولما انتهت عملية التحكيم الى عكس ما كان ينتظر منها، لحقت بابن وهب وأصحابه جماعة أخرى تضم عددا من القراء فسموا «خوارج»، لخروجهم خفية من الكوفة، حيث كان جيش علي، الى منطقة جريخة الواقعة على الضفة اليسرى لنهر دجلة، حيث كان جيش ابن وهب معسكرا، على طول قناة النهروان، أو أنهم سموا كذلك لخروجهم عن الجماعة الاسلامية، كما فسر فيما بعد. وهناك اسم آخر للخوارج يبدو أنهم أطلقوه على أنفسهم وهو الشراة (أي الذين باعوا أرواحهم في سبيل الله). (E. I, t. 2 (*Art. Rharidjites*), pp. 957-958.)

2) العبر، 2، 223، ط. بيروت)؛ أنظر : بل .أ: المرجع السابق، ص: 142 .

3) ذلك ما فعلوه مع عبد الله بن خياب، من صحابة رسول الله (صلعم)، بالقرب من النهروان عندما سألوه عن عثمان في أول خلافته وآخرها، فقال : كان محقا في الأول والآخر، فسألوه عن علي، قبل التحكيم وبعده. فقال : هو أعلم بالله وأشد توقيا على دينه، فقالوا : انك توالي الرجال على أسمائها ثم ذبحوه وبقروا بطن امراته، ثم قتلوا ثلاثة نسوة من طيء وقتلوا الحارث بن مرة الذي بعثه علي، لينظر فيما بلغه عنهم (ابن خلدون : العبر ،2، ص: 1121 ـ 1122، ط. بيروت).

4) نهروان، أو نهروان، وهي ثلاث نهروات : الأعلى والأوسط والأسفل، وهي كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجنوب الشرقي، حدها الأعلى متصل ببغداد ... (معجم البلدان، 4، 846 ـ 347)، النهروان اسم قناة تقع في منطقة جريخة على الضفة اليسرى لنهر دجلة (E. I., t. 2, (*Art. Rharidjites*), p. 958

5) حسب المبرد أن عدد من قتل في هذه الوقعة ألفان وثماني مائة وأن عدد الذين شاركوا في المعركة ستة آلاف (الكامل، ص: 28، ط. الثانية، دمشق 1972).

6) اتفق الخوارج على ارسال عبد الرحمن بن ملجم لقتال علي، والحجاج بن عبد الله الصريمي والبرك لقتل معاوية وزادوية، مولى بني العنبر بن عمر بن تميم، لقتل عمرو، وحددوا تاريخ احدى وعشرين من شهر رمضان لتنفيذ الخطة، (المبرد : الكامل، ص: 36).

7) أنظر : بل.أ: الفرق الاسلامية، ص: 144 : ما جد عبد المنعم : التاريخ السياسي، 2، 137؛ حسب المبرد فان الحجاج ضرب معاوية فأصاب مأكمته (أي أحدى اللحمتين الموجودتين على رأس وركيه) وكان معاوية عظيم الأوراك فقطع منه عرقا يقال له عرق النكاح، فلم يولد لمعاوية بعد ذلك ولد، (الكامل، ص: 41) =

غير أن هذا لم يغير من موقفهم شيئا ، بل أخذوا يهاجمون الدولة الجديدة في الكوفة لكن عمالها ألحّوا في طلبهم حتى اضطروهم أن يلجأوا الى الأهواز (1) ، الواسعة، بين البصرة وفارس، وهناك أخذوا يقومون بهجمات على البصرة، الا أن ابن زياد هزمهم(2) وقتل رئيسهم أبا بلال(3). ثم اجتمعوا على نافع بن الأزرق(4) الذي توجه بهم الى مكة لمساعدة ابن الزبير(5) الذي حاصره أهل الشام، بقيادة الحصين بن نمير، ولما أرغموا هؤلاء على الانسحاب اكتشفوا أن ابن الزبير على غير مبدئهم، فعادوا الى العراق ونظموا أنفسهم ثم سيطروا على البصرة ونشروا الرعب بها مما جعل أهلها يجتمعون على عبد الله بن الحارث ويحاربونهم حتى أجبروهم على اللجوء مرة أخرى الى الأهواز في أواخر سنة 664 هـ/684 م وكانت أراؤهم حتى ذلك الحين واحدة .

أراء الخـوارج :

كانت أراء الخوارج قبل لجوئهم سنة 64هـ / 684م الى الأهواز ، موحدة :

= وحسب ابن عبد ربه فان المكلف بقتل معاوية (لم يذكر اسمه) لم يجد اليه سبيلا (العقد الفريد، 4، 360)، لقد فشلوا أيضا في قتل عمرو بن العاص لأنه لم يخرج للصلاة بسبب تألمه ببطنه (المبرد : الكامل، ص : 41)، أو لأنه أغفل الصلاة تلك الليلة (العقد الفريد، 4، 360)، فأخرج بدلا منه رجلا اسمه خارجة فضربه زاذوية فقتله .

1) جمع هوز وأصله حوز لكن الفرس غيروها الى هوز وكان اسمه أيام الفرس خوزستان وهي 10مواضع والأهواز اسم للكورة بأسرها (معجم البلدان ، 1، 410).

2) أنظر : ما جد : التاريخ السياسي ، 2، 137 فما بعدها .

3) ابن الأثير : الكامل ، 3، 335؛ ابن خلدون : العبر ، 3، 309 (ط. بيروت)، وأبو بلال هو مرداس أبو بلال، شهد صفين مع علي ابن أبي طالب وأنكر التحكيم وشارك في معركة النهروان ثم سجنه ابن زياد ولما أطلق سراحه خرج في ثلاثين رجلا من أصحابه الى آسك بالأهواز، ثم زاد عدد أصحابه الى أربعين رجلا استطاعوا أن يهزموا أسلم بن زرعة ، الذي أرسله اليهم ابن زياد في ألفي رجل لكن ابن زيـاد بعث اليهم عباد بن أخضر في أربعة آلاف رجل فهزمهم وهم قائمون في صلاة الجمعة وقتل أبا بلال (المبرد : الكامل، 83 فما بعدها؛ ابن عبد ربه : المصدر السابق، 1، ص: 217 ـ218) .

4) هو أبو راشد نافع بن الأزرق الحنفي الحنظلي، أول رئيس للأزارقة، توفي في معركة دولاب التي خاضها ضد مسلم بن عبيس سنة 64هـ أو 65هـ / 683 ـ 684م). (E. I., t. 3, (*art.* Nafi-B. Al-Azrak), p. 882).

5) هو عبد الله بن الزبير القريشي، نازع الأمويين الخلافة لمدة تسع سنوات. أنظر :
E. I., t. I, (*art.* Abd-Allah. b. Zubair), pp. 33-34.

6) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، 4، 436 فما بعدها ، (ط. القاهرة 1939)؛ ابن الأثير : الكامل ، 3، 235 ـ 236، العبر ، 3، 309 ـ 310 (ط. بيروت) .

منها أنهم كانوا يرون بأن الخليفة لا يكون الا بانتخاب حر صريح. ولا تكون الخلافة وقفا على العرب دون غيرهم، ويستمر الخليفة في مباشرة مهامه مادام مستقيما، فان حاد عن الصواب، وجب عزله أو قتله(1) .

وقالوا «ان الولاة الظلمة من معاوية وقومه من الأمويين كفرة، ويجب أن يقابل كفرهم وظلمهم وجورهم بالخروج عليهم جهارا» (2) .

وقد كفروا أهل الذنوب، بما في ذلك الخطأ في الرأي، وهذا ما جعلهم يكفرون الامام عليا، لأنه قبل التحكيم، وكتاب الله واضح لا يقبل التحكيم(3) .

واتفقوا على أن العمل جزء من الايمان، فالايمان ليس فقط الاعتقاد والنطق بالشهادتين، وانما يجب أن يتم مع ذلك العمل بأوامر الدين كالصلاة والصوم والعدل والصدق (4) .

لكن اللجوء الأخير الى الأهواز، كشف عن انشقاق وقع في صفوف الخوارج عرف «بالمحنة» (5) ظهرت على اثره عدة نزعات خارجية هي :

أ) الأزارقــة :

لقد اختلف مع نافع بن الأزرق جماعة من أصحابه، لأنه كان يرى «البراءة من سائر المسلمين وتكفيرهم والاستعراض (قتل نسائهم) وقتل الأطفال واستحلال الأمانة» (6) ولم يخرجوا معه، وموقفهم هذا جعل نافعا يقوم برد فعل عنيف ضدهم، ذلك أنه رأى أن ولاية من تخلف عنه لا تحل له وأن من تخلف عنه لا نجاة له ودعا أصحابه الى البراءة منهم، وحرم مناكحتهم وأكل ذبائحهم، وقبول شهادتهم

---

1) أبو زهرة : المذاهب الاسلامية، ص: 105 ـ 106؛ ترى فرقة «النجدات» أنه لا حاجة الى الامام اذا أمكن الناس أن يتناصفوا فيما بينهم (نفسه، ص: 106) .

2) أحمد أمين : ضحى الاسلام ،3، 331 (الطبعة السابعة) .

3) نفسه؛ أبو زهرة : المرجع السابق، ص : 106 .

4) أنظر : شلبي أحمد : التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، 2 ، 258 ط . الثانية القاهرة 1966) .
(E. I., t. 2, (*Art. Kharidjites*), pp. 959 960.

5) أنظر : ما جد عبد المنعم : المرجع السابق، ص : 140 .

6) ابن خلدون : المصدر السابق، 3، 310 (ط. بيروت) .

وأخذ علم الدين عنهم، وميراثهم، وكتب رسالة بهذا المضمون الى زعيمي المعارضة. ابن اباض وابن الصفار، ولما قرئت على أصحابهما تفرقوا (1) والتفت جماعة منهم حول عبد الله بن أباض (2) فسموا« أباضية»، بينما التفت جماعة أخرى حول ابن الأصفر (3) فسموا «صفرية» (4) وكان لكل جماعة رأيها الخاص .

ب) الاباضيـــة :

يرى أصحاب هذه النزعة أن المسلمين يحكم لهم بحكم المنافقين(5)، فهم **« كفار بالنعم والأحكام» (6) ، لكنهم «براء من الشرك والايمان» (7) ، وأجازوا** مناكحتهم (التزوج منهم)، وموارثتهم، وشهادتهم، وقالوا : ان دار مخاليفهم دار توحيد الا معسكر السلطان فانه دار بغي، وأن مرتكبي الكبائر «موحدون لا مؤمنون..... ولا يسمون امامهم أمير المؤمنين ولا أنفسهم مهاجرين... وأجمعوا على أن مرتكب **كبيرة من الكبائر كفر كُفْر نعمة لا كفر الملة وتوقفوا في اطفال المشركين وجوزوا تعذيبهم على سبيل الانتقام» (8) ، وحرموا قتل مخالفيهم وسبيهم في السرغيلة ، الا بعد نصب** القتال واقامة الحجة(9)، واستحلوا من أموالهم الخيل والسلاح، أما الذهب والفضة فانهم يردونهما على أصحابهما عند الغنيمة (10).

---

1) الطبري : تاريخ الأمم والملوك، 4، 358؛ ابن الأثير : الكامل ، 3، 337 .

2) البغدادي : الفرق بين الفرق، ص: 61 (ط. 1948)؛ الشهرستاني : الملل والنحل، 1، 100.

3) هو زياد بن الاصفر (البغدادي : نفس المصدر، ص : 54 ، الشهرستاني : نفس المصدر، ص : 102) ، أو عبد الله بن الصفار (الطبري : تاريخ الأمم والملوك، 4، 359)؛ وهناك من يرد تأسيس الصفرية الى النعمان ابن صفر ، أو عبيدة بن قيس ، وكل هؤلاء الأشخاص غير معروفين
(E. I., t. 4 (*art. Al-* Al-Sufriya), pp. 521-522.
حسب ابن تغري بردي فهم منسوبون الى المهلب بن أبي صفرة، (النجوم الزاهرة ،1، 289، ط. القاهرة) .

4) حسب ابن خلدون، فقد يكونوا سموا صفرية لأنهم اصفروا بما أنهكتهم العبادة (العبر،3، 311، ط. بيروت).

5) نفسه، ص: 310 .

6) الطبري : المصدر السابق ،4، 359 .

7) البغدادي : المصدر السابق ، ص: 61 .

8) الشهرستاني : المصدر السابق ،1، 100 ـ 101 .

9) البغدادي : المصدر السابق، ص: 61، الشهرستاني : المصدر السابق، ص: 100؛ أنظر : أحمد أمين: فجر الاسلام، 261، ط. السابعة، القاهرة 1959 .

10) نفسه، ص: 61 ـ 62 .

وتتميز هذه الفرقة باعتدال أرائها، بالنسبة للفرق الخارجية الأخرى، وهذا ما يفسر بقاءها حتى الآن، منتشرة في شمال افريقية وعمان وزنجبار (1) وقد «تعدل مذهبهم مع الزمان، فلهم أصول كلامية متأثرة الى حد كبير بمذهب المعتزلة ... كما لهم كتب فقهية خاصة تخالف أهل السنة في بعض الفروع» (2).

ج) الصفـريـة :

أهم أراء الصفريين تدور حول القعدة عن القتال (أي التخلف عن الخروج الى القتال) فهم لم يكفروهم «اذا كانوا موافقين في الدين والاعتقاد»(3)، و«الأباضية أشد على القعدة منهم» (4)، وحسب ابن خلدون فان هذا هو الفرق الوحيد بين هاتين الفرقتين (5).

أما البغدادي فيختلف عنه بتقسيمهم الى ثلاث فرق : فواحدة يقول أصحابها «في الجملة كقول الأزارقة في أن أصحاب الذنوب مشركون غير أن الصفرية لا يرون قتل أطفال مخالفيهم ونسائهم» (6).

والثانية ترى أن «ما كان من الأعمال عليه حد واقع لا يسمى صاحبه الا بالاسم الموضوع له كزان، وسارق، ...، وليس صاحبه كافرا ولا مشركا. وكل ذنب ليس فيه حد كترك الصلاة والصوم فهو كفر وصاحبه كافر وأن المؤمن المذنب يفقد اسم الايمان في الوجهين جميعا» (7)

أما الفرقة الثالثة فترى أن «صاحب الذنب لا يحكم عليه بالكفر حتى يرفع الى الوالي فيحده» (8).

---

1) E. I, t. 2, (*art.* hadramaw), p. 223.) حسب أحمد أمين فانهم موجودون أيضا بحضر موت (ضحى الاسلام ،3، 336) ، غير أن المذهب المنتشر هناك هو المذهب الشافعي أنظر : t. 2, (*art.* hadramaw), p. 223.

2) أحمد أمين ضحى الاسلام ،3، 337.

3) البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص: 54.

4) ابن خلدون : ،3، 311 (ط. بيروت).

5) نفسه.

6) البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص : 54 ، لم يحكموا بقتل أطفال المشركين وتكفيرهم وتخليدهم (الشهرستاني : المصدر السابق ، 1 ، 102).

7) البغدادي : المصدر السابق ،54.

8) نفسه.

ولم يتحدث البغدادي عن تاريخ وظروف تكوين أي فرقة من هذه الفرق . ومن أراء الصفرية أيضا أنهم «لم يسقطوا الرجم ... وقالوا التقية جائزة في القول دون العمل» (1) ، كما جوزوا «تزويج المسلمات من كفار قومهم في دار التقية دون دار العلانية» (2) .

نشـــاط الخـــوارج بعـــد المحنـــة :

أ) الأزارقـة :

انضم «الى الأزارقة» عندما لجأوا الى الأهواز سنة 64هـ / 684م كثيرون من عمان واليمامة وتمكنوا من هزيمة البصريين ثم أقبلوا على البصرة فكاتب أهلها ابن الزبير، يبايعونه ويطلبون منه أن يرسل اليهم قائدا من قبله لحربهم . فأسند تلك المهمة الى عامله على خرسان المهلب ابن أبي صفرة(3) الذي راح يقود البصريين، وتمكن من دفع الخوارج الى الأهواز وقتل نافعا . ولما علم ابن الزبير بذلك أرسل أخاه مصعبا(4)، عاملا على البصرة، بينما أقام المهلب في الأهواز ثم لاحق الخوارج الى فارس، وحاربهم في صحاري كرمان(5) حيث ألحق بهم هزائم متتالية غير أنهم ولوا عليهم زعيما اسمه قطري(6)، فاستطاع أن ينظم صفوفهم ويجعل سابور(7) من أرض فارس دار هجرة لهم. وقد انتهزوا فرصة الهدنة التي عقدوها مع المهلب، عندما طلب منه مصعب أن يأتيه بجنده لحرب المختار (8) الذي اشتد ساعده في

---

1) الشهر ستاني : الملل والنحل ، 1، 102 .

2) نفسه .

3) عنه أنظر : (E. I, t. 3, (*art.* Al-Muhallab b. Abi Sufra) pp : 384-385.

4) عنه أنظر : (E. I., t. 3 (*art.* Musab b. Al-Zubair), pp : 793-794.

5) كرمان : هي ولاية مشهورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس ومكران يحدها من الشرق مكران ومفازة، ما بين مكران والبحر، من وراء البلوص، وغربيها أرض فارس، وشمالها مفازة خرسان وجنوبيها بحر فارس (معجم البلدان ،4، 363 ـ 364) .

6) هو قطرى بن الفجاءة، يصفه ابن عبد ربه بأنه أنجد فرسان الخوارج (العقد الفريد ،1، 222) ، وحسب المبرد فهو قطرى بن الفجاءة المازني (الكامل ، ص : 10) .

7) هي كورة مشهورة بأرض فارس، ومدينتها النوبندجان، حسب ابن الفقيه؛ أو شهر ستان حسب البشاري، أو سابور، حسب الاصطخرى، وبهذه الكورة مدن أكبر منها (أي من مدينتها) لكن الكورة تنسب الى سابور الملك وهو أحد الأكاسرة وأصله شاه يور أي ملك يور ويور الابن بالفارسية (معجم البلدان ،3، 5) .

8) هو ثائر شيعي سيطر على الكوفة سنة 66هـ / 685 ـ 686، أنظر : E.I. *art.* Al-Mukhtar. *Ubaïd Al-Thakafi*), t. III, p. 565. SQ.

الكوفة ، ولما تمكن مصعب من القضاء على فتنة المختار رد المهلب الى قتالهم وحاربهم مع ابراهيم بن الأشتر فدفعهم الى الجزيرة (1) واستمر يطاردهم الى أن هاجم الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان العراق وقتل مصعبا، عندئذ بايع المهلب، ومن معه ، عبد الملك الذي ترك أخاه بشرا بن مروان عاملا له في سنة 72 هـ/692 م وقد استخدم بشر قائدا آخر مع المهلب استبد بالأمر دونه ، لذا فهو لم يحقق آنذاك نتائج ملموسة في حربه للخوارج ، غير أن بشرا توفي سنة 74هـ / 692م وتولى الحجاج بن يوسف (2)، فلم يدخر جهدا في تجنيد أهل العراق، واجبارهم على السير الى المهلب، الذي أخذ يحارب الخوارج بين فارس والأهواز الى أن وقع بينهم الخلاف فتركهم يقتتلون، وقتل زعيمهم عبد ربه الكبير (3).

كما بعث الحجاج من جانبه جيشا كثيفا الى قطري، في طبرستان، وتمكن من قتله أيضا، وبذلك تم القضاء على فتنة قطري، أكبر زعماء الخوارج، ومن ثم على خطر الأزارقة (4) .

(ب) نشـاط الصفريـة :

انقطعت ،أخبار الصفرية منذ المحنة الى شهر صفر سنة 76هـ / مايو- يونيو 695م، عندئذ قاموا بثورة في الجزيرة، بقيادة صالح بن مسرح، ثم شبيب بن يزيد الشيباني من بعده فتغلب عليه الحجاج بن يوسف (5)، كما تغلب قبل ذلك على الأزارقة،

---

1) هي جزيرة أقور ، وهي التي بين دجلة والفرات ، وتشتمل على ديار مضر وبكر ، وسميت الجزيرة لأنها بين دجلة والفرات (معجم البلدان، 2، 72)، وهناك جزيرة ابن عمر وهي بلدة فوق الموصل، هذه الجزيرة تحيط بها دجلة، الا من ناحية واحدة، شبه الهلال، ثم عمل خندق أجرى فيه الماء فأحاط بها الماء ، من جميع جوانبها (نفسه، ص: 79)؛ وهناك أيضا جزيرة كاوان، أو جزيرة بني كاوان، وجزيرة لافت في بحر فارس بين عمان والبحرين (نفسه) .

2) أنظر : المبرد : الكامل ، ص : 178 فما بعدها من عدة صفحات
E. I. (*art.* Hadjadj B. Yusuf), T. II, p. 215, SQ

3) كان عبد ربه الكبير من أصحاب قطري، ثم اختلفا فانقسم حولهما الخوارج الأزارقة وتقاتلوا فيما بينهم والمهلب يراقب من بعيد ثم قصد عبد ربه الكبير، الذي تغلب على قطري، فقتله هو وأربعة آلاف من أصحابه (العبر، 3، 342 ـ 343 (ط. بيروت) .

4) انظر : ما جد عبد المنعم : التاريخ السياسى ، 2، 143 فما بعدها من عدة صفحات
E. I. (*art. azrakites*), t. I, pp. 460-461.

5) أنظر : E. I., t. 4, (*art.* Al-Sufruya), p. 52.

ولم يبق أمام الصفرية بعد ذلك سوى الفرار الى النواحي البعيدة عن مركز الخلافة فتفرقوا في آسيا، وخاصة في بلاد المغرب (1) .

(ج) نشــاط الأباضيــة :

يرجع تاريخ أول ثورة قام بها الأباضيون في المشرق الإسلامي ، إلى سنة 129 هـ/747 م ، وكان يقودها عبد الله بن يحي طالب الحق وأبو حمزة ضد مروان الثاني ، آخر خلفاء بني أمية ، وقد أرسل عبد الله أبا حمزة الى مكة بعد أن غزا هو صنعاء ، فهزم أبو حمزة العامل الأموي في «قديد» (2) ، واستولى على «المدينة» ، غير أن مروان رماه بعبد الملك بن عطية سنة 130 هـ / 747م فأسره وقتله هناك ، ثم لقي عبد الله نفس المصير (3) .

وقامت ثورة أخرى في العهد العباسي بعمان سنة 134 هـ/751 ـ 752 م ، قادها الجلندى ، لكن القائد العباسي خازما بن خزيمة أخمدها . ويلاحظ أنه في الوقت الذي نشط فيه الأباضيون في المشرق ، نشطوا في المغرب الإسلامي ، عكس الصفرية الذين لم يظهر نشاطهم فيه الا بعدما فشلوا في المشرق (4) .

وهكذا يظهر بوضوح كيف تم انتقال الخوارج الصفرية الى المغرب الاسلامي : فقد حدث ذلك الانتقال نتيجة لفشل حركتهم في بلاد المشرق ، واشتداد الأمويين معهم ، مما جعلهم يلتمسون الأمان حيثما وجدوه ، ففروا الى الأماكن البعيدة

---

1) أنظر : GOUVION (M.), et (E.), *Le Kharedjisme*, p. 53; CHIKH BEKRI : *Le Kharid* jisme, pp. 59-59.

2) اسم موضوع قرب مكة، (معجم البلدان، 4، 42) .

3) أنظر : 372. (E. I., t. 2, (*art*. Al-Ibadiya), p. 372.)يذكر الشهر ستاني أن عبد الله بن أباض قد اشترك في هذه الثورة أيضا، لكن يظهر أن هذه الرواية غير صحيحة، لأن ابن أباض، وفقا لمصادر أخرى موثوق بها، مات في عهد عبد الملك بن مروان أي قبل ذلك بنصف قرن، تقريبا (*Ibid*) وربما كانت لعبد الملك بن مروان علاقة معه (BASSET (R.), *Recherche sur la religion des Berbères*, p. 43.

احسب ابن حوقل فان ابن أباض وعبد الله بن وهب الراسبي ، قدما جبل نفوسه وماتا به فأقام به الأباضية بعدهما وأصبح دار هجرتهم (صورة الأرض، ص: 95 (القسم الأول، ط. ليدن 1938) .

4) حسب GOUVION (M.) et (E.) فانهم وجهوا دعاتهم الى المغرب عندما يئسوا من التغلب على الجيش العباسي النظامي ، واكتفوا في المشرق بتأسيس مدارس سرية (حلقات) لتكوين المختارين من أتباعهم *Le Kharedjisme*, p. 53)

عن مركز الخلافة الأموية ، وخاصة بلاد المغرب التي كانت الظروف فيها لصالحهم (1) . ويظهر أن الأباضيين اقتدوا بهم في ارسال دعاتهم في بلاد المغرب في وقت مبكر .

ظروف المغرب الإسلامي السياسية في عهد الأمويين :

لم يكن الحكم الأموي اسلاميا ، فقد كانت تسود العرب فيه النزعة الجاهلية لا النزعة الاسلامية (2) . ففي الجاهلية كانت العصبية القبلية هي السبب في ضعف العرب وتفريقهم وبث الشقاق بينهم . ولما جاء الاسلام ، دعا الى احلال الأخوة الاسلامية محل تلك العصبية .

وقد أدت كل من التعاليم الاسلامية والتدابير ، التي اتخذها الرسول (صلعم) وخلفاءه من بعده ، الى اضعاف تلك العصبية ، دون أن تقضي عليها ، ومنذ أواخر العصر الاسلامي (عصر الخلفاء الراشدين) ، بدأت العصبية الواسعة تظهر شيئا فشيئا فقد كان جل الناقمين على أمير المؤمنين عثمان بن عفان من اليمن وساعدت على انضاجها تلك الحروب التي قامت بين علي وخصومه ، ثم أحداث التحكيم التي تلتها . فلما أهل العصر الأموي بلغت هذه العصبية مداها الأقصى (3) .

---

1) أنظر : حسين مؤنس : فجر الأندلس، ص: 148 القاهرة 1959؛ ثورات البربر في افريقية والأندلس مجلة كلية الآداب (القاهرة) المجلد 10 ،ج1 ، مايو 1948 ، ص: 154 (CHIKH BEKRI : *Le Khadjisme*, p. 53.) .
حسب بعض المؤرخين فان الصدفة وحدها هي التي جعلت الخوارج الذين انتقلوا الى المغرب صفريين . وأباضيين لأن البربر كانوا بسطاء جهلاء ، فلم يفهموا شيئا من التأملات النظرية ... التي استمرأها المثقفون ... لكنهم فهموا قدرا من مذاهب هؤلاء يكفي لاعتناقهم آرائهم الثورية والديمقراطية (بل: ا: الفرق الاسلامية، ص: 46، دوزي : تاريخ مسلمي اسبانيا، 1، 147)؛ حسب حسين مؤنس فانه لا يوجد دليل على صفرية القائمين بالحركة أو أباضيتهم والأسلم أن نسميهم خوارج فحسب، خوارج سياسين لا دينيين (فجر الأندلس، ص: 149؛ ثورات البربر، ص: 154) .

2) أحمد أمين : ضحى الاسلام، 1، 27 .

3) احسان النص : العصبية القبلية (أثرها في الشعر الجاهلي، ص: 173 فما بعدها من عدة صفحات .

وأصبحت العصبية الكلبية (1) تجابه العصبية القيسية (2) في كل مكان . وقد زادت مواقف خلفاء بني امية من خطورتها ، لأنهم عملوا على حفظ التوازن بين النزعتين ، باختيارهم العمال الذين يمثلونهم في الولايات ، من أولئك وهؤلاء حسب ميولهم الشخصي ومتطلبات الساعة (3) .

واذا كان العامل قيسيا حابى القيسيين واضطهد الكلبيين ، واذا كان كلبيا ، قام بعمل معاكس ، من هناك قامت الحروب بين العرب في الولايات ، ولم يقتصر الأمر على العمال ورجال الدولة ، بل تعداه الى عامة الناس ، لأن الجاليات العربية التي هاجرت الى الولايات واستقرت فيها ، لم تخرج عن أن تكون قيسية أو كلبية (4) .

وقد كان الموالي في المغرب الاسلامي ، كما هو الشأن في الولايات الاسلامية الأخرى ، ضحية هذه العصبيات ، منذ أن وطأت أقدام يزيد بن أبي مسلم أرضه سنة 102 هـ/720 ـ 721 م (5) . وكان يزيد قبل ذلك «مولى الحجاج وكاتبه» (6) ولما حضرته الوفاة استخلف يزيدا هذا على خراج العراق فأقره الوليد

---

1) تسمى أيضا اليمنية والقحطانية (احسان النص : العصبية القبلية، ص: 173 فا بعدها) ، ويطلق هذا الاسم على سكان جنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن) (ALBERTINI et autres : *l'Afrique du Nosd française, dans l'his.*, p. 141.) عن هذه العصبية أنظر : (E. I., t. 2, (*art.* Kalb-b. Wabara), pp. 729-730.

2) تسمى أيضا النزارية والعدنانية (إحسان النص : نفس المرجع) والمظرية (ماجد عبد المنعم : التاريخ السياسي، 2، 315) والمعدية (MARÇAIS (G.), *La Berbèrie musulmane*, Paris, 1946, p. 41; وتطلق هذه التسمية على سكان وسط وشمال شبه الجزيرة العربية (Albertini et autres : *Op.cit.*, p. 141.) أنظر : (E. I., t. 2 (*art.* Kais-Alan), p. 692. SQQ)

3) (MARÇAIS (G.), *Op.cit.*, p. 44.)

4) حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص : 144 ، ثورات البربر ، ص : 151 ، هذا النظر القاسي ليس نظرا عاما ، عند العرب جميعهم ، وإنما هو كان النظر السائد بين البدو والولاة ، أما نظر المساواة . فقد كان سائدا في الأوساط العلمية والدينية : فالعلم يشرف بعمله، سواء كان عربيا أم مولا، (أحمد أمين : ضحى الاسلام، 1، 27) .

5) ابن الآبار : الحلة السيراء ، 2، 353 : ابن عذاري : البيان، 1، 48، الرقيق القيرواني : تاريخ افريقيا، ص: 99 .

6) نفسه، كان وزير الحجاج بن يوسف الثقافي، وكان سجنه سليمان بن عبد الملك بن مروان، وبقي في السجن أيام عمر بن عبد العزيز (ابن أبي دينار : المؤنس ، 49) ، حسب السلاوي فإنه كان صاحب شرطته . (الاستقصا ، 1، 46) .

ابن عبد الملك (1) (88 ـ 98 هـ/705 ـ 715 م) ولم يعن الحجاج كثيرا بنشر الدين ، بل كان مضطرا الى زيادة دخل بيت المال ، استبقاء لعطف الخليفة عليه ، حتى أنه أعاد الذين أسلموا وسكنوا الأمصار بالعراق «الى قراهم ورساتيقهم ووضع الجزية في رقابهم على نحو ما كانت تؤخذ منهم وهم على كفرهم» (2) .

ولم يكن كاتبه مختلفا كثيرا عنه ، كما انه عندما التحق بمنصبه ، لم يستطع أن يدرك بأن ظروف بلاد المغرب تختلف عن ظروف بلاد المشرق ، فلم يغير من سياسته شيئا ، وعزم على تطبيق نفس السياسة التي كان يطبقها سيده في العراق (3) .

غير أن الحظ لم يسعفه ، هذه المرة ، وسرعان ما ظهرت نتائج سلبية لتصرفاته «الحمقاء» : فقد قتل ، في نفس السنة التي وصل فيها الى المغرب (4) ، على يد حرسه الذين أنفوا مما قاله لهم في خطبته ، بأنه ينوي وشم أيديهم ليعرفوا من غيرهم ، وبذلك يسرع الناس في تنفيذ أوامره ، عندما يقصدونهم (5) ، أو أنه «وشم أيديهم وجعلهم أخماسا وأحصى أموالهم ثم أولادهم ثم جعلهم حرسه» (6) ، وكان هؤلاء من البربر البتر الذين اتخذهم موسى بن نصير موالي له (7) .
ومع أن المؤرخين لا يشيرون الى اسماء القبائل التي ينتمي اليها أولئك الحرس ، فانه يحتمل أن يكون معظمهم من قبيلة زناتة نظرا لأنها كانت آنذاك تمثل البتر ، في

---

1) السلاوي : الاستقصا، 1، 46؛ عنه أنظر :
E. I., t. 4 (*art.* Al-Walid b. Abd-Al-Malik) pp. 1170-1171.

2) الطبري : تاريخ الأمم والملوك، 5، 359، أنظر : دوزي : تاريخ مسلمي اسبانيا، 1، 138 ـ 139.

3) نفسه، ص: 358 ـ 359 .

4) ابن الأبار : الحلة السيراء ، 2، 335، الرقيق القيرواني: تاريخ افريقيه، ص: 99، السلاوي : الاستقصا 1، 47؛ حسب اليعقوبي فان الذي قتله هو غلام، من موالي موسى بن نصير، يقال له جرير (تاريخ اليعقوبي، 2، 313 ط. بيروت 1960) ، أو جزيز (ابن عبد الحكم : فتوح ،ص: 87) ...

5) ابن عبد الحكم : فتوح، ص: 88، ابن عذاري : البيان ، 1، 48، الرقيق القيرواني : تاريخ افريقيا والمغرب ، ص: 99 .

6) ابن عبد الحكم : فتوح، ص: 86 ـ 87؛ حسب اليعقوبي فانه أخذ موالي موسى بن نصير فوشم أيديهم وردهم الى الرق واستخدم عامتهم في حرسه (تاريخ اليعقوبي، 2، 313)، حسب ابن أبي دينار فان رجلا طعنه وهو ساجد في صلاة المغرب لأنه سمعه يقول لمحمد بن يزيد الأنصاري : الحمد لله الذي مكنني منك، والله لو حال القضاء بيني وبينك لسبقته اليك (المؤنس، ص: 39) .

7) فتوح، ص: 88؛ الرقيق القيرواني : تاريخ افريقيا والمغرب ، ص: 99 .

القوة والكثرة ، ولأن أعدادا كثيرة منها اعتنقت الإسلام ، منذ انتصار حسان بن النعمان على الكاهنة ، فشاركوا في تكوين جيش المسلمين (1) ، ومن ثم كانوا حرسا للعمال. وقد يكون عبد الله بن موسى بن نصير (2) لعب دورا في ذلك الحدث ، لأن مسلم طلب منه أن يعطي أرزاق الجند من ماله لمدة خمس سنين (3) ، وهذا ما بلغ بشرا بن صفوان الكلبي، عندما بعثه الخليفة يزيد بن عبد الملك (101 ـ 105هـ / 720 ـ 724م) على ولاية المغرب ووصله سنة 103هـ / 721 ـ 722م(4)، و «شهد على ذلك خالد بن حبيب القرشي وغيره، فكتب يزيد الى بشر ابن صفوان، يأمره بقتل عبد الله ...» (5).

وقد اجتمع رأي أهل افريقية بعد قتل يزيد بن أبي مسلم، على محمد بن يزيد القرشي(6) أو محمد بن أوس الأنصاري(7) ، فولوه على أنفسهم وبعثوا يخبرون الخليفة يزيد بما جرى، مبينين له أنهم قتلوا عامله لأنه سار فيهم بالجور، وأنهم لم

1) أنظر : ما قبل ، ص : 35 فا بعدها .

2) عنه أنظر : (: : E. I., t. I, (*art.* Abd. Allah. Allah b. Musa b. Nusaïr), pp. 28. 29

3) فتوح، ص: 87، تاريخ اليعقوبي، 2، 313؛ حسب اليعقوبي فان يزيد بن أبي مسلم وجد عبد الله مسجونا في افريقية(تاريخ اليعقوبي ، 2، 313)، وحسب ابن عبد الحكم فإنه اصطحبه معه من المشرق (فتوح ، ص: 87)، ويؤيد حسين مؤنس هذا الأخير مبينا ان ذلك ربما يكون بسبب بغية يزيد في استغلال معرفة عبد الله بشؤون البلاد للاستعانة به، غير أن رأي يزيد تغير، عندما لاحظ استقبال انصاره له ومكانته في هذه البلاد ، فقام بتصرفه ذلك ليضعه في مركز حرج ويبغضه الى نفوس انصاره (فجر الأندلس، ص: 158)

4) (EN-NOWEIRI : *Conquête*, p. 357.) الرقيق القيرواني : نفس المصدر ، ص : 102 ، الاستقصا 1، 47، حسب ابن عبد الحكم، أنه قدمها سنة 102هـ / 720 ـ 721م (فتوح، ص: 89)؛ يرى حسين مؤنس أن الخليفة لم يغضب لمقتل عامله لأنه لم يرض عن تصرفاته عندما شرحها له أهل افريقية وهذا دليل على أنه لم يكن يعلم شيئا عن الوسائل التي لجأ اليها في عسف البربر (فجر الأندلس، ص: 151 ـ 152؛ ثورات البربر، ص: 145 ـ 146) .

5) ابن عبد الحكم : فتوح، ص: 89؛ يقول النويري ان عبد الله قتل في عهد ولاية محمد بن يزيد بأمر من الخليفة سليمان بن عبد الملك (أي قبل مجيء يزيد بن أبي مسلم) (*Conquête*, pp. 353-354

6) EN-NOWEIRI : *Conquête*, pp. 356-357) ابن أبي دينار : المؤنس، ص: 39 .

7) فتوح، ص: 88؛ أنظر : مؤنس حسين : فجر الأندلس، ص: 146، ثورات البربر، ص: 152 .

يخلعوا له طاعة(1)، فعفى الخليفة عنهم، وأقر الوالي الذي اختاروه، ثم صرفه ببشر بن صفوان .

فالسياسة الرسمية لم تهتم أبدا بطريق القلوب (نشر الاسلام)، منذ أن تولى يزيد شؤون المغرب الاسلامي(2) ويرجع سبب هذا الاهمال، بدون شك، الى انشغال الولاة بالمنازعات التي كانت تغذيها العصبية القبلية، من ذلك أن بشرا بن صفوان، لما قتل عبد الله بن موسى، بأمر يزيد بن عبد الملك، استولى على أموال موسى بن نصير وعذب عماله (3) ، كما أرسل الى الأندلس عاملا كلبيا هو : عنبسة بن سحيم الكلبي(4) ، بدلا من الحر بن عبد الرحمن القيسي(5)، ولما مات بشر في شوال سنة 109 هـ/فبراير مارس 729 م استخلف على افريقية ابن قرط الكلبي(6) .

وصرف الخليفة هشام بن عبد الملك(7) (105هـ ـ 125هـ / 724 ـ 743م) ابن قرط بعبيدة بن عبد الرحمن القيسي سنة 110هـ (8) / 728 ـ 729م، فأغرم وعذب وسجن عمال بشر (9)،حتى أن الرقيق القيرواني يرد سبب عزل هشام لعبيدة إلى شكوى بعث بها أبو الخطار الكلبي مع الأبرش الكلبي ، وتضمنت أربعة أبيات شعرية من البحر الطويل هي :

---

1) *Conquête*, p. 357) المؤنس، ص: 39، حسب ابن عبد الحكم فان الذي أخبر الخليفة هو محمد بن أوس (فتوح، ص: 88) .

2) TALBI MOHAMED : *l'Emirat aghlabide*, p. 40. Paris. 1966.

3) فتوح، ص: 91 .

4) نفسه، أو عبد الله بن سحيم الكلبي (الرقيق القيرواني : نفس المصدر، ص: 102)، حسب ابن أبي دينار فقد بعث عقبة بن الحجاج (المؤنس، ص: 39) .

5) نفسه،يسميه الرقيق القيرواني الحسن بن عبد الرحمن القيسي (تاريخ افريقيا والمغرب، ص: 102). يقول اليعقوبي : بأنه أرسل يحي بن سلمة الكلبي بدلا من عنبسة بن سحيم الكلبي الذي استشهد في احدى الغزوات (تاريخ اليعقوبي ،2، 318) .

6) ابن أبي دينار : المؤنس، ص: 130، هو تغاش بن قرط الكلبي (فتوح، ص: 91) .

7) عنه أنظر : E. I., t. 2, (*art.* Hisham b. Abd-Al-Malik), pp. 337-338 :

8) فتوح، ص: 91؛ المؤنس، ص: 39 .

9) EN-NOWEIRI : *Conquête*, p. 358. الرقيق القيرواني : تاريخ، ص: ؛105؛ الاستقصا. 1، 48 .

أفاءت بنو مروان قيسا دماءنا   وفي الله ان لم يعدلوا حكم عدل
وقيناكم حر القنا بصدورنا   وليس لكم خيل سوانا ولا رجل
فلما بلغتم نيل ما قد أردتم   وطابت لكم فينا المشارب والأكل
تغافلتم عنا كأن لم نكن لكم   صديقا وأنتم ما علمتُ لنا وصل

فلما قرأ الأبرش هذه الأبيات على هشام، غضب وعزل عبيدة في شوال سنة 114هـ / يناير - فبراير 733م ، ثم ولى مكانه عبيد الله بن الحبحاب (1) وهو «مولى بني سلول بن قيس» (2)، وكان وصوله الى افريقية، حسب بعض المؤرخين سنة 116هـ (3) / 734 ـ 735م، لكنه من المستعبد أن يتأخر وصوله الى مقر عمله كل هذه المدة بل قد يكون وصل الى افريقية في نفس السنة التي عين فيها أي سنة 114هـ / 733م كما ذكر السلاوي(4) .

لم يؤذ عبيد الله رجال الادارة السابقين له، وذلك راجع الى أنهم قيسيون مثله(5)، وراح يتبع خطة أخرى، مبنية، حسب ما يبدو، على غزو القبائل البربرية التي لم تعتنق الاسلام بعد وكذلك جزر البحر الأبيض المتوسط ، لغرض جمع الغنائم والسبي ، وقد اختار لتنفيذ هذه المهمة حبيبا بن أبي عبيدة ، حفيد عقبة بن نافع .

---

1) تاريخ افريقيا والمغرب، ص: 105 ـ 106؛ الاستقصا، 1، 48، حسب المؤرخين الآخرين فان عبيدة هو الذي طلب من هشام اعفاءه من منصبه فأعفاه في رمضان سنة 114هـ / ديسمبر 732م يناير 733م، (فتوح ، ص : 93 ، تاريخ اليعقوبي ، 2 ، 297) ، يحدد ابن أبي دينار تاريخ اعفائه بسنة 110 هـ/ 728 ـ 729م (المؤنس ،40)، ويرى حسين مؤنس أن هشاما عزل عبيدة في اطار محاولة القيام باصلاح سياسي بعدما أحس بضعف المسلمين ، عندما هزموا في بواتييه في رمضان سنة 114هـ / ديسمبر 732م ـ يناير 733م (ثورات البربر، ص: 155 ـ 156) .

2) ابن القوطية القرطبي : تاريخ افتتاح الأندلس، ص: 40؛ هو مولى بني مخزوم
(EN-NOWEIRI : *Conquête*, p. 359)

3) في شهر ربيع الآخر 116هـ / يونيو- يوليو 734 (فتوح، ص: 93)، أو في ربيع الأول أو الثاني / / مايو ـ يونيو- يوليو (ابن الأبار : الحلة السيراء ،، 236 ، البيان ، 1 ، 51) ، أو في ربيع الأول / مايو ـ يونيو
EN-NOWEIRI : *Conquête*, p. 359.

4) الاستقصا ،1 ،48؛ استخلف على افريقية عقبة بن قدامة التجيبي (فتوح، ص: 93، المؤنس، ص:40).

5) يرى مؤنس أنه كان شديد العصبية العربية، لا يقيم لغير العرب وزنا فجعل يعسف البربر ويتتبع اليمنية، فعذبهم وعذب أتباعهم ومنهم أنصار بني نصير ومن بينهم عبد الأعلى ابن جريج الافريقي الذي كون لنفسه عصبية بربرية بنواحي طنجة (ثورات البربر، ص: 166) .

انطلق حبيب غازيا سنة 116هـ / 734م، حتى بلغ السوس الأقصى حيث أصاب من الغنائم والسبي «أمر عظيما»(1)، ورجع تاركا الخوف والرعب في قلوب الناس(2)، ثم قام بحملة على جزيرة سردينية سنة 117هـ / 735 ـ 736م ففتح رجاله «منها ونهبوا وغنموا وعادوا»(3)، وفي سنة 122هـ / 739 ـ 740م، سار بحملة أخرى الى جزيرة صقلية ومعه عبد الرحمن(4).

غير أن حملة صقلية هذه، كانت في وقت غير مناسب، لأن الجو كان متوترا الى آخر حد، آنذاك. ذلك «أن خلفاء بني أمية بعد أن اتسع ملكهم وتعقدت مطالب الحياة في دولتهم وأخذوا بجميع مظاهر البذخ في قصورهم، اضطروا الى الاشتطاط في فرض الخراج والجزية في مواجهة نفقاتهم وأعباء ملكهم، وبالغوا في جباية الضرائب من المسلمين بصفة عامة ومن المغاربة بصفة خاصة، الذين كانوا يمثلون في نظرهم مصدرا جديدا للضرائب لأنهم كانوا حديثي عهد بالاسلام»(5)

فكانوا: «يستحبون طرائف المغرب ويبعثون فيها الى عامل افريقية» (6)، لذلك اتبع عمال هذه الولاية نفس الطريق الذي رسمه لهم الحجاج في العراق، للحصول على الضرائب فأصبحوا يعاملون المغلوبين ـ مسلمين كانوا أم غير مسلمين ـ معاملة تنطوي على الغطرسة الشديدة والصرامة البالغة، وخاصة منهم القيسيين لأن اليمنيين على الأقل، عندما لا يكونون في الحكم، يضمون أصواتهم الى أصوات المضطهدين في التنديد بسياسة تحصيل الضرائب (7).

---

1) ابن الأثير: الكامل، 3، 222، البيان، 1، 51؛ تاريخ افريقيا والمغرب، ص: 107.

2) نفسه؛ نفسه.

3) نفسه، حسب ابن تغري بردي فان عبيد الله قام في نفس السنة (117هـ / 735 ـ 736م) بحملة على عدة بلاد من المغرب فغنم وعاد سالما، (النجوم الزاهرة، 1، 275).

4) نفسه؛ تاريخ افريقيا والمغرب، ص: 107؛ الاستقصا، 1، 48.

5) أحمد أمين: ضحى الاسلام، 1، 28، أنظر:

MARÇAIS (G.), *La Besbérie musulmane et l'Orient au Moyen Age*, p. 43.

6) البيان، 1، 52.

7) دوزي .ر: تاريخ مسلمي اسبانيا، ص: 140 ـ 141.

ويوجد ملخص لتلك السياسة في التقرير الشفهي الذي كلف به وفد مسيرة (1) الأبرش (2) ليبلغه أمير المؤمنين هشاما ومضمونة : «إن أميرنا يغزو بنا وبجنده ، فاذا غنمنا نفلهم (دوننا) ويقول: هذا أخلص لجهادكم، واذا حاصرنا مدينة قدمنا وأخرهم ويقول : هذا ازدياد في الأجر ومثلنا كفى اخوانه ثم انهم عمدوا الى ما شيتنا فجعلوا يبقرون بطونها عن سخالها يطلبون الفراء البيض لأمير المؤمنين فيقتلون ألف شاة في جلد(3) فاحتملنا ذلك ثم أنهم ساموا أن يأخذوا كل جميلة من بناتنا...» (4)

ومع أنه ليس هناك ما يشير الى أي القبائل ينتمي أعضاء هذا الوفد، فان التدقيق في محتوى هذا التقرير يبين أنهم طرحوا ثلاث مشاكل .

1) مشكلة تقسيم الغنائم ودفع المغاربة الى الخطر عند محاصرة المواقع .
2) مشكلة المبالغة في قتل الأغنام لغرض جمع الفراء البيض .
3) مشكلة أخذ البنات الجميلات من أهالهن .

والذي يلاحظ هنا أن المشكلة الأولى تمس المغاربة الذين انضموا الى جيوش المسلمين والمعروف أن أكثرية هؤلاء كانوا من زناتة (5) .

المشكلة الثانية تمس مربي المواشي، أي البدو الرحل بالدرجة الأولى، وأغلب هؤلاء أيضا من زناتة (6) .

أما المشكلة الثالثة فهي تمس كل السكان، لأن الجمال يوجد في كل مكان. من هنا يمكن القول بأن الوفد يضم ، من بين أعضائه ، زناتيين ولكن ليس من السهل تقدير عددهم ..

---

1) أنظر : ما بعد ، ص : 66 .
2) لم نعثر على ترجمته .
3) حسب صاحب أخبار مجموعة فان القول بأن الأئمة كانوا يكتبون الى عمال طنجة في جلود الخرفان العسلية فتذبح مائة شاه فربما لم يوجد منها سوى جلد واحد هو قول أهل البغض للأئمة (مؤلف مجهول : أخبار مجموعة، ص: 32) .
4) ابن الأثير : الكامل ،3، 47 .
5) أنظر : ما قبل ، ص : 58 فا بعدها .
6) أنظر : ما قبل ، ص : 15 فا بعدها .

هذه السياسة التي بدأت في عهد يزيد بن أبي مسلم بلغت ذروتها في عهد ابن الحبحاب الذي منى بني أمية بالكثير من طرائف المغرب «وتكلف لهم أو كلفوه أكثر مما كان . فاضطر الى التعسف وسوء السيرة» (1) ويبدو أنه اعتمد في تنفيذ سياسته تلك، بصفة خاصة، على حبيب بن أبي عبيدة الذي انطلق يغزو القبائل الواحدة تلو الأخرى(2)، وعلى عمر بن عبيد الله المرادي «عامل طنجة وما ولاها»(3) الذي ارتكب نفس الأخطاء التي ارتكبها يزيد بن أبي مسلم، فأراد أن يخمس البربر زاعما لأنهم فيء المسلمين (4) .

لكن أصحاب هذه السياسة أخطأوا التقدير وعجزوا عن فهم بعض الحقائق الأساسية : فالبربر أقبلوا على الاسلام حبا في المساواة (5) كما أنهم جنس غضوب ومحارب ، شديد الغيرة على حريته ، فهم يتشابهون مع العرب في نواحي كثيرة : فهم مثلهم بدو رحل ، في أرض محدودة ، ويشنون الحرب على منوالهم ، ثم أنهم ألفوا الاستقلال منذ القديم ، مثل العرب ، فالاستعمار الروماني ظلت سيطرته مقصورة على الساحل الشمالي . ويتبع العرب والبربر نفس النظام السياسي (أي الديمقراطية المتأثرة بنفوذ العائلات الشريفة ، ومن هنا وجد العرب فيهم ، أعداء أشد شكيمة من الجند المرتزقة وشعوب فارس وامبراطورية الروم المغلوبة ، عندما حاولوا اخضاعهم(6). لا سيما وأن المغرب «قد أصبح أرضا للاسلام ... يقدم جنودا

---

1) البيان، 1، 52 .

2) أنظر : ما قبل ، ص : **66** فما بعدها .

3) البيان ، 1، 51؛ (*Conquête*, p. 359.) حسب ابن الأثير فان عامل طنجة هو اسماعيل ابن عبيد الله ابن الحبحاب وكان عمر بن عبد الله المرادي معه (الكامل ، 3 ، 22) .

4) ابن الأثير : الكامل ، 3، 222، البيان ، 1، 52، (EN-NOWEIRI : *Conquête*, p. 359.) الرقيق القيرواني : تاريخ، ص: 108، الاستقصا ، 1، 48، حسب ابن خلدون فان عمر أوطأ بلاد السوس وأثخن في البربر. وانتهى الى مسوفة ودخل البربر منه الرعب. وبلغه أن البربر أحسوا بأنهم فيء المسلمين فانتقضوا عليه (العبر ، 6، 221، ط. بيروت) .

5) ما جد عبد المنعم : التاريخ السياسي ، 2، 318 .

6) دوزي : تاريخ مسلمي اسبانيا ، 1، ص: 138 ـ 139 .

مستعدين للاستشهاد في سبيل نشر الحقيقة»(1)، وجاء من استغل هذه النقطة في الوقت المناسب ألا وهم الدعاة الخوارج .

نشاط الدعاة الخوارج في المغرب الاسلامي :

يستنتج من قول أبي قرة لمبعوث عمر بن حفص الذي كان محاصرا بطبنة سنة 154هـ/ 770 ـ 771م : « بعد أن سلم علي بالخلافة أربعين سنة أبيع حربكم بعرض قليل من الدنيا» (2) يستنتج من هذا القول أن دعاة الخوارج الصفرية أخذوا يتوافدون على المغرب سنة 114 هـ 732 ـ 733 م أو قبل ذلك (3) ويؤيد هذا الرأي قول النويري بأن عكاشة الصفري «كان على مقدمة الشاميين عندما دخلوا إفريقية مع عبيد الله بن الحبحاب» (4) الذي يكون قد دخلها سنة 114 (5) / 732 ـ 733 .

ويذكر أبوزكريا اسم أول دعاة الصفرية وهوعكرمة مولى ابن العباس ويقول بأنه قدم المغرب مع أول دعاة الأباضية وهو سلمة بن سعيد ، (6) غير أن أبا زكريا لا يشير الى تاريخ وصولها .

أما الطريقة التي اتبعوها لنشر ارائهم فهي الدعوة « باسم الدين وحده ، وهو أحسن شيء يتفق مع ميزاج البربر ... » (7) . ومع ذلك فان زعماء هؤلاء ، على

---

1) MARÇAIS (G.), *La Besberie musulmane* et *l'Orient au Moyen Age*, p. 43.

2) أنظر : ما بعد ، ص : 90 .

3) لأنه عند حذف أربعين سنة من أربعة وخمسين سنة يتبقى أربعة عشر ومائة سنة (154 ـ 40 = 114) وهو التاريخ الذي يكون قد بويع فيه أبو قرة لأول مرة وما من شك أن البيعة تتطلب التحضير، والتحضير يتطلب وقتا .

4) EN-NOWEIRI : *Conquête*, p. 362.

5) أنظر : ما قبل ، ص : 61 فا بعدها ، حسب (TALBÏ MED. *l'Emirat aghlabide*, p. 37) فان الصفرية ظهروا حوالي سنة 117 هـ/ 735 ـ 736م في المغرب

6) أبو زكرياء : السيرة، مخطوط خاص، ورقة2، يرى حركات ابراهيم أن الخوارج صحبوا الجيوش الاسلامية التي حاربت في مختلف الأقطار، وجاءوا الى شمال افريقية بصفتهم محاربين (المغرب عبر التاريخ، المجلد1 ص: 102) .

7) BEL-ALFRED : *la Religion musulmane en Berbérie*, p. 147. أنظر : عبد المنعم ما جد: التاريخ السياسي ،2، 308، حسب بعض المستشرقين أن هؤلاء الدعاة كانوا من رجال الدين والجنود (أنصاف وعاظ وأنصاف محاربين) الذين أرادوا أن يأخذوا بثأرهم من أهل السنة بما كانوا يقومون به من أعمال، (دوري : تاريخ مسلمي اسبانيا ،1، 147؛ بل .أ: الفرق الاسلامية، ص: 146).

مايبدو ، لم يعتنقوا تلك الأفكار بسهولة ، من أول مرة ، وهذا ما يمكن استنتاجه من قولهم : « لا نخالف الائمة بما تجني العمال (ولا نحمل ذلك عليهم) فقالوا لهم (أي الدعاة) : انما يعمل هؤلاء بأمر أولئك فقالوا حتى نخبرهم »(1)، كما يستنتج من هذا النص أيضا بأن الدعاة ركزوا على المظالم التي كان رجال الادارة يرتكبونها .

ثم اتفق الطرفان على ارسال وفد ، من بضعة وعشرين رجلا ، مع ميسرة الى الخليفة هشام بن عبد الملك ، بالشرق للتأكد من موقفه ازاء تلك المظالم ، وعندما ذهب الوفد ، لم يستقبله هشام ، ولما نفذت نفقات أعضائه اضطروا للرجوع بعد أن كتبوا اسماءهم ودفعوها الى وزراء هشام طالبين منهم أن يخبروه بذلك إن هو سأل عليهم (2) . هكذا عادوا مقتنعين ، بدون شك ، بما كان يقوله لهم الدعاة من أن كل الخلفاء ، ابتداء من عثمان بن عفان ، كانوا مغتصبين وكفارا ، مأواهم جهنم وبئس المصير . ومن ثم لا يعتبر الخروج عليهم اثما بل حقا وواجبا لأنهم سلبوهم أموالهم ونساءهم . ولما كان الأمويون قد أبعدوهم عن السلطة باستثناءحكم القبيلة ، فقد اقتنعوا بسهولة أن مبدأ سيادة الشعب ، وهو مبدأ عرفوه منذ القديم ، هومبدأ اسلامي وأن أي بربري يمكنه أن يتولى الخلافة (3) .

وقد انتشرت هذه الأراء بسرعة بين الذين كانوا يحنون الى حياة ما قبل الاسلام أو بدايته ، بعيدا عن سيطرة الدولة ، والذين بقوا متمسكين بحياة البداوة البسيطة وبين بعض الساخطين الذين سلبت أموالهم ، وبين أهل الورع والتقوى وابناء الطبقات الدنيا في المجتمع ، عملا بآرائهم في المساواة ، كل هؤلاء كانوا يرون

---

1) ابن الأثير : الكامل ، 3، 47 .

2) نفسه؛ حسب حسين مؤنس فانه ليس هناك ما يدل على سفر ميسرة الى المشرق لكن الذي يمكن استخلاصه من هذه الرواية هوأن زعماء البربر حاولوا بسط شكايتهم أمام الخلفاء قبل أن يلجأوا الى الثورة، (ثورات البربر، ص: 56، هامش1)؛ حسب محمد مكي فان هذه المعاملة السيئة لهؤلاء الزعماء، كانت عاملا مباشرا دفعهم الى الثورة (الخوارج في الأندلس، تطوان، مجلة الأبحاث المغربية الأندلسية) ،1، 1956 ، ص: 69 .

3) دوزي : تاريخ مسلمي اسبانيا ،1، 147، بل.أ، الفرق الاسلامية، ص: 146، أنظر : حسن أحمد محمود : حضارة العرب في المغرب والأندلس وصقلية، ص: 96ـ 97 .

أن الخارجية أحسن فرس لهم لخوض المعركة ضد تعسف السلطان أو ضد الخضوع (1).

هكذا مكنت الخارجية «البربر من اعطاء شكل ديني لمطالبهم السياسية والاقتصادية» (2) وقد اعتنقوها لانهم وجدوا فيها الأساس الذي يمكنهم من التمرد على النظام السياسي القائم(3). فالخوارج كانوا «يكافحون ضد نظام الحكم القائم أكثر مما كانوا يكافحون من أجل انشاء نظام جديد بمعنى الكلمة» (4).

ويمكن «أن نقدر مدى نجاح دعوة الخوارج بين البربر في أنها كانت تدعوهم الى المساواة وأن البربر أقبلوا على الاسلام حبا في المساواة» (5)، ولم يبق عليهم سوى أن يختاروا الظروف المناسبة للثورة على تلك الأوضاع .

الثورات الصفرية بالمغرب الاسلامي :

(أ) ثورة ميسرة ، وخالد بن حميد الزناتي :

لقد أظهر زعماء الصفرية مهارة في اختيار مكان انطلاق عملياتهم الحربية، في أبعد المناطق عن قاعدة افريقية، أي الناحية الغربية من المغرب الأقصى، بالذات في منطقة طنجة، ولعل هذا راجع الى أن ذلك المكان متهيأ للثورة أكثر من الأماكن الأخرى (6).

---

1) بل .أ. الفرق الاسلامية، ص: 45 (TALBI MOHAMED : *l'Emirat aghlabide*, p. 155.

2) Un groupe d'Instituteurs: *l'Afrique du Nord musulmanes*, 2ᵉäᵉ numéro spècial de l'Ecole république, année 1950-1951, p. 13.

3) CHEIKH BEKRI : *Le Kharidjisme*, p. 160.

يوجه منها قواته نحو المغرب الأقصى (1) وقد وجه مصالة على رأس أول حملة في ذي الحجة سنة 304 هـ (2) / يونيو - يوليو 917 م وتمكن من الاستيلاء على نكور (3) في 4 محرّم سنة 305 هـ / يونيو 917 م بعد قتل رئيسها سعيد بن صالح (4) ثم قصد فاسا (5) فهزم أميرها يحي بن ادريس بن عمر بن ادريس وصالحه على أن يبايع لعبيد الله المهدي (6) وعلى مال يدفعه له (7) ثم عقد له على فاس (8) «وعقد لموسى بن أبي العافية المكناسي ... على أعمال المغرب» (9) وكان موسى قد هاداه وقاتل معه فحسنت منزلته لديه (10) وولاه ثم عاد من حيث أتى (11) ولا تشير المصادر الى أي صدام أو أي تحالف بين مصالة وزناتة في

---

1) انظر : حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص : 85 - 96 .
2) البكري : المغرب ، ص : 95؛ البيان ، 1 ، 175 - 179 .
3) نكور : مدينة أسسها سعيد بن ادريس بن صالح بن منصور وتقع على بعد 5 أيام من مدينة زواغة ، وهي بين نهرين أحدهما نهر نكور وبه سميت ، وبينهما وبين البحر خمسة أميال (البيان ، 1 ، ص : 176) ؛ وصارت فيما بعد تسمى مرسى بوزكور (الإدريسي : صفة المغرب ، ص : 171) ، وتسمى اليوم الحسيمة JULIEN (CH-.A.) *Histoire de l'Afrique du Nord*, t. II, p. 59).
4) البكري : المغرب ، ص ، 95 - 96 ، البيان ، 1 ، 175 ، وهوسعيد بن صالح بن سعيد بن ادريس ابن صالح بن منصور (البكري : المغرب ، ص : 97) ، وصالح بن منصور كان يعرف بالعبد الصالح (البيان ، 1 ، 176) .
5) يلاحظ أن البكري ذكر أن مصالة مكث ستة أشهر في نكور ثم عاد الى تاهرت (المغرب ، ص : 96) دون أن يذكر أنه مر بفاس ويوافقه في ذلك ابن عذاري (البيان ، 1 ، 175) ؛ في حين يذكر مؤرخون آخرون أنه ،قام بحملته الأولى على فاس سنة 305 هـ ولم يشيروا الى استيلائه على نكور فيها (القرطاس ، ص : 48 - 49 ؛ بغية الرواد ، ص : 80 - 81 ؛ أعمال الإعلام ، 3 ، 210 - 211 ؛ الاستقصا ، 1 ، 79 - 80) ؛ ويقول ابن خلدون (عبد الرّحمن) بأن حملته الأولى كانت سنة 308هـ / 920 - 921 م (العبر ، 4 ، 81 (ط . بيروت) .
6) العبر ، 4 ، 81 (ط . بيروت)؛ القرطاس ، ص : 48 ؛ أعمال الإعلام ، 3 ، 210 ؛ الاستقصا ، 1 ، 79 - 80 .
7) القرطاس ، ص : 48 ؛ الاحتقصا ، 1 ، 79 - 80 .
8) الاستقصا ، 1 ، 80 .
9) العبر ، 4 ، 81 ؛ قارن مع القرطاس ، 48 ، الاستقصا ، 1 ، 80 ؛ حسب ابن الخطيب فإن مصالة قدم موسى أميرا على تسول وبلاد تازة (أعمال الإعلام ، 3 ، 310) .
10) القرطاس ، ص : 48 ؛ الاستقصا ، 1 ، 80 .
11) حسب ابن أبي زرع فقد عاد الى القيروان (القرطاس ، ص : 48) ، حسب ابن الخطيب فقد عاد الى افريقية (أعمال الاعلام ، 3 ، 310) ، يرى JULIEN (CH-.A.) أن ارسال المهدي لهذه الحملة بعد =

هذه الحملة . وقد قام مصالة بحملة أخرى سنة 309 هـ (1) / 921 ـ 922 م فاستعاد نكور من بني صالح (2) وقصد فاسا (3) فاستولى عليها ونفى أميرها يحيى بن ادريس الى ناحية مدينة أصيلا (4) وولى عليها ريحانا الكتامي (5) ثم سار الى سجلماسة فاستولى عليها «وانتهب أموالها ، وقتل بها أحمد بن مدرار (6)

= اخفاقه في الاستيلاء على مصر والمشرق الذين يمثلان انشغالاته الرئيسية ، يبعث على الإعتقاد بأن يكون قد تنبه أن فشله في المشرق يعود الى ضعفه في افريقية ، .(*Le Passé de l'Afrique du Nosd*, t. II, p. 59 كما يستنتج .TERRASSE (H.) من تولية المهدي لمصالة بن حبوس الذي كان يرأس المجموعة الشرقية من مكناسة وكانت تمسك .(Tenaient) تاهرت ، ثم موسى بن أبي العافية الذي كان يرأس مجموعتها الغربية ، وكانت تحتل جزء كبيرا من مراكش الشرقيّة (Maroc oriental) ، أن الفاطميين حاولوا ايجاد حلفاء في نفس المكان وأن حملاتهم الأولى اعتمدت على مكناسة التي كانت منتشرة شمال المغرب .(*Histoire du Maroc*, t. I, p. 183

1) القرطاس ، ص : 49 ؛ العبر ، 4 ، 81 (ط . بيروت) بغية الرواد ، ص : 8 ؛ أعمال الاعلام ، 3 ، 210 ؛ يحدد البكري تاريخها سنة 307 هـ / 919 ـ 920 م ، المغرب ، ص : 125 ، ويحدده ابن عذاري بسنة 308 هـ / 920 ـ 921 م (البيان ، 1 ، 183) .

2) يتفق البكري وابن عذاري أن سبب قيام مصالة بهذه الحملة يرجع الى أنه بعد انصرافه من الحملة الأولى افترق على عامله على نكور دلول ، أصحابه وعلم بذلك بنو صالح الذين كانوا قد لجأوا الى مالقة بالأندلس فعادوا اليها وتولى الإمارة أخوهم الأصغر صالح اليتيم ، بعد أن قتل دلولا ومن بقي معه من أصحابه ، ولما علم مصالة بذلك قام بحملة ثانية (المغرب ، ص : 96 ـ 97 ؛ البيان ، 1 ، 180) ، يرى Terrasse (H.) أن سبب قيامه بالحملة الثانية يرجع الى أن أمير فاس يحي بن ادريس حارب موسى بن أبي العافية بعد عودة مصالة (*Histoire du Maroc*, t. I, p. 183)

3) البيان ، 1 ، 183 .

4) القرطاس ، ، ص . 49 ؛ الاستقصا ، 1 ، 80 ، أعمال الاعلام ، 3 ، 211 ، ترد المصادر سبب هذا النفي الى أن موسى حاول الظهور والاستبداد بالمغرب فمنعه يحي ونجح في ذلك بفضل نسبه وكرمه ودينه وعدله ، فلما قدم مصالة تقرب منه موسى فقبض عليه واستصفى أمواله ونفاه الى أصيلة ... (القرطاس ، 48 ـ 49 ، الاستقصا ، 1 ، 80 ، قارن مع ابن الخطيب أعمال الاعلام ، 3 ، 210 ـ 211 ، البكري : المغرب ، ص : 126 ، ابن خلدون (يحي) : بغية الرواد ، 81) وتقع أصيلا على سواحل المحيط الأطلسي وعلى بعد حوالي 50 كلم الى الجنوب وجنوب غرب طنجة
(E. I (*art.* Asila), t. II, pp. 727-728; Nelle édition).

5) ابن عذاري : البيان ، 1 ، 188 ، بغية الرواد ، ص : 81 ؛ أعمال الاعلام ، 3 ، 211 ، الاستقصا ، 1 ، 80 ، يسميه البكري ريحانا بن عليّ الكتامي (المغرب ، ص : 126) ، ويسميه ابن ابي زرع ريحانا المكناسي (القرطاس ، ص : 49) ؛ حسب ابن خلدون (عبد الرّحمن) فان مصالة ضم فاسا الى أعمال موسى (العبر ، 4 ، 81 (ط . بيروت) .

6) هو أحمد بن ميمون بن مدرار : ولي امارة سجلماسة بعد موت أخيه «الفتح» سنة 300 هـ / 912 ـ 913 م واستقام أمره الى أن قتله مصالة (الزركلي : الأعلام ، 8 ، 77) .

(وولى عليها المعتز بن محمد بن مدرار (1)» (2) . وذلك سنة 309هـ (3) / (921 ـ 922 م) وبعدئذ جاء دور مهاجمة زناتة .

وقد اختلف كل من ابن خلدون وابن عذارى في تحديد تاريخ ومكان انطلاق هجومه عليها فالأول يحدده بسنة 309 هـ (4) / 921 ـ 922 م ، ويقول بأنه انطلق من سجلماسة (5) «ولقيه محمد بن خزر في جموع مغراوة وسائر زناتة ففل عساكر مصالة وخلص اليه وقتله» (6) . أما الثاني فيقول بأن مصالة ، بعد استيلائه على سجلماسة ، انطلق الى المهدية في شعبان سنة 310 هـ / ديسمبر 922 م فبقي بها عدة أيام ثم عاد الى تاهرت ، وفي سنة 312 هـ / 924 ـ 925 م خرج منها الى زناتة فقتل وسبى ثم أخرج خيلا الى بعض نواحي ابن خزر وكان فيها أكثر حماته بينما لم يكن مع مصالة الا نفر من أصحابه وعلم ابن خزر بذلك فقصده ، ودارت بينهما معركة قتل فيها مصالة وانهزم أصحابه يوم الجمعة 21 (لعشر بقين) شعبان سنة 312 هـ/ (7) نوفمبر ـ ديسمبر 924 م .

بعد ذلك بسنتين ، حسب ابن عذارى ، أي في سنة 314 هـ / 926 ـ 927 م «زحف ابن خزر الى تيهرت وحاربها ، فانهزم عنها ، وأخرج عبيد الله في اثره موسى بن محمد الكتامي في جماعة من القواد : (فلما صاروا بطبنة)

---

1) هو المعتز بن محمد بن سارو بن مدرار ، ولاه مصالة على سجلماسة واستقام أمره الى أن مات سنة 321 هـ / 933 ـ 934م ، (الاعلام ، 8 ، 77) .

2) البيان ، 1 ، 185 ، لم يذكر ابن خلدون اسم العاملين لكنه يقول بأن الثاني ابن عم الأول (العبر ، 4 ، 81 (ط . بيروت) ؛ يلاحظ GAUTIER (E.F.) أنه بقضاء القاطميين على امارات تاهرت وسجلماسة وفاس حطموا التوازن الذي عاش عليه المغرب منذ قرن *Le Passé de l'Afrique du Nord*, p. 360.

3) البيان ، 1 ، 185 ؛ الاعلام ، 8 ، 77 (ط . الثانية) .

4) العبر ، 2 ، 35 ، (ط . دوسلان) .

5) العبر ، 4 ، 81 ، (ط . بيروت) .

6) العبر ، 2 ، 35 ، (ط . دوسلان) .

7) ابن عذاري : البيان ، 1 ، 189 ، يرى Fournel ان التاريخ الذي حدده ابن عذاري يتفق أحسن مع مجموع الأحداث ، حسب ABDELLAH LARAOUI فان الذي دفع مغراوة الى التصدي لمصالة وقتله هي المصالح ودسائس الأمويين *His. du Maghreb*, p. 128 الا أنه لم يكن هناك ما يدل على التدخل الأموي في المغرب آنذاك .

دخل محمد بن خزر الصحراء ، وأبقى أخاه (عبد الله) مع وجوه رجاله بوادي مطماطة فدارت بينه وبين جند الشيعي (1) حرب عظيمة ، كان الظفر فيها والغلبة لابن خزر (ثم أخرج عبيد الله اليه اسحاق بن خليفة وأصحابه) وخالفت على الشيعي لماية وما جاورها من القبائل ، واستمدوا بابن خزر. فكتبوا «أي أصحاب عبيد الله) الى عبيد الله مستمدين ، فأمدهم بجيش كثير ، فهزموه (أي أصحاب ابن خزر) وأرسلت هذه القبائل الى محمد بن خزر» فولى عليهم أخاه عبد الله ودارت بينه وبين جيوش الشيعي وقائع كثيرة» (2) ولم يذكر ابن عذاري أن تلك الوقائع كانت لصالح أحد الطرفين الا أن ابن حماد يقول بأن «محمد ابن خزر الزناتي ... أوقع بعسكر كتامة عليه أبو عروس واسحاق بن خليفة قائدان منهم» (3) .

مع أن المؤرخين كما يلاحظ ، يختلفان فيما ذكراه : فالأول يتحدث عن حملتين أخرجهما المهدي وعلى رأس كل واحدة قائد ، والثاني يتحدث عن حملة واحدة وعلى رأسها قائدان ، الا أنهما يتفقان على أن أحد هذين القائدين هو اسحاق بن خليفة ، أما القائد الثاني فيذكر أحدهما كنيته «أبو عروس» ويذكر الآخر اسمه «موسى بن محمد الكتامي» ومن ثم لا يستبعد أن يكونا قصدا شخصا واحدا يكون اسمه الكامل «أبو عروس موسى بن محمد الكتامي» لكنه من الصعب على الباحث أن يحكم رأيه فيما اذا كان الشخصان قائدين لجيش واحد أم لجيشين ، أما النصر فقد كان في النهاية لابن خزر كما هو واضح من كلام ابن حماد الذي يتفق مع ابن خلدون على أن المهدي أخرج حملة مع ابنه أبي القاسم الى ابن خزر (4) سنة 315 هـ (5)/ 927 م ـ 928 .

---

1) يقصد به عبيد الله المهدي .

2) ابن ،عذاري : البيان ، 1 ، 191 .

3) أخبار ملوك بني عبيد ، ص : 12 ، ويسمى أبا عروس في مكان آخر ابن عروس :
IBN-HAMMAD : *Documents inédits sur Obeïd Allah*, p. 10).

4) IBN-HAMMAD : *Documents inédits sur Obeïd Allah*, p. 10).
العبر ، 2 ، 35 (ط . دوسلان) ، لكن ابن خلدون يحدد تاريخ خروجها بسنة 310 هـ / 922 م ـ 923 م .

5) عن هذه الحملة أنظر : أخبار ملوك بني عبيد ، ص : 12 ، البيان ، 1 ، 191 ؛ الكامل ، 6 ـ 190 ؛ المؤنس ، ص : 57) ؛ حسب المقريزي فإنه خرج بسبب خارجي خرج عليه وقتل خلق (اتعاظ ، 1 ، 72) ولم يذكر اسمه ، يرى .FOURNEL (H.) أن سبب اخراج المهدي لهذه الحملة =

وقد انطلق أبو القاسم من المهدية (1) يوم 10 صفر (2) / أبريل ـ ماي 927 م وتوقف في الأربس عدة أيام ، جمع فيها المزيد من الرجال ، ثم سار الى باغاية فبلاد كتامة «وتقدم الى جبل فيه بنو برزال «وهم فرع من زناتة) (وقوم مكلاتة) (3) فامتنعوا عليه ، فحاربهم حتى فتح له عليهم» (4) وقصد مدغرة فسوق ابراهيم (5) حيث اضطر أن يقيم أكثر من شهر بسبب رداءة الطقس وانقطع الإتصال بينه وبين المهدية مدة طويلة «حتى ساءت الظنون من جهته» (6) ولما تحسنت الأحوال الجوية بعث بأخباره الى والده واستأنف تقدمه في اتجاه الغرب سنة 316 هـ / 928 م ـ 929 م ووصل الى برقجانة فحاصر حصنها المسمى أغزر وحطم سوره واستولى عليه بعد قتل وأسر جميع من كانوا فيه ثم واصل طريقه الى تاهرت بعدما أمن قبيلتي هوارة ولماية وكانت أجابتا الى طاعة الشيعة (7) .

وتتفق المصادر على أن أبا القاسم وصل في حملته هذه الى ما وراء تاهرت (8) أي الى نواحيها الغربية ويذكر ابن خلدون بعض التفاصيل عن هذه الحملة

= هو سباق الأحداث المزعجة التي كونت النوايا العدائية للأدارسة ومحمد بن خزر وخليفة الاندلس نفسه الذي كان متفقا مع أمراء نكور *Les Berbères*, t. 160 ويرى Terrasse (H.) أن هذه الحملة خرجت عندما تبين للمهدي أن سياسة الإعتماد على مكناسة غير كافية للتصدي الى الزناتيين *Histoire du Maroc*, t. I., p. 184.

1) مدينة تقع شمال القيروان وعلى بعد مرحلتين منه (معجم البلدان ، 4 ، 694) أو تقع على بعد 60 ميلا منه (البيان ، 1 ، 208) أسسها عبيد الله سنة 300 هـ / 912 م ـ 913 م على جزيرة حمة (البيان ، 1 ، 168 ـ 169) أو على جزيرة الحلفاء (معجم البلدان ، 4 ، 696 م) أو أنها أسست سنة 303 هـ / 915 م ـ 916 م (الحلة السيراء ، 1 ، 192 ؛ معجم البلدان ، 4 ، 698) وسميت المهدية نسبة الى مؤسسها (البيان ، 1 ، 208 ؛ معجم البلدان ، 4 ، 695) ؛ حسب أبي زكرياء فإن مؤسسها هو أبو القاسم بن عبيد الله وأنها تسمى القاسمية باسمه (السيرة ، ورقة ، 68) .

2) أخبار ملوك بني عبيد ، ص : 12 ؛ البيان ، 1 ، 191 .

3) مكلاتة : بطن من بطون ورسيف وهي بطن من بطون يطوفت بن نفزاو بن لوا (العبر ، 6 ، 231 (ط . بيروت) ولو ابن زحيك بن مادغيس الأبتر (العبر ، 6 ، 229 ـ 930) .

4) البيان ، 1 ، 191 .

5) مدينة على نهر شلف (ابن حوقل : صورة الأرض ، ص : 89) بينها وبين باجة مرحلة (الإدريسي : صفة المغرب ، ص : 83) بينها وبين تاجنة مرحلة (معجم البلدان ، 1 ، 810) .

6) البيان ، 1 ، 191 .

7) نفسه ، ص : 192 ـ 193 ؛ أنظر : FOURNELL (H.) : *Les Berbères*, t. II, p. 163.

8) الكامل ، 6 ، 190 ، اتعاظ ، 1 ، 72 ، العبر ، 4 ، 82 (ط . بيروت) ، البيان ، 1 ، ص : 193 .

فيقول بأن أبا القاسم عرج « الى الرّيف فافتتح بلد نكور من ساحل المغرب الأوسط ، ونازل صاحب جراوة (1) من آل ادريس وهو الحسن بن أبي العيش ، وضيق عليه ودوخ أقطار المغرب» (2) وفي مكان آخر يقول بأنه وصل الى ملوية ، وفر أمامه محمد بن خزر الى سجلماسة ، فرجع الى المغرب الأوسط وجال في نواحيه (3) فحملة ابي القاسم توقفت ، حسب ابن خلدون ، بملوية . ويذكر ابن عذاري بأنها توقفت في تامغلت (4) .

وعاد أبو القاسم من حيث آتى دون أن ينجز المهمة التي خرج من أجلها ، وهي القضاء على محمد بن خزر أو اخضاعه ، إما بسبب فرار هذا الأخير الى الصحراء (5) ، وإما بسبب رسالة وصلته من ابنه القاسم يخبره فيها أن الناس تحدثوا بمبايعة عبيد الله لابنه أحمد المكنى بأبي علي (6) وأنه صلى بالناس عيد الفطر وعيد الأضحى وكان أبو القاسم آنذاك في تامغلت ، منذ شهرين ، مناظرا لابن خزر ، وهو بموضع يقال له أورن ، فلما وصلته تلك الأخبار انصرف الى المهدية دون أن يلقاه (7) .

بداية التدخل الأندلسي في أحداث المغرب :

أقلق النشاط الفاطمي ، في المغربين الأوسط والأقصى ، أموبي الأندلس ، لما كان من عداء قديم باقي الأثر بين بني أمية وبني هاشم (8) ولأن الفاطميين منذ البداية فكروا في غزو بلاد الأندلس غربا ، كما فكروا في غزو مصر شرقا (9) ،

1) مرسى ومدينة جراوة تقعان شرق مدينة مليلة وعلى بعد ثمانية أميال من جزائر ملوية (البكري : المغرب ، ص : 89) .

2) ابن خلدون : العبر ، 4 ، 82 (ط . بيروت) .

3) نفسه ، 2 ، 36 (ط . دوسلان) .

4) البيان ، 1 ، 193 ، لم أعثر على ترجمة هذا المكان .

5) أخبار ملوك بني عبيد ، ص ، 12 ، العبر ، 4 ، 82 (ط . بيروت) ، العبر ، 2 ، 36 ، (ط . دوسلان) .

6) لم أعثر على ترجمته .

7) البيان ، 1 ، 193 ، حسب (.TERRASSE (H فقد هدأ أبو القاسم المغرب واستولى على تاهرت وتقدمت حملته الى نكور وجراوة حيث هزم الأدارسة السليمانيين ولم يتقدم أكثر لأن موسى بن أبي العافية كان يحكم البلد بحزم . (*Histoire du Maroc*, t. I, p. 184).

8) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص : 86 .

9) أنظر : العبادي (أحمد المختار) ، سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس ، ص : 205 .

لتكوين دولة اسلامية يسودها المذهب الشيعي . وأخذوا يمهدون لذلك ببث دعاة وجواسيس كانوا يستترون وراء التجارة أو العلم أو السياحة الصوفية (1) ولم يكتف الفاطميون بهذه العمليات التي لم تلق سوى نجاحا محدودا جدا (2) بل راحوا يستولون على تاهرت وسجلماسة ، وكانتا سوقين كبيرتين تتحكمان في المحورين التجاريين الشرقي والصحراوي ، ولهما أهمية اقتصادية كبيرة ، وكان الأمويون على ما يبدو ، يعتمدون على الثروات المعدنية للمغرب الأقصى خاصة الذهب الصحراوي الذي كان يتحول الى عملة في سجلماسة وأغمات (3) وفاس ثم تنتهي الى الأندلس عن طريق سبتة وتلمسان (4) وكان الفاطميون يعرفون أهمية ذلك لأن المهدي عاش لاجئا في سجلماسة ، لذلك حاولوا حرمانهم من الذهب الافريقي (5) .

ومع أن أمير قرطبة ، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ، كان مشغولا في بداية عهده بالقضاء على الثورات التي ورثها عن عهد جده الا أنه أخذ يعمل

1) ومن هؤلاء أبو اليسر الرياضي (توفي سنة 298 هـ / 910 م وأبو جعفر هارون البغدادي (عاش في عهد المهدي والقائم) والرحالة ابن حوقل النصيبي (توفي سنة 367 هـ / 977 م (أنظر : العبادي : سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس ، ص : 205) ، أنظر LÉVI PROVENÇAL (E.) *Histoire de l'Espagne musulmane*, t. 2. p. 96.

2) العبادي : سياسة الفاطميين ، ص : 205 .

3) مدينة صغيرة بالمغرب تقع على بعد حوالي 40 كلم جنوب مدينة مرّاكش على وادي أغمات (E. I. (*art.* Aghmat). t. I. p. 258. Nolle éd :) وكانت مدينتان بهذا الإسم احداهما تسمى أغمات ايلان والأخرى أغمات وبكة وبها مسكن رئيسهم وبها ينزل التجار والغرباء ، وأغمات ايلان لا يسكنها غريب وبينهما ثمانية أميال (البكري : المغرب ، ص : 157) ، حسب ابن حوقل فإن أغمات تقع في الطريق الرابط بين فاس وسجلماسة وعلى بعد حوالي ثمان مراحل من كل منهما (صورة الأرض ، ص : 90).

4) LARAOUI ABDELLAH : *Histoire du Maghreb*, p. 127. أنظر : الخريطة رقم : 6 . حسب BRIGNON et autres فإن هذا الذهب كان يصل من الصحراء الى سجلماسة وفاس ثم ينتهي الى ساحل نكور وأن هذا الطريق له نفس أهمية طريق تاهرت الذي ضاع في منتصف القرن الرابع هجري (العاشر ميلادي)

5) BRIGNON (J.), et autres : *Histoire du Maroc*, p. 75.

على ابعاد الخطر الفاظمي باتباعه سياسة قوامها التحالف مع المهددين من قبل السياسة الفاطمية وبالأخص الزناتيين والأدارسة (1) .

اذ لما استولى القائد الشيعي مصالة على نكور وقتل أميرها سعيد بن صالح سنة 305 هـ / 917 ـ 918 م وفر أبناؤه (2) الى مالقة (3) بالأندلس ، ثم رجعوا الى بلادهم ، فاستعادوها وأبلغ أميرها صالح اليتيم (4) عبد الرّحمن الخبر ، فأمده بما يحتاج من أخبيه وآلات وكساء وبنود وطبول ودروع وسلاح (5) ، ولما انصرفت حملة أبي القاسم الى المهدية سنة 316 هـ / 928 ـ 929 م سارع عبد الرّحمن بمخاطبة أمراء الأدارسة وزناتة وبعث اليهم رسولا هو محمد بن عبد الله بن عيسى «فبادر محمد بن خزر الى اجابته وطرد أولياء الشيعة من الزاب ...

---

1) LARAOUI ABDELLAH : *L'histoire du Maghreb*, p. 127. قارن مع DOZY (R.), *Histoire des Musulmans d'Espagne*., t. II, pp. 137-138.

2) هؤلاء الأبناء هم : ادريس والمعتصم وصالح (المغرب ، ص : 97 ، البيان ، 1 ، 180 ؛ حسب LÉVI-PROVENÇAL (E.), فإنهم فعلواذلك لأن أسرتهم كانت تابعة ، تقليديا ، الى الأندلس منذ مدة طويلة *Histoire de l'Espagne musulmane* . t. 2. p. 92.)

3) مدينة بالأندلس من أعمال رية ، سورها على شاطيء البحر بين الجزيرة الخضراء والمرية (معجم البلدان ، 4 ، 397) .

4) لقب اليتيم لصغره (المغرب ، ص : 97) ولما قرر الاخوة الثلاثة العودة الى بلادهم اتفقوا بمالقة على تسليم الولاية لأول من يصل الى المغرب ففاز أخوهم الأصغر ، صالح بالسباق ، واستولى على المدينة قبل وصول أخويه (المغرب ، ص : 96 ـ 97 ؛ البيان ، 1 ، 180 ـ 185) .

5) المغرب ، ص : 97 ؛ حسب JULIEN (CH.-A.), فإن حاكم قرطبة الذي كان مشغولا بالقضاء على الثورات التي ورثها من جده ، لم يتدخل مباشرة في المغرب لكنه أوجد لمكناسة أعداء من جنسهم وهم الزناتيون المغراويون وبقي بعضهم يمزق البعض الآخر لمدة عشرين سنة تقريبا *Histoire de l'Afrique du Nord*. t. II. p. 60) غير أن المصادر المستخدمة في هذا البحث لا تشير الى وقوف حاكم الأندلس وراء الصراع المغراوي المكناسي قبل قيام أبي القاسم بحملته سنة 315 هـ / 927 ـ 928 . أنظر : LÉVI-PROVENÇAL (E.), *Histoire de l'Espagne musulmane*. t. 2. p. 92. sqq).

وجاء على اثره في القيام بدعوة الأموية ادريس بن ابراهيم بن عيسى بن محمد ابن سليمان صاحب أرشكول (1) (2) .

وفي سنة 317 هـ / 929 م ـ 930 م ، نصب أمير قرطبة نفسه خليفة و «أمر أن يلقب بالناصر لدين الله ويخطب له بأمير المؤمنين» (3) بعدما كان أسلافه من قبله يعرفون بالأمراء وأبناء الخلائف (4) كما أمر أن يلعن الخلفاء الفاطميون على منابر بلاده (5) وذهب الى أبعد من ذلك فاستولى على مدينة سبتة سنة 319 هـ (6) / 931 م ـ 932 م . وكان «الرضى بن عصام رئيس مجكسة (7) ... يقيم فيها الدعوة للأدارسة» (8) . ويقول ابن عذاري انه «في سنة 319 هـ / 931 م ـ 932 م ، كاتب موسى بن أبي العافية (صاحب الأندلس) (أمير المؤمنين)

---

1) مدينة زالت اليوم وكانت بسواحل الجزاير ، بين وهران والحدود المغربية ، عند مصب تافنة ، في مواجهة جزيزة رشقون التي أخذت اسمها E.I. (*art.* Arshgul), t. I., p. 682, Nelle éd. وتقع على بعد 25 ميلا من تلمسان ، وميلين من البحر (البكري : المغرب ، ص : 77) .

2) العبر ، 2 ، 36 (ط . دوسلان) ؛ حسب ابن عذاري فان محمد بن خزر تغلب على الزاب كله وملكه جملة سنة 317 هـ / 929 م ـ 930 م (البيان ، 1 ، 194) ، أنظر :

DOZY (R.), *Histoire des Musulmans d'Espagne*..

3) أبوالفداء المختصر ، 3 ، 129 ، أنظر : العبادي : سياسة الفاطميين ، ص : 207

DOZY (R.), *Histoire des Musulmans d'Espagne*, p. 146.

4) أبو الفداء انختصر ، 3 ، 29 .

5) أنظر : العبادي : سياسة الفاطميين ، ص : 207 .

6) البيان ، 1 ، 204 ، العبر ، 2 ، 288 (ط . دوسلان) ، العبر ، 4 ، 33 (ط . بيروت) . استولى عليها أسطوله بقيادة فرج بن عفير يوم 2 ربيع الأول 319 هـ (25 مارس 931 م)

LÉVI-PROVENÇAL : *Histoire de l'Espagne musulmane*., t. 2, pp. 96- 97.

يلاحظ أن ابن خلدون يقول في أماكن أخرى أن الناصر استولى على سبتة سنة 317 هـ / 929 م ـ 930 م (العبر ، 2 ، 36 (ط . دوسلان) ، العبر ، 4 ، 299 (ط . بيروت) ، يرى JULIEN (Ch.-A.), أن عبد الرحمن الثالث الذي أعلن نفسه خليفة قرطبة سنة 929 م جعل حاميات في مدينة مليلة سنة 927 م وخاصة سبتة 931 م لمواجهة كل الاحتمالات *Histoire de l'Afrique du Nord*, t. II, p. 60.

أما العبادي فيقول بأن الناصر استولى على سبتة سنة 931 م وطنجة ومليلة سنة 927 م فأمكنه أن يسيطر على الملاحة في مضيق جبل طارق وأن يتخذ من هذه الثغور قواعد عسكرية للتدخل في سياسة المغرب واثارة الاضطرابات بين القبائل البربرية ضد النفوذ الفاطمي (سياسة الفاطميين ، ص : 207) .

7) حسب ابن عذاري فهو الرضى بن عصام بن ماجكس وهو رجل من غمارة (البيان ، 1 ، 203) ؛ فتكون مجكسة اذا من غمارة .

8) العبر ، 2 ، 288 (ط . دسلان) ؛ أنظر السلاوي : الاستقصا ، 1 ، 82 .

عبد الرحمن) الناصر من العدوة الغربية) ، ورغب في موالاته والدخول في طاعته ، وأن يستميل له أهواء أهل العدوة المجاورين له ، فتقبله «أمير المؤمنين» أحسن قبول وأمده بالخلع والأموال ، وقوى أوده على ما كان يحاوله من حرب ابن ابي العيش وغيره ، فظهر أمر موسى من ذلك الوقت (في العدوة ، وتجمع اليه كثير من قبائل البربر) وتغلب على مدينة جراوة ، وأخرج عنها الحسن بن أبي العيش بن ادريس العلوي» (1) ويقول في مكان آخر بأن موسى قام بهجوم مفاجيء على محمد بن خزر سنة 320 هـ / 932 م ـ 933 م هزمه فيه وقتل كثيرا من أصحابه لأنه أنف لما كتبه له «في أمر ابن أبي العيش بما أحفظه وأظهر أنه مؤيد له عليه» (2) .

ومن الملفت للنظر أن الناصر يؤيد موسى على ابن أبي العيش بينما يقف محمد ابن خزر ، الذي سبق له أن دخل في طاعة الخليفة الأموي ، موقف المعارض منه وينتهي الأمر الى نشوب معركة بين الأميرين المغربيين ، هزم فيها محمد بن خزر ، مع أن المفروض أن يكون صديق الصديق صديقا ، ألا يدل ذلك على تدهور العلاقات بين محمد ابن خزر والخليفة الناصر ؟ ويحتمل أن يكون ذلك التدهور بسبب التقارب الذي وقع بين الناصر وموسى الذي كان حتى ذلك الوقت يقف

---

1) ابن عذاري : البيان ، 1 ، 199 ، قارن مع البيان ، 2 ، 204 ، حسب السلاوي فان موسى لما استولى على المغرب خاطبة الناصر في القيام بدعوته ووعده الجميل حتى أجابه الى مراده ونقض طاعة الشيعة (الاستقصا ، 1 ، 82) ، يرى LARAOUI ABDELLAH أن موسى الذي أصبح قريبا من الأمويين بدأ يفكر في تغيير حلفائه ابتداء من سنة 317 هـ / 929 م ـ 930 م ، مما يدل على أن مكناسة حاربت مع الفاطميين للضرورة أكثر من أنها حاربت للاقتناع (*Histoise du Maghreb*, p. 120) حسب LÉVI-PROVENÇAL. E. فان استيلاء الناصر على سبتة الذي كان ، ولا شك ، في نفس الوقت الذي استولى فيه على مرسى موسى كان بالنسبة للخليفة الأموي نجاحا ذا أهمية ، فقد أصبحت له نقطة ارتكاز قوية على سواحل المغرب الأقصى أحسن من مليلة لوقوعها على بضعة أميال على ميناء الجزيرة الخضراء الحربي الأندلسي ولم يعد في امكانه أن يراقب النشاط السياسي للمنطقة الخلفية لذلك العهد فحسب بل صار في وسعه أن يتدخل عسكريا ضد موسى اذا حاول أن يغامر في المناطق البحرية لكن هذا الأخير تخلى فجأة عن السلطة الفاطمية وأعلن خضوعه للخليفة الأندلسي
Histoire de l'Espagne musulmane, t. 2, p. 97.

2) ابن عذاري : البيان ، 1 ، 205 .

في الصف المعادي لابن خزر ثم انتقل فجأة الى صفه وأصبح ، بدون شك ، يحتل المكانة الأولى عند الخليفة ، لما كان قد بلغه من قوة بعدما تغلب على الأدارسة وسيطر على المناطق الواقعة غرب تاهرت (1) وقد أقام له موسى الدعوة بها في شعبان سنة 320 هـ (2) / أوت ـ سبتمبر 932 م .

ولم يبق عبيد الله المهدي مكتوف الأيدي أمام تطور هذه الأحداث ، اذ عين على تاهرت حميد بن يصل (3) خلفا ليصل بن حبوس (4) وأخرجه الى المغرب الأقصى على رأس حملة من عشرة آلاف فارس (5) فسار حتى اشتبك

1) عن هذه السيطرة أنظر : البيان ، 1 ، 194 فما بعدها ، القرطاس ، 50 ، العبر ، 4 ، ص : 32 ـ 33 (ط . بيروت) ؛ أعمال الاعلام ، 3 ، 212 ، المغرب ، ص : 127 ـ 128 .

2) البيان ، 1 ، 204 ـ 205 .

3) اختلفت المصادر حول هذا الاسم فهو حميد بن يصل (البيان ، 1 ، 195 فما بعدها ؛ العبر ، 4 ، 306 (ط . بيروت) ، وحميد بن يصال (البيان ، 1 ، 214) وحميد بن يصلي (المغرب ، ص : 128) وحميد بن سبيل (القرطاس ، ص : 51) ، وأحمد بن يصلين (العبر ، 4 ، 82 (ط . بيروت) ؛ وحميد ابن يصليتن (العبر ، 4 ،93 (ط . بيروت) ، وحميد بن شبل الكتامي (بغية الرواد ، ص : 82) ، وحميد بن يصليت (الاستقصا ، 1 ، 82) ، ويذكر ابن عذاري أن حميد بن يصل خرج من المهدية الى تاهرت 318 هـ / 930 م ـ 931 م بغير اذن عبيد الله وبنى قلعة هناك فكتب عبيد الله المهدي الى عامله على تاهرت يصل بن حبوس ليوجهه اليه فورا فعاد حميد ولم يلق من عبيد الله سوء (البيان ، 1 ، 195) لكن ابن عذاري يناقض نفسه فيما بعد في شأن الأخبار المتعلقة بحميد فمرة يقول بأن عبيد الله ولاه تاهرت بعد وفاة يصل بن حبوس وأخرجه اليها في جيش عظيم في ذي الحجة 319 هـ / ديسمبر 931 م ـ يناير 932 م . (البيان ، 1 ، 204 فما قبلها) ومرة أخرى يقول بأن الذي ولي تاهرت بعد يصل بن حبوس هو أبو مالك بن يغمراسن بن أبي شحمة اللهيصي وثار عليه أهل البلد وأخرجوه سنة 323هـ/934ـ 935م وولوا على أنفسهم أبا القاسم الأحدث ابن مصالة بن حبوس فبقي سنة وقضى عليه ميسور عندما كان عائدا من حملته على المغرب (البيان ، 1 ، 197 ـ198) ؛ يقول عنه ابن خلدون بأنه كان أمير مكناسة (العبر ، 4 ، 306 (ط . بيروت) ، كما يقول السلاوي : بأنه ابن أخي مصالة بن حبوس (الاستقصا ، 1 ، 82) .

4) هو أخو مصالة بن حبوس ، تولى تاهرت بعدما قتل محمد بن خزر أخاه وبقي بها الى أن توفي سنة 319هـ/ 931 م ـ 932 م (البيان ، 1 ، 197) .

5) القرطاس ، ص : 51 ، الاستقصا ، 1 ، 82 ، وتختلف المصادر في تاريخ قدوم الحملة فابن عذاري يقول بأن المهدي أخرج حميد ، في ذي الحجة 319 هـ / ديسمبر 931 م ـ يناير 932 م (البيان ، 1 ، 904) ، ويذكر ابن أبي زرع أن الحملة قدمت المغرب سنة 320 هـ / 932 م ـ 933 م (القرطاس ، ص : 51 ، ويتفق البكري وابن خلدون بأن حميد زحف على المغرب سنة 321 هـ / (المغرب ، ص : 128 ، العبر ، 4 ، 306 (ط . بيروت) ، انظر : السلاوي : الاستقصا ، 1 ، 82 ،

TERRASSE (H.) *Histoire du Maroc*, t. I., p. 184.

مع موسى في معركة بمكان يسمى فحص مسون وهزمه الى بلاد تسول (1)ثم قصد حميد فاسا فدخلها وولى عليها حامدا بن حمدان خلفا لمدين بن موسى بن أبي العافية الذي فر منها عندما علم باقترابه (2) ، وعاد ابن يصل بعد ذلك الى افريقية دون أن يحقق النتائج التي كانت منتظرة منه ، وهي اخذ العهد على موسى بن أبي العافية ، ونقم عليه (3) المهدي ذلك فأودعه سجنا لم يخلصه منه سوى الهـروب (4) .

أما محمد بن خزر فلم يظهر له أثر في أحداث هذه الحملة ، ولا شك أن ذلك راجع الى ما حدث بينه وبين موسى سنة 320 هـ (5) / 932 م ، غير أن ابن خلدون يقول بأن موسى بعدما دخل طاعة الناصر ، «اتصلت يده بمحمد بن خزر وتظاهروا على الشيعة وخالف فلفول بن خزر أخاه محمد الى طاعة الشيعة وعقد له عبيد الله الشيعي (6) على تاهرت فانتهى الى فاس وأجفلت (7) أمامه ظواعن زناتة ومكناسة ودوخ المغرب» (8) ومن هنا يستنتج أن موسى ومحمد اضطرا الى تحسين علاقتهما أمام تهديدات العدو الفاطمي المشترك لكن فلفولا عارض أخاه في موقفه وانحاز الى العدو وأصبح يلعب دورا في الحفاظ على مكتسباته في المنطقة ، وقد حدث كل ذلك ، كما يستنتج من نص ابن خلدون ، في آخر أيام المهدي وليس بعد وفاته كما يرى (9) . TERRASSE (H.),

---

1) ابن أبي زرع : القرطاس ، ص : 51 ـ 52 ، بغية الرواد ، 82 ، الاستقصا ، 1 ، 82 ، حسب ابن خلدون (عبد الرحمن) فإن موسى كاتب الناصر يستنجد به فأخرج اليه قاسم بن طملس في العساكر ومعه الأسطول فوصل الى سبتة وبلغه الخبر أن موسى هزم عساكر حميد فأقصر ورجع (العبر ، 4 ، 306 ـ 307) .

2) المغرب ، ص : 128 ، القرطاس ، ص : 52 ، البيان ، 1 ، 214 .

3) المغرب ، ص :128 ، حسب السلاوي فإنه رجع سنة 321هـ / 933 م ، الاستقصا ، 1 ، 82) .

4) نفسه ، البيان ، 1 ، 214 ، أنظر :
LÉVI-PROVENÇAL : *Histoire de l'Espagne musulmane*, t. II. p. 100.

5) أنظر : ما قبل ، ص : 188 ـ 189 .

6) يعني به عبيد الله المهدي .

7) أجفل : ذهب في الأرض وأسرع ، وأجفل اذا شرد فذهب (لسان العرب ، مجلد 2 ، ص : 113) .

8) ابن خلدون : العبر، 2 ، 36 (ط . دوسلان) .

9) حسب TERRASSE (H.), فإن موت المهدي كانت اشارة لقيام الثورة في مناطق مختلفة : فقد قتل أحمد الجذامي حميد ابن حمدون ، واستولى موسى بن أبي العافية شيئا فشيئا على المناطق التي كان قد =

ولما توفي المهدي ، في ربيع الأول (1) أو ربيع الثاني (2) سنة 322 هـ فبراير - مارس أو مارس - أبريل 934 م ، ثار أحمد بن أبي بكر بن عبد الرحمن ابن سهل (3) على حامد بن حمدان بفاس فقتله «وبعث برأسه وولده الى موسى ابن أبي العافية» (4) الذي بعث بهما بدوره الى الناصر ، وأقام أحمد بن أبي بكر عاملا له على فاس (5) .

الا أن أبا القاسم بن عبيد الله الذي بويع بالخلافة ، في 15 ربيع الأول 322 هـ (6) / فبراير - مارس 934 م ، ولقب القائم بأمر الله ، سارع بإخراج قائده ميسور (7) على رأس جيش الى المغرب فوصل فاسا سنة 323 هـ (8)

= فقدها ، كما عادت سيطرة مغراوة على المغرب الأوسط حتى شلف الا أن مجموعة منها كانت في خدمة الفاطميين استطاعت بعد قليل ، أن تعيد تاهرت . *Histoise du Maroc*, t.I, p. 184).

1) أخبار ملوك بني عبيد ، ص : 15 ؛ البيان ، 1 ، 208 ، الحلة السيراء ، 1 ، 192 ؛ اتعاظ الحنفا ، 1 ، 72 .

2) افتتاح الدعوة ، ص: 276 .

3) القرطاس ، ص : 52 ، يتفق ابن عذاري في هذه التسمية مرة مع ابن أبي زرع (البيان ، 1 ، 209) ومرة أخرى مع البكري الذي يسميه أحمد بن بكر بن عبد الرّحمن بن أبي سهل الجذامي (المغرب ، ص ، البيان ، 1 ، 214) .

4) المغرب ، ص : 128 ؛ القرطاس ، ص : 52 ؛ قارن مع ابن عذاري : البيان ، 1 ، 214 ؛ يرى حسن ابراهيم حسن أن موسى هو الذي شجع الثورة عليه (تاريخ الدولة الفاطمية ، ص : 87) .

5) القرطاس ، ص : 52 ؛ الاستقصا ، 1 ، 82 .

6) الحلة السيراء ، 1 ، 286 ، وكان أبوه قد ولاه العهد بعدما استقامت له الأمور في بداية المائة الثالثة وسماه ولي عهد المسلمين (افتتاح الدعوة ، 273 فما قبلها) قارن مع ابن أبي دينار : المؤنس ، ص : 56 ، الحلة السيراء ، 1 ، 122) وقد أخفى موت أبيه سنة (الحلة السيراء ، 1 ، 286 ، أخبار ملوك بني عبيد ، ص : 15) أو شهرا واذاعه بعدما أرسل جيشا الى برقة ليشغل المشرق وآخر تاهرت ليشغل المغرب (أخبار ملوك بني عبيد ، ص : 15) .

7) هو ميسور الفتى (المغرب ، 128 ، البيان ، 1 ، 209 ، القرطاس ، 52) ، أو ميسور الخصي (العبر ، 4 ، 83) أو ميسور الصقلي (البيان ، 1 ، 209) .

8) المغرب ، ص : 128 ، القرطاس ، ص : 52 ، البيان ، 1 ، 209 ، يرى حسن ابراهيم حسن أن القائم جند الجند في برقة لغزو المشرق في نفس الوقت الذي أخرج فيه حملة ميسور (تاريخ الدولة الفاطمية ، ص : 89) في حين يرى TERRASSE (H.) أنه قد ظهر للفاطميين أن مساندة مكناسة المناطق الشرقية غير كاف وأن الذين كانوا بالمغرب الأقصى انقلبوا الى أعداء فأوقفوا نشاطهم الخاص بتحقيق أحلامهم في المشرق مؤقتا ، واستطاعوا أن يواجهوا التحالف الأموي ، المكناسي ، الزناتي

= *Histoire du Maroc*, t. I. p. 185.

934 م ـ 935 م وخرج اليه أحمد بن أبي بكر مبايعا ومعه هدية ثمينة ومالا كثيرا فقبض منه المال والهدية ثم قيده وبعث به الى المهدية (1) مما جعل سكان مدينته يقدمون على أنفسهم حسن بن قاسم اللواتي ويشرعون في الدفاع عن أنفسهم فبقي محاصرا لهم سبعة أشهر ثم صالحهم على أن يعطوه «ستة آلاف دينار وأقطاع ولبود وقرب للماء وأثاث وكتبوا بيعتهم الى أمير المؤمنين أبي القاسم الشيعي ... وارتحل عنهم نحو موسى بن أبي العافية» (2) وقد اشتبك ميسور مع موسى عدة مرّات وأسر له أحد أبنائه (3) في بعضها وأجبره أخيرا على الفرار الى الصحراء (4) وعاد ميسور بعد ذلك الى افريقية .

= ويقول ابن حماد أن هدف أبي القاسم كان جمع الجيوش في برقة للحفاظ على المشرق وتوجيه جيش الى تاهرت لتهدئة الأوضاع في المغرب (*Documents inédits sur Obeïd-Allah*, p. 14.)

1) البيان ، 1 ، 209 ؛ العبر ، 4 ، 83 (ط . بيروت) .

2) القرطاس ، ص : 52 ، أنظر : الاستقصا ، 1 ، 82 ؛ حسب حسن ابراهيم حسن فإن موسى بن أبي العافية انتهز فرصة انشغال ميسور بحصار فاس للإستيلاء على نكور حتى أخرجه منها القائد صندل ، في شوال 323 هـ / سبتمبر ـ أكتوبر 935 م وقد ولى صندل على نكور عاملا من أهل كتامة يدعى مرمازو ثم لحق بميسور عند فاس ، وفي ذلك الوقت اشتعلت نيران الثورة بمدينتي تاهرت ووهران بزعامة محمد ابن خزر الزناتي فلم يستطع ميسور أن يغادر فاسا لينقذ المغرب الأوسط ، واضطر الخليفة القائم الى عقد الصلح مع أهل فاس ، ولما تم الصلح غادر ميسور فاسا ليلّي موسى بن أبي العافية (تاريخ الدولة الفاطمية ، ص : 89 ـ 90) أما LÉVI-PROVENÇAL فيقول بأن الحاكم الفاطمي سير فتى آخر في نفس الوقت هو صندل للاستيلاء على نكور التي كان يحكمها أمير من أسرة ابن صالح هو أبو أيوب اسماعيل بن عبد الملك فاستولى عليها بعد معركة دامت أسبوعا واستعمل عليها رجلا من كتامة ثم راح ينضم الى ميسور وهو يحاصر فاسا (*Histoire de l'Espagne musulmane*, pp. 11100-101).

3) يسميه ابن خلدون الثوري (العبر ، 4 ، 83 (ط . بيروت) ؛ يسميه السلاوي البوري (الاستقصا ، 1 ، 82).

4) بقي متشرد الى أن توفي ببعض بلاد ملوية سنة 341 هـ / 952 م ـ 953 م أو 328 هـ / 939 م ـ 940 م (القرطاس ، ص : 52) أو أنه فر الى ملوية وقتل بها (بغية الرواد ، ص : 82) أو أنه رجع من الصحراء سنة 325 هـ / 936 م ـ 937 م) بعد انصراف ميسور ونازل بني محمد وبني عمر الأدارسة ولما أجاز الناصر وزيره القاسم بن محمد بن طملس سنة 333 هـ / 944 م ـ 945 م لحرب الأدارسة كتب الى ملوك مغراوة، محمد بن خزر وابنه الخير بمظاهرة عساكره مع ابن أبي العافية عليه(العبر ،2، 288 (ط . دوسلان) ومعنى ذلك أن موسى مات بعد سنة 333 هـ ، حسب Terrasse (H.), فإن موسى بعد رجوع ميسور ، عاد الى نكور وأرشكول فهزم أبا العيش الا أنه مات وبقي ابنه مدين *Histoire du Maroc*, tt.I, p. 185.

وكانت علاقة الأدارسة بموسى سيئة للغاية منذ أن ثار منهم الحسن بن محمد ابن القاسم بن ادريس الملقب بالحجام (1) وأخرج من مدينة فاس عاملها لعبيد الله ريحانا الكتامي (2) وملكها (3) ثم التفت لمحاربة ابن أبي العافية (4) الذي انتهز فرصة التغلب عليه لإجلاء الأدارسة الى الرّيف «فنزلوا البصرة واجتمعوا الى كبيرهم ابراهيم بن محمد ابن القاسم ، أخي الحسن وولوه عليهم » (5) فاختط لهم قلعة حجر النسر (6) سنة 317 هـ / 929 م 930 م ، فتحصنوا بها من موسى

---

1) لقب بالحجام لما تكرر منه من طعن عدد من الفرسان مع موضع المحاجم (المغرب ، ص : 126 ؛ القرطاس ، ص : 49 ـ 50 ؛ أعمال الاعلام ، 3 ، 202 ؛ العبر ، 2 ، 287 (ط . دوسلان) بغية الرواد ، 81 .

2) اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ هذه الثورة ، فقد حدده ابن عذاري وابن أبي زرع بسنة 310 هـ / 922 م ـ 923 م (البيان ، 1 ، 213 ؛ القرطاس ، ص : 50) وحدده ابن خلدون (عبد الرحمن) بسنة 313 هـ / 925 م ـ 926 م (العبر ، 4 ، 32 (ط . بيروت) ، العبر ، 2 ، 287 (ط . دوسلان) وحدده البكري بسنة 316هـ / 928م ـ 929م (المغرب ، ص : 126) ، حسب يحي وعبد الرحمن ابني خلدون فان أهل فاس هم الذين ثاروا بريحان وأخرجوه وبايعوا الحسن (بغية الرواد ، ص : 81 ، العبر ، 2 ، 287 (ط . دوسلان) .

3) حسب ابن أبي زرع فانه ملك الى جانب ذلك مدينة لواتة وصفروا ومديونة ومدائن مكناسة ومدينة البصرة (القرطاس ، 50) .

4) حسب ابن أبي زرع فان ذلك كان سنة 311 هـ / 923 م ـ 924 م (القرطاس ، ص : 50 ، ويتفق كل من البكري وابن خلدون على أن ذلك كان بعد سنتين من نفي ريحان(المغرب، ص : 126 ـ 127 ، العبر ، 4 ، 32 (ط . بيروت) أي سنة 315 هـ / 927 م ـ 928 م ، حسب ابن خلدون وسنة 318 هـ / 930 م ـ 931 م حسب البكري .

5) ابن ، خلدون : العبر ، 4 ، 33 (بيروت) ، حسب ابن عذاري فانه كان يعرف بالرهوني (البيان ، 1 ، 210) .

6) العبر ، 4 ، 33 (ط . بيروت) ، المغرب ، 127 ، يتفق البكري مع ابن أبي زرع في قولهما أن الأدارسة جميعا نزلوا قلعة حجر النسر (المغرب ، ص : 127 ، القرطاس ، ص : 33) ويقول ابن خلدون أن بني عمر بن ادريس كانوا يومئذ بغمارة من لدن تيجساس الى سبتة وطنجة (العبر ، 4 ، 33 ، (ط . بيروت) وفي مكان آخر يقول بأن موسى أحجر الأدارسة بحصنهم حجر النسر وتحيزوا الى جبال غمازة وبلاد الرّيف وأسسوا في تلك الناحية ملكا توزعوه قطعا (العبر ، 2 ، 288 (ط . دوسلان) وحجر النسر هي قلعة يمكن تحديد موقعها اليوم بالمنطقة التي تسكنها قبيلة سومطرة شرق مدينة القصر الكبير عنها أنظر : E.I. (*art.* Hadjr Al-Nasr), t. 3, p. 32, nelle éd. (*Ibid*). وتسمى أيضا صخر النسر (البيان ، 1 ، 210) وحجر الشرفاء

الذي عزم على القضاء عليهم لكن «رؤساء المغرب وأكابر أهل دولته» (1) عارضوه في ذلك فتراجع عن قراره وخلف عليهم «قائده أبا الفتح التسولي في ألف فارس يمنعهم من التصرف» (2) . وبمجرد أن علموا بهزيمة حميد بن يصل لموسى واستيلائه على فاس ثاروا على أبي الفتح فهزموه (3) ولما قدم ميسور في حملته استعان بهم على حرب ابن أبي العافية (4) وقبل عودته الى افريقية سنة 324 هـ (5) / 935 م ـ 936 م «عقد للقاسم بن محمد كبير أدارسة الريف ، على أعمال ابن أبي العافية وما يفتحه من البلاد» (6) ولم يلفت نظر المؤرخين بعدئذ أي تغيير سياسي في المنطقة يستحق التسجيل الى أن قامت ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد (7) .

فواضح أن زناتة التي لم تقم بأي دور في تأسيس الدولة الفاطمية أخذت تتفاعل معها منذ بداية عهدها وسببت لها أتعابا كبيرة ، خاصة منها فرع مغراوة برئاسة محمد بن خزر الذي تركز نشاطه في النواحي الغربية من المغرب العربي ، **ولا سيما تاهرت حيث أقلق عاملها دواس بن صولات اللهيصي ولم يخلصه منه سوى**

---

1) ابن أبي زرع : القرطاس ، 51 ؛ قارن مع البكري : المغرب ، ص : 127 .

2) القرطاس ، ص: 51، الاستقصا ، 1، 81، حسب البكري وابن عذاري فان هذا القائد يكنى أبا قمح (المغرب ، ص : 128 ، البيان ، 1 ، 214) مع الملاحظة أن ابن عذاري الذي يوافق ابن أبي زرع في (البيان ، 1 ، 214) ، يقول في جهة أخرى أن موسى انصرف عن بني محمد لأنهم صالحوه على شيء أخذه منهم (البيان، ، 1، 205) .

3) المغرب ، ص : 128 ، القرطاس ، ص 52 ؛ البيان ، 1 ، 214 ؛ الاستقصا ، 1 ، 82 .

4) القرطاس ، ص : 52 ، العبر ، 2 ، 288 (ط . دوسلان) ، البيان ، 1 ، 209 .

5) العبر ، 4 ، 83 ، حسب حسن ابراهيم حسن فقد استولى في طريق عودته على مدينة أرشكول ووهران وقضى على ثورة أبي القاسم بن مصالة في تاهرت (تاريخ الدولة الفاطمية ، ص : 90) .

6) ابن خلدون ، العبر ، 4 ، 83 (ط . بيروت) ، حسب يحي بن خلدون فإن ملك المغرب عاد لقنون بن محمد بن القاسم (كانون) (بغية الرواد ، ص : 82) مع العلم ان قانون هونفسه القاسم (البيان ، 1 ، 210 وأن الأدارسة هم الذين قدموه على أنفسهم (القرطاس ، ص : 53 ؛ أعمال الاعلام ، 3 ، 218 . الاستقصا ، 1 ، 85) .

7) حسب ابن عذاري فهو مخلد بن كيداد بن سعد الله بن مغيث بن كرمان بن مخلد بن عثمان بن ورتمت بن تبقراسن بن يفرن (البيان ، 1 ، 216) وينسبه ابن خلدون الى بني واركو وهم بطن من بني يفرن ويقول بأنه مخلد بن كيداد ولا يعلم من نسبه فيهم الا هذا (العبر ، 2 ، 16 (ط . دوسلان) ويقول أبو الفداء أن نسبهم فيهم كنداد (المختصر ، 3 ، 116) .

النجدات الإفريقية ، كما تمكن من قتل القائد مصالة بن حبوس عندما قصده ، بعد أن سيطر على نكور وفاس وسجلماسة ، مما يبعث على الاعتقاد بأنه كان يمثل أكبر قوة سياسية في النواحي الغربية من المغرب العربي ، وهزم بعد ذلك الجيش الفاطمي عدة مرّات مما دعى المهدي الى اخراج ابنه أبي القاسم اليه ، لكن أبا القاسم عاد دون أن يتمكن منه .

وقد دفعت مواقف ابن خزر من الفاطميين ، أمير الأندلس ، عبد الرّحمن بن محمد ، الى الاتصال به والتحالف معه ضدهم لما كانوا يمثلون من خطر على بلاده ، كما اتصل بالأدارسة وموسى بن أبي العافية ، واستجاب له الجميع ، ووقع خلاف بين ابن أبي العافية وابن خزر انتهى بنشوب معركة بينهما هزم فيها ابن خزر على مرأى ومسمع من حاكم الأندلس مما قد يكون السبب الذي جعل الأمير المغراوي لا يشارك الأمير المكناسي في المعركة التي خاضها ضد حميد بن يصل بفحص مسون وهُزم فيها ، لكن علاقة محمد وموسى تحسنت فيما بعد ، ووقع انشقاق في صفوف مغراوة فانحازت مجموعة منها برئاسة فلفول بن خزر ، أخي محمد الى الفاطميين فولاه عبيد الله المهدي تاهرت وقام بحملة ضد قومه زناتة وغيرهم من خلفاء بني أمية ، وصل فيها الى فاس ، ولم تشر المصادر بعد ذلك الى أي نشاط لفلفول ولا لأخيه محمد منذ أواخر أيام عبيد الله الى أواخر ثورة أبي يزيد .

الفصل الخامس

زناتة والخلافة الفاظمية منذ قيام حركة أبي يزيد الى رحيل المعز لدين الله إلى مصر

حركة أبي يزيد :

ينتسب أبو يزيد «الى بني واركو ... من بطون بني يفرن» (1) الزناتيين وأمه جارية هوارية صفراء (2) اسمها سبيكة (3) وقد ولد بكوكو (4) من بلاد السودان (5) حيث كان أبوه يمارس التجارة ، وعاد به الى توزر (6) وبدأ تعلمه (7)

---

1) ابن خلدون : العبر، 2، 16 (ط. دوسلان) ، ينسبه أيضا الى بني يفرن كل من أبي زكرياء : السيرة ورقة 67 ، ابن الأبار ، الحلة السيراء ، 1 ، 290 ؛ ويذكر ابن خلدون أن الرقيق نسبه الى بني واسين بن ورسيك بن جانا (العبر ، 2 ، 17 (ط . دوسلان) ، كما ينسبه ابن حماد الى بني جعفر ، وهم فرع من جانا الذي يسمى بلسان البربر أجانا ويعني زناة الذي اشتق منه اسم زناتة *Documents inédits sur Obeid-Allah*, p. 6). أما الدرجيني : فيقول بأن عشيرته من أهل تيطاوين وهم رهط من كندال (طبقات ، 1 ، 97) .

2) اتعاظ الحنفا ، 1 ، 75 .

3) العبر ، 2 ، 17 (ط . دوسلان) ، (*Ibid*, p. 7.) (*Documents inédits sur Obeïd-Allah*, p. 7). وقد اشتراها أبوه من تاقدمت (*Ibid*, p. 7.) .

4) اسم أمة وبلاد من بلاد السودان ، ملكها يظاهر رعيته بالاسلام وكانت له مدينة على النيل من الناحية الشرقية اسمها سرناة (معجم البلدان ، 4 ، 329) .

5) تعني هذه التسمية عند العرب المناطق الصحراوية من افريقيا التي انتشر فيها الإسلام أنظر : (E.I. (*Art.* Sudan, t. 4, p. 518. حسب ابن حماد فانه ولد بتقيوس وهي مدينة بقسطيلية ، وفيا بعد أخذه أبوه الى كوكو حيث عرضه على عرّاف فقال له بأن ولده ستقع له أمور كثيرة وسيتولى يوما ما ملكا ، ولما عاد به أبوه الى تقيوس توفي (*Documents inédits sur Obeïd-Allah*, pp. 6 _ 7) ويقول في مكان آخر بأنه عندما عاد من كوكو نزل درب الغلامسسيين بقرب بوزر (أخبار ملوك بني عبيد ، ص : : 8) .

6) مدينة بتونس ، تقع على بعد 370 كلم الى الجنوب والجنوب الغربي لمدينة تونس ، و192 كلم غرب قابس ، ما بين الغرسة وشط الجريد (E.I. (*art.* Tuzer), t. 4, p. 1036)

7) ابن خلدون : العبر ، 2 ، 17 (ط . دوسلان) ، المختصر ، 3 ، 116 ؛ السيرة ، ورقة 75 ؛ طبقات ، 1 ، 109 ؛ حسب ابن حماد فقد بدأ تعلمه في درب الغلامسسيين وفقه فيه ثم سار الى توزر يعلم الصبيان (أخبار ملوك بني عبيد ، ص : 18) .

وخالط النكار فمال الى مذهبهم ، ثم رحل الى مشيختهم بتاهرت حيث أخذ عن أبي عبيدة ، أيام اعتقال عبيد الله المهدي بسجلماسة ولما مات أبوه بقي في أسوء حال من الفقر ، فأخذ يعمل بتعليم الصبيان القرآن ومذهب النكار (1) ولما توجه الشيعي الى سجلماسة ، انتقل الى تقيوس (2) .

أو أنه رحل من توزر الى سجلماسة بصحبة أبي الربيع سليمان مع شيخهما ابن الجمع ، أو ابن الجمعي ، وبعد موت الشيخ عاد التلميذان الى قسطيلية وذات يوم سافرا فنزلا على حي من أحياء الوهبية فلم يحتفوا بهما ثم نزلا على حي من أحياء النكارية فبالغ أهله في اكرامهما فأثر ذلك في نفس أبي يزيد واعتنق مذهبهم (3) .

وكان دعاة النكار قد نشطوا في المناطق الواقعة شرق تاهرت والتي يحتمل أن يكونوا قد فروا اليها ، بعدما هزمهم الامام عبد الوهاب بن عبد الرحمن ، لكنهم لم يجدوا نجاحا كبيرا الا بعد سقوط العاصمة الرستمية على يد الفاطميين ، في نهاية القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) ، بعد ذلك اتخذوا مراكز لنشر دعوتهم من بينها : طرابلس وجزيرة جربة وجبل أوراس وانتشر مذهبهم في المناطق الواقعة جنوب تونس والجزائر ، ابتداء من جبل نفوسة ، حتى تاهرت (4) .

ولا شك أن أبا يزيد قد عرف في بداية عهده كيف يضمن لنفسه تأييد هؤلاء جميعا وكذلك تأييد الأباضيين الوهبية ، الذين كانوا قد لجأوا ، بعد سقوط عاصمتهم ، الى هوامش الصحراء ومنطقة مزاب ، كما كان يوجد عدد كبير منهم في مناطق طرابلس والجنوب التونسي الجزائري ، ولم يكونوا ينتظرون سوى رئيس يجمعهم لمهاجمة أعدائهم (5) ، بالإضافة الى تأييد السنيين المالكيين ،

---

1) العبر ، 2 ، 7 (ط . دوسلان) .

2) نفسه ، ابن الأثير : الكامل ، 6 ، 303 ، اتعاظ ، 1 ، 75 ، حسب أبي الفداء فإنه اعتنق مذهب النكارية في تاهرت ودعا أهل تلك البلاد فأطاعوه وكثر جمعه فحضر الى قسطيلية (المختصر 3 ، 116) ، وتقيوس مدينة قريبة من توزر (معجم البلدان ، 1 ، 860) .

3) السيرة ، ورقة 75 فما بعدها ، طبقات ، 1 ، 109 فما بعدها .

4) أنظر : *Suplcment de* l'E.I . . (*art.* Al-Nukkar), p. 186.

5) أنظر : JULIEN (Ch-.A.), *Histoire de l'Afrique du Nord*, t.II, pp. 60-61

خصوصا في المدن الكبرى ، حيث ظل لعلمائهم نفوذ كبير وكان بعض هؤلاء العلماء عرضة لاساءة الولاة الفاطميين مما زاد من تعلق العامة بمذهبهم (1) ثم إن الفاطميين الذين كان هدفهم الاستيلاء على الخلافة العباسية ، كان عليهم أن يكونوا جيشا قويا يتطلب مصاريف كبيرة لا تستطيع الزكاة تغطيتها ، ومن ثم وقعوا في نفس الأخطاء التي ارتكبتها الحكومة الأغلبية قبلهم بفرضهم ضرائب باهضة ، لم يتقبلها الشعب ، خاصة وأنها تخالف الشرع ، لكنه اضطر ، أمام قوتهم المادية أن يحني رأسه (2) .

من كل هذا يتبين أن الظروف السياسية كانت لصالح أبي يزيد عندما أخذ «يحتسب على الناس في أفعالهم ومذاهبهم» (3) وعلى جباة الأموال (4) ويحرض على الثورة ضد السلطان وانتشرت الأخبار بذلك وسرعان ما حاول الخروج الى الحـــج .

وقد اختلف كل من ابن خلدون وابن عذاري في تحديد تاريخ وسبب تلك المحاولة ، اذ بينما يحددها الأول بسنة 310 هـ / 922 م ـ 923 م ويرد سببها الى اهدار ولاة قسطيلية دمه عندما علموا (5) بأمره ، فإن الثاني يحددها بسنة 316 هـ / 928 م ـ 929 م ، ويرد سببها الى خوفه على نفسه من الفاطميين لأنه حرض الناس على عامل تقيوس فقتلوه (6) لكن حجه ، حسب نفس المؤرخ ،

---

1) أ . بل : الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي ، ص : 192 .

2) *La Religion musulmane en Berbérie*, pp. 159-160.
الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي ، ص : 162 .

3) ابن الأثير : الكامل ، 6 ، 303 .

4) البيان ، 1 ، 193 ، حسب CARETTE (E.) فانه كان يقول للناس بأن عبيد الله ملحد ولا يستحق احترام المسلمين وطاعتهم ، ويحثهم على مبايعة أمير الأندلس (*Recherche sur l'origine* p. 191)
ويلاحظ هنا وقوع . Carette (E.) في أخطاء منها أنه لا يجوز أن يقال «الناصر أمير الأندلس» لأن عبد الرحمن صار خليفة عندما لقب «الناصر» كما أن المصادر التي اعتمد عليها هذا البحث لم تشر الى أن أبا يزيد كان يدعو للناصر في بداية عهده.

5) ابن خلدون : العبر ، 2 ، 17 (ط . دوسلان) .

6) البيان ، 1 ، 193 .

لم يتم في تلك السنة ، بل رجع من نواحي طرابلس ، مع صاحبه أبي عمار ، الى تقيوس حيث بقي مختفيا والبحث متواصل عنه (1) ولم يقم بمحاولة أخرى إلاَّ بعد موت عبيد الله المهدي .

عندئذ سافر الى المشرق لغرض الحج ، وقد تم له ما أراد هذه المرّة (2) ثم عاد الى توزر مستترا سنة 325 هـ / 936 م ـ 937 م ولكن «والي البلد» حسب ابن خلدون «أعتقله وأقبل سرعان (3) زناتة ... ومعهم أبو عمار الأعمى رأس النكارية ... وكان ممن أخذ عنه أبو يزيد فعرضوا الى الوالي في اطلاقه فتعلل عليهم بطلبه في الخراج فاجتمعوا الى فضل ويزيد إبني أبي يزيد وعمدوا الى السجن فقتلوا الحرس وأخرجوه فلحق ببلد بني واركلا (ورقلة) وأقام بها سنة يختلف الى جبل أوراس والى بني برزال في مواطنهم بالجبال قبلة المسيلة والى بني زنداك بن مغراوة الى أن أجابوه فوصل الى جبل أوراس ومعه أبو عمار الأعمى في اثنى عشر من الرجالة ونزلوا على النكارية بالنوالات واجتمع اليه ... سائر الخوارج وأخذ له البيعة عليهم أبو عمار صاحبه على قتال الشيعة وعلى استباحة الغنائم والسبي وعلى أنهم ان ظفروا بالمهدية والقيروان صار الأمر شورى وذلك سنة احدى وثلاثين» (4) أي 331 هـ / 942 م ـ 943 م . وبعد ذلك مرّت حركة أبي يزيد بثلاث مراحل هي :

---

1) نفســـه .

2) حسب أبي زكرياء فان سبب قيام ثورته يرجع الى أن رجلا من أهل مصر نظر الى رأسه وكان قد أحلقه . وقال له : غط رأسك أيها الثائر وضرب عليه ، فلما سمعه أبو يزيد وقع في نفسه من ذلك ما وقع (السيرة ، ورقة 67) ، حسب الدرجيني فانه توجه الى المشرق فرارا من عبيد الله المهدي (طبقات ، 1 ، 97) أي أنه في رأيه حج في عهد عبيد الله المهدي .

3) سرعان الناس : أوائلهم المستبقون في الأمر (لسان العرب ، 8 ، 125) .

4) العبر ، 2 ، 17 ـ 18 (ط . دوسلان) ، قارن مع أبي زكرياء : السيرة ، ورقة 68 فما بعدها ، الدرجيني : طبقات ، 1 ، 98 فما بعدها ، حسب ابن حماد فإن أبا يزيد كان بتوزر يعلم الصبيان ويدعو من يثق به الى ،الثورة على أبي القاسم حتى استجاب له نحو 300 رجل واتصل ذلك بابن فركان مقدم توزر فستدعه وتهدده فأنكر كل شيء وخاف أصحابه فتفرقوا عنه وخرج الى جبل أوراس وأقام في بني كملان وهم من مذهبه وقوي بهم وعمره اذ ذاك ستون سنة وبه علل كثيرة وصحبه أربعة أبناء وهم : يزيد ويونس وأيوب وفضل (أخبار ملوك بني عبيد ، ص : 18 ـ 19) ، أنظر : MARÇAIS (G.), *La Berbérie musulmane et l'Orient au Moyen Age*, p. 149.

أ) **مرحلة الانتصارات** : بدأت بهجوم ناجح شنه على باغاية أثناء غياب عاملها كنون عنها سنة 332 هـ (1)/ 943 م ـ 944 م ، فاستباح قصورها ورجع الى مكانه ، ثم حاصرها مرة أخرى لكنه هزم (2) فانسحب الى الأوراس ، ولاحقه كانون فهزم بدوره وتابعه أبو يزيد فتحصن بالمدينة وأتته إمدادات من كتامة ، فلم يستطع ابن كيداد الاستيلاء عليها الا أن ذلك لم يمنعه من مكاتبة القبائل الموجودة **«حول قسطيلية من بني واسين وغيرهم وحاصروا توزر سنة ثلاث وثلاثين» (3)** أي 333 هـ / 944 م ـ 945 م ، وسار بعد ذلك الى تبسة فاستولى عليها صلحا وكذلك مجانة (4) ومرماجنة (5) ، حيث أهدى له رجل من أهلها حمارا أشهب لازم ركوبه حتى اشتهر به وصار يعرف بصاحب الحمار (6) ثم استولى على الأربس (7) فسبيبه التي قتل عاملها ثم قصد بَاجَة ، وكان القائم قد أخرج

---

1) العبر ، 2 ، 18 (ط . دوسلان) أنظر الخريطة رقم 7 .

2) يحدد ابن حماد تاريخ انهزامه بسنة 333 هـ / 944 م ـ 945 م (أخبار ملوك بني عبيد ، ص : 38) .

3) العبر ، 2 ، 18 (ط . دوسلان) ؛ حسب ابن الأثير والمقريزي فقد حاصر بعد باغاية قسطيلية (الكامل ، 6 ، 303 ، اتعاظ ، 1 ، 75) ؛ أنظر : ملحق 4 .

4) مجانة : بلد بافريقية تسمى قلعة يسر بينها وبين القيروان خمس مراحل (معجم البلدان ، 4 ، 417) وتقع في الطريق الرابط بين باغاية ومرماجنة (البكري : المغرب ، ص : 145) .

5) قرية بإفريقية لهوارة تقع على بعد مرحلة من الاربس (معجم البلدان ، 4 ، 502) ، عنها أنظر : البكري : المغرب ، ص : 145).

6) الحلة السيراء ، 2 ، 387 ، التجاني : رحلة التجاني ، ص : 321 ، حسب المقريزي فقد كان يعرف براكب الحمار (اتعاظ ، 1 ، 76) ؛ وسمي نفسه شيخ المؤمنين (البيان ، 1 ، 217) أو شيخ المسلمين (أخبار بني عبيد ، ص : 20) .

7) يكتبها بعض المؤرخين الاربص (بالصاد) (العبر ، 2 ، 18 ، المؤنس ، 58) ويقول ابن خلدون : إن أبا يزيد استولى عليها بعد مرماجنة ، وكان أهلها قد فروا منها عندما وصلتهم أخبار زحفه عليها وقتل إمام الصلاة بها (العبر ، 2 ، 18) ؛ أما ابن الأثير والمقريزي فيقولان بأنه فتحها بعدما فتح مرماجنة ثم سبيبة ، وقد نهبها وأحرقها والتجأ الناس الى المسجد فقتلهم فيه (الكامل ، 6 ، 303 ، اتعاظ ، 1 ، 76) ؛ والأريس مدينة وكورة بإفريقية كورتها واسعة ، بينهما وبين القيروان ثلاثة أيام من جهة المغرب (معجم البلدان ، 1 ، 184) .

8) يسميها ابن خلدون تبسة (العبر ، 2 ، 18) ط . دوسلان) ، حسب ابن الأثير والمقريزي فقد استولى عليها قبل الأربس (أنظر هامش 4) ، يسميها أبو الفداء سبتة (المختصر ، 3 ، 116) . وتقع سبيبة على مسافه يومين من القيروان (الكامل ، 6 ، 308) ، عنها أنظر : افتتاح الدعوة ص : 212 ، هامش 2).

اليها فتاه بشرى الصقلي ، فلم يستطع إيقاف زحفه وانهزم أمامه (1) ودخل أبو يزيد المدينة (2) ودخل بعدها تونس (3) ثم رقادة فالقيروان (4) .

ولما خرج اليه القائد ميسور الفتي من المهدية وحاول أن يتصدى له ، هزمه أبويزيد وقتله بالأخوين (5) في ربيع الأول سنة 333 هـ (6) / أكتوبر ـ نوفمبر 944 م ومكث

---

1) تذكر المصادر أنه نهبها وأحرقها وقتل الأطفال ونهب النساء ، وكتب الى القبائل يدعوهم الى نفسه فأتوه وعمل الاخبية والبنود وآلات الحرب (اتعاظ الحنفاء ، 1 ، 76 ، قارن مع ابن الأثير : الكامل ، 6 ، 303 ؛ العبر ، 2 ، 19 ، (ط . دوسلان) ؛ المؤنس ، ص : 85 ؛ يرى GAUTIER أن أول من ناصر أبا يزيد هم لواته وهوارة فحقق انتصاراته الأولى في جنوب وشرق وشمال الأوراس وبفضلها كون نواة جيشه في توزر وباغاية وتبسة ومرماجنة ، غير أن نجاحه جعل الأنصار يأتونه من كل نواحي منطقة الاستبس *Le passé de l'Afrique du Nord*, p. 363.

2) وكان بشرى هرب اليها من باجة (العبر ، 2 ، 19؛ الكامل ، 6 ، 303 ، اتعاظ ، 1 ، 76) لكن سكان تونس ثاروا عليه فهرب الى سوسة (العبر ، 2 ، 19 ، قارن بالكامل ، 6 ، 303 ، اتعاظ ، 1 ، 76) وكاتبوا أبا يزيد فحضر اليهم وتسلم منهم المدينة وولى عليهم رجلا منهم يقال له رحمون (رحلة التجاني ، ص25 ، الكامل ، 6 ، 303) ثم راح يعسكر على وادي مجردة (العبر ، 2 ، 19) أو بفحص أبي صالح (الكامل ، 7 ، 303 ، المؤنس ، 58) ، وبعث القائم الى بشرى امدادات فاشتبك مع قطعة من جيش أبي يزيد كان يقودها ابنه أيوب بقرية أهر قيلية فهزمها بعد أن قتل منها أربعة آلاف وأسر خمسمائة رجل منها وعاد بهم الى المهدية حيث قتلهم العامة (الكامل، 6، 303، رحلة التيجاني ، 25 . اتعاظ ، 1 ، 76 ، المؤنس ، ص 58) .

3) تذكر المصادر أنه دخلها على رأس مائة ألف جندي ، بعد فرار عاملها عنها (العبر ، 2 ، 19 (ط . دوسلان) ؛ الكامل ، 6 ، 304 ؛ اتعاظ ، 771) .

4) دخلها ، في أواخر صفر 333 هـ / سبتمبر ـ أكتوبر 944 م (الكامل ، 6 ، 304 ، اتعاظ ، 1 ، 77) واستباحها حتى قصده شيوخها فأمنهم على أن يقاتلوا معه أولياء الشيعة (العبر، 2 ، 19) أو أنه أمنهم بعدما ماطلهم في حين كان أصحابه يقتلون وينهبون ولم يكفوا عن ذلك الا بعدما سمعوا بوصول ميسور اليهم في جيش كبير (الكامل ، 6 ، 904 ، اتعاظ ، 1 ، 77) وقتل عاملها ، مخالفا في ذلك نصيحة صاحبه أبي عمار بابقائه (العبر ، 2 ، 19 (ط . دوسلان) .

5) الأخوان منزل بين القيروان والمهدية (المغرب ـ 316) ، حسب HADY. ROGER. IDRIS فان هذه المعركة تكون قد وقعت بوادي المالح الواقع على بعد 10 كلم من المهدية *La Berbérie orientale sous les Zirides*, t. I.. p. 18.

6) المغرب ، ص : 31 ، أنظر : HADY ROGER IDRIS: *La Berbérie orientale sous les Zirides*, t. I., p. 18. وقد انتصر أبو يزيد بفضل المساعدة التي قدمها له بنو كملان الهواريون الذين فروا من صفوف عدوه والتحقوا به (العبر ، 2 ، 19) ، أو أن ميسورا هو الذي طردهم فالتحقوا به (الكامل ، 6 ، 304) .

شهرين وثمانية أيام في خيم ميسور ، وهو يبعث السرايا الى كل ناحية» (1) من بينها سرية وجهها الى سوسة (2) فافتتحها (3) ثم انتقل الى خربة جميل ، على بعد خمسة عشر ميلا من المهدية (4) فعسكر هناك وأخذ يبث سراياه في تلك النواحي (5) .

أما القائم الذي شعر بالخطر ، عندما بلغه خبر قتل فتاه وهزيمة جيشه ، فقد أمر بحفر خندق حول أرباض المهدية (6) في أواخر ربيع الآخر 333 هـ / نوفمبر ـ ديسمبر 944 م وفي يوم الخميس 22 أو 23 (لثمان بقين من» جمادي الأولى (7) / ديسمبر 944 م ـ يناير 945م ، أخرج اليه جيشا تمكن من هزيمة فضل بن أبي يزيد الذي كان يقود ضريسة (8) بسوق الأحد ، على بعد ستة أميال من القيروان (9) . الا أن أبا يزيد وصل مع بقية جيشه في الوقت المناسب ودارت الدائرة على أعدائه (10) فانهزموا وتبعهم حتى دخلوا عاصمتهم ، ورغب في نقل معسكره الى هناك لكن أصحابه أشاروا عليه بالعودة الى موضعه الأول حتى يستقصي الأمور ، فأخذ بنصيحتهم .

---

1) الكامل ، 6 ، 304 ، اتعاظ ، 1 ، 77 ، قارن مع المؤنس ، ص : 59 .

2) مدينة بين الجزيرة والمهدية وهي من القيروان على مرحلة ـ(صورة الأرض ، ص : 75) ، وبينها وبين سفاقص يومان وبينها وبين المهدية ثلاثة أيام وقيل منها الى القيروان 36 ميلا (معجم البلدان ، 3 ، 190 بعدها) .

3) يحدد التجاني تاريخ ذلك بسنة 332 هـ / 943 م ـ 944 م (رحلة التجاني ، ص : 27 ـ 28) .

4) تقول بعض المصادر بأنه نزل بخربة جميل (رحلة التجاني ، ص : 225 ، نزهة الأنظار ، ص : 133) ولا تذكر بعدها على المهدية ، ويذكر ابن الأثير بأنه نزل على بعد 15 ميلا من المهدية (الكامل ، 6 ، 305) ، ولا يذكر اسم المكان الذي نزل فيه ، ومن ثم كان بالإمكان استنتاج بعد خربة جميل عن المهدية بـ 15 ميلا .

5) رحلة التجاني ، ص : 225 ، نزهة الأنظار ، ص : 133 ، اتعاظ ، 1 ، 78 .

6) الكامل ، 6 ، 304 ، اتعاظ ، 1 ، 78 ؛ حسب ابن مقديش فقد أمر بحفر خندق حول المهدية وزويلة (نزهة الأنظار ، ص : 133) .

7) الكامل ، 6 ، 304 ، اتعاظ ، 1 ، 78 .

8) عنها أنظر : ملحق 1 ، 2 .

9) يقول التجاني وابن مقديش السفاقصي بأن سوق الأحد يقع بين المهدية ومعسكر أبي يزيد (رحلة التجاني ، ص : 225 ؛ نزهة الأنظار ، ص 133) ؛ بينما يحدد ابن الأثير والمقريزي بعد المعركة عن القيروان بستة أميال (الكامل ، 6 ، 305 ، اتعاظ ، 1 ، 78) فيكون موقع سوق الأحد اذا على بعد ستة أميال من القيروان .

10) رحلة التجاني ، ص 225 ، نزهة الأنظار ، ص 133 ، الكامل ، 6 ، 305 ؛ اتعاظ ، 1 ، ص : 78 .

ب) مرحلة التوازن :

في الأيام الأولى من جمادي الآخر 333هـ (1) / يناير - فبراير 945م شن صاحب الحمار هجوما على المهدية تمكن فيه من اقتحام الخندق المحفوز حولها ووصل الى المصلى الواقعة على رمية سهم منها (2) واستولى على زويلة (3) فانشغل أصحابه بالنهب والقتل فيها وصمد جنود المهدية في الدفاع عنها الى أن وصلتهم نجدة زيري بن مناد الصنهاجي (4) .

وكان القائم كتب اليه «والى سادات كتامة والقبائل يحثهم على الإجتماع بالمهدية» (5) وتمكن زيري من تموين الجيش الفاطمي (6) بما يحتاج من القمح، في حين انسحب الجيش النكاري الى ترنوط (7) وبقي هناك يمنع الدخول الى المهدية والخروج منها بينما كانت القبائل تلتحق به من نفوسة (8) وقابس وطرابلس (9) وإفريقية والزاب وأقاصي المغرب (10) وهي في معظمها قبائل زناتة وهوارة (11)

---

1) الكامل ، 6 ، 305 ؛ أخبار ملوك بني عبيد ، ص : 24 .

2) تقدر هذه المسافة بـ 233 ذراعا (التجاني : رحلة التجاني ، ص : 321 ؛ المؤنس ص : 57) .

3) مدينة بناها المهدي للعامة ، بعدما نزل بجنده وخاصته بالمهدية ، بينها وبين المهدية قدر غلوة سهم ، وجعل الأسواق والفنادق فيها وأدار بها خنادق متسعة تتجمع فيها مياه الأمطار (رحلة التجاني ، ص : 224) ؛ عنها أنظر معجم البلدان ، 4 ، ص : 696 .

4) الكامل ، ، 6 ، 305 ؛ اتعاظ ، 1 ، 78 .

5) نفسه ، ص : 304 ، اتعاظ ، 1 ، 78 ، قارن بالعبر ، 2 ، 20 ، (ط . دوسلان) ، المؤنس ، ص : 59

6) الكامل ، 7 ، 47 ، أنظر : HADY ROGER IDRIS: *La Berbérie orientale.*, p. 19; JULIEN CHA), *Hist. de l'Afr. du Nord*, p. 64; MARÇAIS (G.), *La Berbérie mus. au Moyen Age*, p. 152.

7) هو فحص على ستة أميال من المهدية (المغرب ، ص : 31) أو على خمسة أميال منها (رحلة التجاني ، ص 226 ؛ نزهة الأنظار ، ص : 133) يسميها ابن الأثير والمقريزي ترنوطة (الكامل ، 6 ، 305 ، اتعاظ ، 1 ، 78) أنظر : المؤنس ، ص : 59 ؛ حسب Hady ROGER-IDRIS فان أبا يزيد يكون علم عندما كان يستعد لاجتياز المصلى ، أن كتامة هزمت جزء من جيشه الخلفي في باب الفتح ؛ وأن زيري بن مناد وصل على رأس صنهاجة فقرر أن يعود الى باب الفتح ليأخذ زيري وصنهاجة من الخلف لكنه في نهاية الأمر عاد الى مقر قيادته العامة (*La Berbérie orientale sous les Zirides*, pp. 18-19)

8) الكامل ، 6 ، 305 ؛ العبر ، 2 ، 20 (ط . دوسلان) ؛ المؤنس ، ص : 59 .

9) العبر ، 2 ، 20 (ط . دوسلان) ؛ المؤنس ، ص : 59 .

10) الكامل ، 6 ، 305 ؛ المؤنس ، ص : 59 .

11) يرى CARETTE (E.) أن بربر نفوسة وقابس وطرابلس والزاب من زناتة وهوارة وحلفائها ؛ أما البربر ، الذين جاؤوا من أقاصي المغرب فهم من مناطق زناتة الموجودة بتاهرت وسجلماسة وتامسنا =

في 23 أو 24 (لسبع بقين من) جمادي الآخرة (1) / يناير ـ فبراير 945 م ، قام بمحاولة ثانية ولم يوفق فيها أيضا (2) فبعث يطلب امدادات من عامله على القيروان ، ولما وصلته ، قام بشن هجوم ثالث لكنه هزم هذه المرّة ، ومع ذلك لم يستسلم بل راح يجرب حظه للمرّة الرّابعة في العشر الأخير من شوال (3) / مايو ـ يونيو 945 م فلم يحصل على نتيجة أفضل من سابقاتها (4) . في هذه الظروف اجتمعت كتامة بقسنطينة «لامداد القائم فسرح اليهم أبو يزيد زكوا المزاتي في جموع ورفجومة فانفض عساكر كتامة من قسنطينة ويئس القائم من مددهم» (5) . الا أن الحظ وقف بجانبه .

ذلك أن معظم أصحاب عدوه تفرّقوا : بعضهم «في الغازات والنهب» (6) وبعضهم كانوا يأتون اليه «ينهبون ويقتلون ويرجعون الى منازلهم فلما لم يبق ما ينهب توقفوا عن المجيء» (7) وبعضهم طال عليهم المقام «وسئموا التغريب على بلادهم وتحققوا من حصانة المهدية» (8) أي أنهم يئسوا من الإنتصار والبعض الآخر تركوه لأنه غير سيرته بعد قتل ميسور ، فصار يلبس الحرير ويركب عتاق الخيل (9) **وكان قبل ذلك يلبس خشين الصوف ويمسك العصا ويركب حماره الأشهب (10)**

Recherches sur l'origine et les migrations des principales tribus de l'Algérie septentrionale, = p. 193.

1) الكامل ، 6 ، 305 ، اتعاظ ، 1 ، 79 .

2) المؤنس ، ص : 60 ؛ اتعاظ ، 1 ، 79 .

3) الكامل ، 6 ، 303 ؛ اتعاظ ، 1 ، 79 .

4) حسب ابن خلدون فقد هزم هذه المرة أيضا (العبر ، 2 ، 20 (ط . دوسلان) .

5) العبر ، 2 ، 20 (ط. دوسلان) ، أنظر : المؤنس ، ص : 60 .

6) نفسه ، أنظر : المؤنس ، ص : 60 .

7) ابن الأثير : الكامل ، 6 ، 306 ، قارن مع المقريزي : اتعاظ ، 1 ، 79 .

8) رحلة التجاني ، ص : 326 ، نزهة الأنظار ، ص : 133 ، حسب GAUTIER (E.) فان حصار المهدية الذي انعكس فيه الحظ ، بدا معجزة ، وقد أعطى للتخيل الشعبي هزة عميقة ، جمع أصداءها كل المؤرخين ، اذ قيل أن عبيد الله المهدي مؤسسها تنبأ به قبل وقوعه بثلاثين سنة *Le Passé de l'Afrique du Nord,* p. 330.

9) العبر ، 2 ، 19 ـ 20 (ط . دوسلان) ، أخبار ملوك بني عبيد ، ص : 20 ، أنظر : *Histoire des Musulmans d'Espagne,* II, 159.

10) أخبار ملوك بني عبيد ، ص : 20 ، قارن مع ابن الأثير : الكامل ، 6 ، 303 ، أنظر : DOZY (R.), *Ibid* :

المهم أنه لم يبق معه سوى «طوائف من هوارة وزناتة» حسب بعض المصادر (1) أو هوارة أوراس وبني كملان ، حسب البعض الآخر (2) ، ولم يمض وقت طويل حتى افترق عنه هؤلاء بدورهم ، فلجأ بعضهم الى المهدية (3) وعاد الآخرون الى مواطنهم (4) فما كان عليه الا أن رحل هو الآخر بمن بقي معه (5) الى القيروان في 6 صفر 334 هـ (6) / سبتمبر ـ أكتوبر 945 م .

وقد حاول أبو عمار أن يجد علاجا للوضع المتدهور ، واستطاع أن يرد صديقه الى الطريق «فتاب ... وعاود لبس الصوف والتقشف» (7) وبفضل ذلك تمكن من تنظيم نفسه ، من جديد وعادت المعارك تدور بين الطرفين ، عندما وجه قائده مستوية الى تونس لما بلغه من مخالفة أهلها عليه ، وعلم القائم بذلك فسارع الى توجيه قائده عمار بن علي بن الحسين ليسبقه اليها ، ومع أن عمارا وجد القائد النكاري سبقه (8) ودخلها في صفر (9) 334 هـ / سبتمبر أكتوبر 945 م الا أنه

1) رحلة التجاني ، ص : 325 ، نزهة الأنظار ، ص : 133 .

2) العبر ، 2 ، 20 (ط . دوسلان) ، الكامل ، 6 ، 306 ، اتعاظ ، 1 ، 79 ، ويلاحظ أن بني كملان أيضا من هوارة .

3) يتفق ابن الأثير والمقريزي على أن القائم علم قبل ذلك بتفرق أصحاب عدوه فأخرج اليه جيشا في 7 ذي الحجة / يوليو أوت 945 م ، لكن جيش المهدية هزم ، وفي آخر ذي القعدة أقام أبو يزيد حصارا على العاصمة الفاطمية ، وبقي الحصار مضروبا عليها حتى دخلت سنة 334 هـ / 945 م ـ 946 م عندئذ هرب جماعة من أصحابه اليها وخرجوا مع أصحاب القائم فهزموه وتفرق جيشه «الكامل ، 6 ، 306 . اتعاظ ، 1 ، 79 ـ 80) وكان سبب هروبهم عداوة بينهم وبين قوم سعوا بهم اليه (الكامل ، 6 ، 306) .

4) يرد ابن خلدون سبب ذلك الى كثرة مراسلة القائم لهم ، من جهة ، واسترابة أبي يزيد بهم ، من جهة أخرى (العبر ، 2 ، 20 (ط . دوسلان) ، حسب ابن الأثير والمقريزي فانهم رحلوا الى القيروان دون استشارته (الكامل ، 6 ، 306 ، اتعاظ ، 1 ، 80) ليجمعوا جيشا ويعودوا به اليه ولما علم برحيلهم بعث اليهم ليردهم فلم يجيبوا (الكامل ، 6 ، 306) .

5) العبر ، 2 ، 20 (ط . دوسلان) ، يقدر ابن الأثير وابن أبي دينار الذين بقوا معه بثلاثين رجلا (الكامل ، 6 ، 306 ، المؤنس ، ص : 60) ، قارن رحلة التجاني ، ص : 327 ، نزهة الأنظار ، ص : 133 . أنظر MERCIER (E.) : *Histoire de l'établissement des Arabes* p. 114.

6) الكامل ، 6 ، 306 ، اتعاظ ، 1 ، 80 .

7) العبر ، 2 ، 20 (ط . دوسلان) ، أنظر (R.) *Histoire des Musulmans d'Espagne*, p. 159.

8) التجاني : رحلة التجاني ، ص : 22 :

9) الكامل ، 6 ، 307 ، اتعاظ ، 1 ، 80 ، حسب ابن أبي دينار فقد دخلها يوم السبت 11 صفر سبتمبر 946 (المؤنس ، ص : 60) .

انتصر عليه واستولى عليها في 5ربيع الأول (1) / أكتوبر ـ نوفمبر 945م لكن أبا يزيد أخرج اليها جيشا آخر بقيادة ابنه أيوب (2) فقتل من عاد اليها من أهلها وأحرق ما بقي منها ثم قصد باجة (3) حيث نصب كمينا (4) لعلي بن حمدون الأندلسي (5) الذي كان متوجها بجيش ، جمعه من المسيلة وسطيف وما انضم اليه مـن بني هـراس (6) أو جماعة من كتامـة وزواوة (7) لامـداد القائم به ، فهزم أيوب عليا وفرق جموعه (8) وعاد بعد ذلك الى تونس لمراجهة جيش آخر

---

1) الكامل ، 6 ، 309 ، اتعاظ ، 1 ، 81 ؛ حسب ابن أبي دينار فان ذلك كان يوم الإثنين 6 ربيع الأول وأن عساكر القائم قتلوا من وجدوا بتونس من النكار ، ونهبوا لهم نحو ثلاثة آلاف حمل من الطعام ثم رجعوا الى المهدية (المؤنس ، ص : 61) ويقول التجاني وابن أبي دينار أن عمارا عزم على الرّجوع ، عندما وجد مستويه قد سبقه ، لكن مستويه خرج اليه وقاتله بصلتان (رحلة التجاني ، ص : 27) . أوعند وادي مليان (المؤنس ، ص : 60 ـ 61) فانهزم عمار ولجأ الى جبل الرّصاص فامتنع به ليلة ولما استأنف طريقه تبعه مستويه وقاتله مرّة أخرى فانهزم مستويه (رحلة التجاني ، ص : 22 ـ 23 ، المؤنس ، ص 61) .

2) الكامل ، 6 ، 307 ، اتعاظ ، 1 ، 81 ؛ حسب ابن أبي دينار فان أبا يزيد هو الذي كان قائد الجيش (المؤنس ، ص 61) .

3) الكامل ، 6 ، 307 ، اتعاظ ، 1 ، 81 ، المؤنس ، ص 61 ، تذكر نفس المصادر أنه دخلها بالسيف وقتل من بها من أصحاب القائم وأحرقها .

4) وذلك ما يستنتج من قول المقريزي بأن أيوبا فاجأ علي بن حمدون (اتعاظ ، 1 ، 81) .

5) هو حفيد لعبد الحميد الشامي الذي دخل الأندلس ونزل كورة ألبيرة ثم انتقل حفيده حمدون الى بجاية ؛ وصحب أبا عبد الله الشيعي ودخل مذهبه ، ولما انتصر الشيعي ظهر علي بن حمدون وازداد ظهورا أيام عبيد الله المهدي فضمه الى ولي عهده أبي القاسم وخرج معه في حملته على المغرب فكلفه ببناء مدينة المسيلة وولاه عليها (البيان ، 2 ، ص : 242ـ 243) .

6) الكامل ، 6 ، 307 .

7) العبر ، 2 ، 20 (ط . دوسلان) .

8) حسب ابن خلدون فإن فرس علي تردى به في بعض الأوعار فمات (العبر، 2 ، 20 (ط . دوسلان) ؛ ويحدد ابن حيان تاريخ ذلك بربيع الآخر سنة 334 هـ/ نوفمبر ـ ديسمبر 945 م (المقتبس في أخبار الأندلس ، ص 35) أما ابن الأثير فيقول بأن عليا هرب وخاض معركة أخرى فيما بعد مع أيوب بمكان يسمى بلطة فهزم وهرب أيضا الى بلد كتامة مع 300 فارسا و400 راجلا ، وجمع قبائل كتامة ونفزة ومزاتة وغيرهم بقسنطينة ووجه عسكرا الى هوارة ، وكان أبو يزيد يعتمد عليهم فسير اليه عساكر عظيمة فحاربته ، وكان النصر لعلي الذي استولى على مدينتي تيجس وباغاية (الكامل ، 6 ، 307 ـ 308) .

للقائم (1) كان يقوده «حسن بن علي من دعاة الشيعة» (2) فأخذ يقاتله حتى أجبره على الفرار الى بلد كتامة (3) لكنه سرعان ما جمع لنفسه جيشا من كتامة (4) أو من كتامة ونفزة ومزاتة وغيرهم (5) ، وسار به الى قسنطينة . ولما علم به أبو يزيد أخرج اليه جنوده فهزمهم (6) .

وراح ابن كيدان بعد ذلك يضرب حصارا على سوسة (7) في جمادى الآخرة (8)/ يناير- فبراير 946م ، لأن أهلها كانوا قد خالفوا عليه (9) ، غير أن أبا

---

1) الكامل ، 6 ، 307 .

2) العبر ، 2 ، 20 (ط . دوسلان) .

3) نفسه ، ص : 20 ـ 21 ، حسب ابن الأثير فإن القتال انتهى لصالح جيش القائم وانهزم أيوب الى القيروان في ربيع الأول 334هـ / أكتوبر ـ نوفمبر 945م ، فغضب أبويزيد لذلك وأخرجه ثانية لقتال علي بن حمدون بمكان يقال له بلطة فهزم علي الى بلاد كتامة في 300 فارسا و400 راجلا (الكامل ، 6 ، 307 ـ 308) . قارن مع المقريزي : (اتعاظ ، 1 ، 81) غير أن عليا بن حمدون كان قد قتل حسب مصادر أخرى (أنظر: ما قبل ص 207 هامش 8) وعلى فرض أنه لم يقتل ، فكيف يعقل أن يغضب أبويزيد بسبب هزيمة حسن بن علي لجيشه ثم يتركه ويوجه جيشه ضد علي بن حمدون ؟ ألا يحتمل أن يكون ابن الأثير قد أخلط بين علي بن حمدون وحسن بن علي ؟ بدلا من أن يتكلم عن الثاني تكلم عن الأول .

4) العبر ، 2 ، 21 (ط . دوسلان) .

5) الكامل ، 6 ، 308 .

6) نفسه ، اتعاظ ، 1 ، 8 ، مع العلم أن ابن الأثير يقول بأن أبا يزيد سير جيشه الى قسنطينة ، عندما علم أن عليا بن حمدون (ويقصد به بدون شك حسن بن علي) وجه عساكره الى هوارة التي كان يعتمد عليها (الكامل ، 6 ، 308) .

7) يرد ابن خلدون سبب ذلك الى اجتماع حشود البربر على أبي يزيد وعودة قوته اليه (العبر ، 2 ، 21 (ط . دوسلان) ، في حين يقول ابن الأثير والمقريزي بأنه فعل ذلك عندما رأى أن جيشه هزم بقسنطينة وأن عدوه استولى على مدينتي تيجس وباغاية (الكامل ، 6 ، 307 ، اتعاظ ، 1 ، 81) .

8) ابن الأثير: الكامل ، 6 ، 307 ، المقريزي : اتعاظ ، 1 ، 81 ، يقدر البكري جيشه في هذا الحصار بثمانين ألف فارس (المغرب ، ص : 35) أما التجاني فيقول بأن جيشه كان يسكن 000 . 100 خص . يسكن الخص الواحد الثلاثة والأربعة فأكثر (رحلة التجاني ، ص 327) .

9) نزهة الأنظار ، ص : 133 ـ 134 .

طاهر اسماعيل المنصور (1) الذي تولى الخلافة بعد موت أبيه في شوال 334 هـ (2) / مايو ـ يونيو 946 م ، شحن مراكب بالرّجال وأمدها بها (3) فشاركوا في قتال صاحب الحمار وهزموه (4) ، فحاول أن يدخل القيروان لكن أهلها منعوه و «قتلوا جماعة من أصحابه» (5) فابتعد عنهم .

عند ذلك تحرك المنصور من المهدية الى سوسة (6) أولا ، فدخلها في 24 أو 25 (لست بقين من) شوال 334 هـ (7) / مايو ـ يونيو 946 م ، فأمن أهلها (8)

---

1) البيان ، 1 ، 218 ، المؤنس ، ص : 62 ، يسميه ابن حماد أبو العبّاس اسماعيل المنصور (أخبار ملوك بني عبيد ، ص : 22) ، وقد ولد بالمهدية سنة 302 هـ / 914 م ـ 915 م (البيان ، 1 ، 218) ، وولاه أبوه العهد وفوض له الأمر في رمضان334هـ/945م-946م (الحلة السيراء ،2، 287) ، أخبار ملوك بني عبيد ، ص : 21 ؛ الكامل ، 6 ، 308) ؛ وسمي فيما بعد*السلاخ لأنه كان يبالغ في الانتقام من البعض بسلخهم (أخبار ملوك بني عبيد ، ص : 26) .

2) الحلة السيراء، 2 ، 387 ، العبر ، 2 ، 21 (ط. دوسلان) ، البيان ،1 ، 218 ، أخبار ملوك بني عبيد ، ص: 21 ؛ حسب المقريزي فقد توفي في رمضان / أفريل ـ مايو 946م (اتعاظ ، 1 ، 82) ، حسب أبي الفداء فقد مات عندما كان أبو يزيد بالقيروان فسار اليه المنصور بنفسه وأخرجه منها (المختصر ، 3 ، 116) .

3) لا تذكر المصادر عدد هذه المراكب ولا عدد الرجال ، في حين يذكر ابن مقديش السفاقصي أنه أمدها بجيش بري (نزهة الأنظار ، ص : 134) .

4) العبر ، 2 ، 21 (ط . دوسلان) ، اتعاظ ، 1 ، 82 ، نزهة الأنظار ، ص : 134 ؛ تختلف المصادر في سرد رواية تفاصيل هذه الهزيمة فبعضها تقول أن المنصور هو الذي هزمه (افتتاح الدعوة ، ص : 278 ، المؤنس ، ص : 61) ، أو أن جيش القائم في سوسة هو الذي هزمه (الكامل ، 6 ، 308) ، أو أن 400 فارسا أرسلهم القائم ، هاجموا أبا يزيد في يوم كثير الغيم وأطلقوا النار في حطب كان هناك فتطاير شرارها في أخصاص أبي يزيد فأظلم الجو وتخاذل أصحابه فهربوا (رحلة التجاني ، ص : 227) ، ويقول ابن عذاري إن أبا يزيد وصل المهدية سنة 325هـ / 946م ـ 947م ثم نهض الى سوسه ، ولما هزمه أهلها عاد الى المهدية ، وتقدم الى بابها وكان المنصور يلعب بسلباحة في صهريج فأمر بالخروج اليه (البيان ، 1 ، 219) .

5) رحلة التجاني ، ص : 327 ، قارن مع ابن مقديش : نزهة الأنظار، ص : 134 ؛ ابن أبي دينار : المؤنس ص : 61 ، حسب ابن الأثير فإن أهل القيروان حاصروا عاملهم في داره فنثر الدنانير على رؤوسهم ، فاشتغلوا بها عنه فهرب الى أبي يزيد (الكامل ، 6 ، 308) .

6) ابن خلدون : العبر ، 21 (ط . دوسلان) ، الكامل ، 6 ، 308 ، اتعاظ ، 1 ، 82 ، حسب أبي الفداء ، فقد خرج من المهدية الى القيروان واستعادها من أبي يزيد (المختصر ، 3 ، 116) ، ويحدد ابن الأبار تاريخ خروجه من المهدية بـ 23 أو 24 (لسبع بقين) شوال / مايو ـ يونيو ، وأنه خرج في قلة من عبيده وخدمه (الحلة السيراء ، 2 ، 388) .

7) الكامل ، 6 ، 308 ، أو أنه دخلها في 23 أو 24 (لسبع بقين) شوال (اتعاظ ، 1 ، 334) .

8) وكان قبل ذلك ساخطا عليهم لطاعتهم أبي يزيد (الكامل ، 6 ، 308) .

ثم تركها الى القيروان (1) فاستولى عليها وأمن أهلها أيضا ، في حين جمع أبو يزيد أنصاره مرة أخرى وزحف بهم عليه (2) وأصبح القتال يدور بينهما ، وتمكن المنصور من إلقاء القبض على حرم وأولاد عدوه ، فعاملهم معاملة حسنة (3) ثم وجههم اليه ، عندما طلب منه ذلك وأبدى استعداده للدخول في طاعته على أن يؤمنه وأصحابه ، غير أنه لم ينفذ وعده بعد وصولهم اليه (4) لكن المنصور الذي كانت الإمدادات تصله من مختلف الجهات (5) استطاع أن يخوض ضده معركة حاسمة هي معركة يوم الجمعة» التي أجبره فيها على الفرار في 15 محرم 335 (6) هـ / أوت 946 م ، فما بقي عليه بعد ذلك سوى ملاحقته .

ج) مرحلة الإنهزام :

وجهز المنصور نفسه ثم رحل يطلب الثائر النكاري في ربيع الأول 335 هـ (7) / أكتوبر ـ نوفمبر 946 م ، وصار يطارده في كل مكان يحل به ، فقد قصده وهو محاصر مدينة باغاية (8) لأن أهلها كانوا قد أغلقوا أبوابها في وجهه ، عند

---

1) حسب المقريزي فقد سار اليها في 24 أو 25 (لست بقين) شوال (اتعاظ ، 1 ، 82) .

2) العبر ، 2 ، 21 (ط . دوسلان ، حسب ابن الأثير والمقريزي فان أبا يزيد بعث سريه الى القيروان تستخبر له ، وعلم المنصور بها فأخرج اليها سرية من قبله ، فهزمت سرية المنصور سرية أبي يزيد ، وانتشر خبر هزيمتها بين الناس فسارعوا بالانضمام الى أبي يزيد وقوي بهم جمعه فزحف على القيروان (الكامل ، 6 ، 308 ـ 309، اتعاظ ، 1، 82) .

3) العبر ، 2 ، 21 (ط . دوسلان) ؛ اتعاظ ، 1 ، 82 .

4) الكامل ، 6 ، 309 ، اتعاظ ، 1 ، 83 .

5) العبر ، 2 ، 21 (ط . دوسلان) .

6) الكامل ، 6 ، 308 ـ 309 ، اتعاظ ، 1 ، 83 ـ 84 ؛ العبر ، 2 ، 21 ؛ ورد في سيرة الأستاذ جوذر أن المنصور كتب خطابا يوم الخميس 14 محرم 335 هـ باسم القائم يشرح له فيه انتصاره على أبي يزيد في وقعة يوم الجمعة ويخبره فيه بأنه راحل من ليلته في طلبه (سيرة الأستاذ جوذر ، ص : 48 فما بعدها) حسب Hady. R. Idris. فإن هذه الهزيمة جاءت ، في الوقت الذي كانت المساعدة الأندلسية تتحقق لكن ابن الرمحيس الذي كان يقود الأسطول الى افريقية عاد بعدما لاحظ أن تدخله عبث *La Berbérie orientale sous les Zirides*, t. I, p. 2).

7) ابن حماد : أخبار ملوك بني عبيد ، ص: 25، الكامل،6، 309، اتعاظ ، 1، 84 ، المختصر ، 3 ، 116) حسب ابن خلدون فإنه لاحقه بعد الهزيمة مباشرة (العبر ، 2 ، 21).

8) الكامل ، 6 ، 309 ، أخبار ملوك بني عبيد ، ص : 25 .

مروره عليهم (1) فلما اقترب منه هرب (2) واستقبل أهل باغاية المنصور فشكرهم (3) ثم قصد طنجة حيث انظم اليه عامله على المسيلة جعفر بن علي (4) وبلغه أن أبا يزيد نزل بسكرة فارتحل اليها فوصلها بعدما «فر أبو يزيد الى بني برزال (5) بجبل سالات (6) ثم الى جبل كيانة (7) ... وارتحل المنصور في اثره الى مقرّه (8) وبيته أبو يزيد هناك فانهزم ... وانحاز الى جبل سالات ثم لحق بالرّمال ورجع عنه بنو كملان» (9) .

أما المنصور فقد سار بعد تلك المعركة الى مدينة المسيلة ، وبلغه هناك أن صاحب الحمار بجبل سالات «فمشى أحد عشر يوما في تلك القفار والأوعار ثم نزل بسفح الجبل المذكور وأتاه أهل الجبل ... طائعين فسألهم عن أبي يزيد فلم يجد عندهم خبرا عنه فأمرهم إن مر بهم راجعا أن يأخذوه ووعدهم على ذلك بالأموال ووصلهم في الحال وكرّ راجعا» (10) .

وقد رد أبو الفداء والمقريزي سبب رجوعه الى اشتداد الحال على جيشه حتى بلغت عليقة الشعير دينارا ونصفا وقربة الماء دينارا(11) ويضيف ابن حماد الى ذلك

1) أخبار ملوك بني عبيد ، ص : 25 .
2) الكامل ، 6 ، 309.
3) أخبار ملوك بني عبيد ، ص : 26.
4) العبر 2 ، 21 (ط . دوسلان) ، وجعفر هذا هو ابن علي بن حمدون الأندلسي ، تولى المسيلة بعدما قتل أبوه في احدى المعارك ضد ابي يزيد (المقتبس ، ص : 35).
5) يقول ابن الأثير : أن الهروب استمر به حتى وصل جبل بزال وأهله على مذهبه (الكامل، 6، 310) ويسميهم ابن حماد بني زروال وهم قبائل جبل سالات وأن أبا يزيد حشد منهم عددا كثيرا (أخبار ملوك بني عبيد ، ص : 27) ويقول أبو الفداء بأنه هرب الى جبل برزال (المختصر ، 3 ، 116) .
6) وهو جبل شامخ دونه قفر ومفاوز ورمال ودكادك (أخبار ملوك بني عبيد ، ص : 28) ويقع قرب بوسعادة . *La Berbérie orientale sous les Zirides*, I, p. 21.
7) أنظر : ما قبل ، ص : 19 .
8) منزل فيه مرصد ، يبعد عن طبنة بمرحلة ، وعن المسيلة بمرحلة (صورة الأرض ، ص : 85)، ويقع شمال شط الحضنة ، وشمال غرب بسكرة HADY. (R.), IDRIS : *La Berbérie orientale sous les Zirides*, t. I, p. 21., note 72.
9) العبر ، 2 ، 21 (ط . دوسلان) ؛ قارن مع ابن حماد : أخبار ملوك بني عبيد ، ص : 27 ـ 28 ، ابن الأثير : الكامل ، 6 ، 310).
10) ابن حماد : أخبار ملوك بني عبيد ، ص : 28 ، قارن مع ابن الأثير : الكامل ، 6 ، 310 ؛ ابن خلدون : العبر ، 2 ، 21 (ط. دوسلان).
11) المختصر ، 3 ، 116 ، اتعاظ ، 1 ، 84.

بأن كثيرا من أصحابه ماتوا جوعا وعطشا أثناء عودتهم وتخلى الباقي عنه عندما اكتشف موقع عدوه وعزم على مهاجمته (1). فما كان عليه اذا الا أن واصل طريقه الى بلاد صنهاجة حيث اتصل به أميرها زيري بن مناد (2) بجنوده (3) . ولما انتهى الى مكان يسمى «وادي لعلع» أصابه مرض فبقي به مدة شهرين تقريبا (4) وعلم ابن كيداد به فراح يحاصر المسيلة الا أن ذلك الحصار جاء في الوقت الذي شفي فيه المنصور من مرضه، فزحف اليه قبل أن يتمكن منها في رجب سنة 335ه (5) فبراير ـ مارس 947 م ، ولم ينتظره أبو يزيد بل حاول أن يهرب مرّة أخرى الى بلاد السودان لكن أصحابه من هوارة رفضوا اتباعه (6) فاضطر أن يصعد بهم الى جبل كيانة (7) .

---

1) أخبار ملوك بني عبيد ، ص : 28 ـ 29.
2) اتعاظ ، 1 ، 84 ، يسميه ابن الأثير الأمير زيري بن مناد الصنهاجي الحميري ويقول بأنه اتصل به في قرية دمرة (الكامل، 6،310) ، ويسميها أبو الفداء قرية عمرة (المختصر، 3، 116) ، ويقول ابن حماد انه اتصل به في حائط حمزة (أخبار ملوك بني عبيد ، ص : 29)حسب HADY IDRIS (R.), فانهما تقابلا بدمرة أوعند عمارة أو بالأحرى بآيت حمزة أي برج حمزة الواقع بين البيبان وسور الغزلان ويرى أن الاتصال بينهما قد يكونتم فيمابعد *La Berbérie orientale sous les Zirides*, t. I, pp. 21-22) ويقول ابن حماد ، ان المنصور كاتبه هو وماكس بن سعد وبعث اليهما أموالا جمة وثيابا جميلة ومن الذهب والعين فأجاباه وحشد الجم الغفير من صنهاجة وعجيسة (أخبار ملوك بني عبيد ، ص : 27) ، ويلاحظ أن ابن حماد هنا بالغ في الحديث عن الأموال التي كان المنصور يبذلها كل مرة خاصة وأن أحواله المادية كانت سيئة ، كما تبين.
3) أخبار ملوك بني عبيد ، ص : 29 ؛ اتعاظ ، 1 ، 81.
4) نفسه.
5) أبو الفداء : المختصر ، 3 ، 116 ـ 117 ؛ الكامل ، 6 ، 310 ؛ اتعاظ ، 1 ، 84 ؛ حسب ابن حماد فان أخبار أبي يزيد انقطعت عن المنصور فعزم على التوجه الى تاهرت وسمع أبو يزيد بذلك فخالفه الى المسيلة وحاصرها فاتصل الخبر بالمنصور فجد السير اليه (أخبار ملوك بني عبيد ، ص : 29 ـ30) .
6) الكامل ، 6 ، 310 ، اتعاظ ، 1 ،84 .
7) هكذا يسميه ابن خلدون الذي لم يشر الى مرض المنصور ولا إلى محاصرة أبي يزيد للمسيلة بل يقول بأن المنصور عندما دخل بلاد صنهاجة بلغه رجوع أبي يزيد الى جبل كيانة فسار اليه (العبر ، 2 ، 21 ـ 22 (ط . دوسلان) ، ويتفق معه في تسمية الجبل التجاني : رحلة التجاني ، ص : 327 ، أو أنه نزل قلعة كيانة (سيرة الأستاذ جوذر ، ص : 48) ؛ حسب ابن حماد فقد هرب الى جبل عفار وكيانة (أخبار ملوك بني عبيد ، ص : 30) وتقول بعض المصادر بأنه هرب الى جبل كتامة (المختصر ، 3 ، 117 ؛ الكامل ، 6 ، 310 ؛ اتعاظ ، 1 ، 84.

ووصل الى المسيلة . وفي 10 شعبان 335هـ / مارس ـ أبريل 947 م تحرّك اليه (1) على رأس جيش يتكون من كتامة وعجيسة ، وزواوة وحشود بني زنداك ، ومزاتة ، ومكناسة ، ومكلاتة ، (2) ودارت بينهما معركة ، سميت معركة الرؤوس ، بفحص باتنة الّتي كانت تسمى قديما أذنة (3) وقد هزم فيها جيش أبي يزيد ، بعد قتل عشرة آلاف من أفراده (4) معظمهم من بني كملان ومزاتة أو زناتة ، وأصيب هو نفسه بجراح (5) ، غير أن أصحابه تمكنوا من انقاذه وراحو يتحصنون بالجبل بينما عاد عدوهم الى المسيلة (6) .

وفي أول رمضان 335 هـ / أبريل 947 م تحرّك المنصور ثانية اليه (7) وفي اليوم الثاني اشتبك جيشاهما فهزم النكاري مرّة أخرى (8) ولجأ الى قلعة الجبل (9) «وأقبلت هوارة وأكثر من مع أبي يزيد يطلبون الأمان فأمنهم المنصور» (10)

---

1) المختصر ، 3 ، 117 ، الكامل ، 6 ، 310 ، اتعاظ ، 1 ، 84 .
2) العبر ، 2، 22 (ط. دوسلان) .
3) أخبار ملوك بني عبيد ، ص : 31 ، يكتبها البكري أدنه (بالدال) ويقول أنه يقع من المسيلة على بعد مرحلة ومن طبنة على بعد مرحلتين (المغرب ، ص : 144) ، عن وقوع هذه المعركة أنظر : (الكامل ، 6 ، 310 ، اتعاظ ، 1 ، 84).
4) أخبار ملوك بني عبيد ، ص : 31 ، اتعاظ ، 1 ، 85.
5) ابن حماد : أخبار ملوك بني عبيد ، ص: 31 ، حسب ابن الأثير والمقريزي فان زيري بن مناد هو الذي جرحه (الكامل ، 6 ، 310 ، اتعاظ ، 1 ، 85).
6) نفسه ، قارن مع ابن خلدون : العبر ، 2 ، 22 (ط. دوسلان) .
7) المختصر ، 3 ، 117 ، الكامل ، 6 ، 310 ، اتعاظ ، 1 ، 85 ،أخبار ملوك بني عبيد ، ص: 31 .
8) حسب ابن حماد فان هذه المعركة سميت وقعة الحريق لما أحرق فيها من أخصاص لأصحاب أبي يزيد الكثيرة (أخبار ملوك بني عبيد ، ص : 31 ـ 32) ، حسب ابن الأثير فقد أحرقت أثقاله وما فيها (الكامل ، 6 ، 310) ، أما أبو الفداء فيقول بأنها أخذت (المختصر ، 3 ، 117) .
9) اختلفت المصادر في تسميتها ، فهي قلعة كيانة (العبر ، 2 ، 22 (ط . دوسلان) ؛أوقلعة كتامة (المختصر ، 3 ، 117 ، الكامل ، 6 ، 310 ، اتعاظ ، 1 ، 85) ، أو قلعةكيانة واسمها تاقربوست وهي مطلة على قلعة بني حماد (أخبار ملوك بني عبيد ، ص : 32) ، أو قلعة كناية وهي بناحية الزاب (افتتاح الدعوة ، ص : 279) ، وتقع حسب ابن عذاري في الجبل المعروف بحصن أبي يزيد (البيان ، 1 ، 290) ويلاحظ أن التسمية الأولى أقرب الى الصواب من غيرها .
10) الكامل ،، 6 ، 310 ، اتعاظ ، 1 ،85 .

وحاصر القلعة بعد ذلك (1) وراح يهاجمها مرّة أخرى حتى اقتحمها عليه ، حسب بعض المصادر (2) أوكاد حسب البعض الآخر (3) .

وبالرغم من أن أبا يزيد تخلص من الحصار (4) الا أنه لم يذهب بعيدا حتى الّقي عليه القبض وسيق الى المنصور وهو مثخن بجراح خطيرة مات متأثرا بها ، في آخر شهر محرّم 336 هـ (5) / أوت 947 م «بعد أسره بأربعة أيام» (6) مخيبا بذلك أمل الخليفة الفاطمي الذي كان قد «كساه وأمر بمداواته والإحسان اليه طمعا في أن يصل به الى القيروان» (7) فما كان عليه إلا أن أمر بسلخ جثته وحشو جلده بالتبن (8) .

الحركة النكارية بعد أبي يزيد :

حاول فضل بن أبي يزيد استئناف الحرب ضد الفاطميين فجمع من نجا من أصحاب أبيه (9) وقام بغارة على جيشهم ، لكن المنصور هزمه وراح يطارده حتى

---

1) نفسه . نفسه . المختصر ، 3 ، 117 ، العبر ، 2 ، 22 (ط . دوسلان) ، قارن مع ابن حماد : أخبار ملوك بني عبيد ، ص : 32 ـ 33 .

2) المختصر ، 3 ، 117 ؛ العبر ، 2 ، 22 (ط . دوسلان) ؛ اتعاظ ، 1 ، 85 .

3) أخبار ملوك بني عبيد ، ص : 34 ، الكامل ، 6 ، 310 .

4) عن هذا التخلص أنظر : المختصر ، 3 ، 117 ، العبر ، 3 ، 117 ، العبر ، 2 ، 22 (ط . دوسلان) ، اتعاظ ، 1 ، ص : 35 ، أخبار ملوك بني عبيد ، ص : 34 .

5) ابن حماد : أخبار ملوك بني عبيد ، ص : 34 ـ 35 ، الكامل ، 6 ، 310 ـ 311 ؛ اتعاظ ، 1 ، 85 ؛ المختصر ، 3 ، 117 ، حسب ابن خلدون فقد مات في آخر سنة 335 هـ / 946م (العبر ، 2 ، 22 (ط . دوسلان) ، ينفرد ابن عذاري بقوله أنه ألقى القبض على أبي يزيد بالجبل المعروف بحصن أبي يزيد من بلاد كتامة ، وهو مثخن بالجراح وجعل في قفص من حديد وجيء به إلى المنصور بالمهدية فقتله وصلبه على الباب الذي ضرب فيه برمحه (البيان ، 1 ، 220) .

6) المؤنس ، ص : 61 ؛ قارن مع المقريزي : اتعاظ ، 1 ، 85 .

7) أخبار ملوك بني عبيد ، ص : 35 .

8) الحلة السيراء ، 2 ، 338 ، العبر ، 2 ، 22 (ط . دوسلان) ، اتعاظ ، 1 ، 85 ، حسب ابن أبي دينار ، فقدملأه قطنا (المؤنس ، 61) ، ولما وصل الى القيروان وضع على كتف جثته المحنطة قرد اوطيف به في الناس ثم صلبت على سور المهدية الى أن نسفتها الرّياح (رحلة التجاني ، ص : 328 ، المؤنس ، ص : 61 .

9) يقدر أبو زكرياء عددهم بثلاثين ألف رجل من مختلف القبائل (السيرة ، ورقة 71 ـ 72) .

المسيلة حيث اختفت عليه أخباره (1) ، ومن هناك عرج الخليفة الفاطمي الى تاهرت (2) لمواجهة عامله السابق عليها ، حميد بن يصل .

وتذكر المصادر أن حميدا هرب من السجن الذي كان عبيد الله المهدي أودعه فيه بعدما قاد له حملة الى المغرب (3) ، لكنها لا تشير الى تاريخ هروبه ، ويقول ابن خلدون بأنه ثار سنة 328 هـ / 939 م ـ 940 م ، وانحاز الى محمد بن خزر ، ثم أجاز الى الناصر فولاه على المغرب الأوسط وشغل الشيعة بعد ذلك بثورة أبي يزيد (4) ، لكنه لم يظهر على مسرح الأحداث التاريخية الا في آخر تلك الثورة ، عندئذ «زحف الى تاهرت فحاصرها فنهض اليه المنصور في صفر سنة ست وثلاثين (336 هـ / أوت ـ سبتمبر 947 م) وجاء الى سوق حمزة (5) فأقام به وحشد زيري بن مناد جموع صنهاجة ، من كل ناحية ، ورحل مع المنصور فأفرج حميد عن تاهرت» (6) وعبر البحر الى قرطبة (7) .

وهاجم المنصور بعد ذلك لواته (8) ، ففروا أمامه الى الصحراء وتعقبهم حتى وادي ميناس (9) ومن هناك الى القيروان ، وبعدما دخل «المنصورية في جمادي

---

1) العبر، 2، 22 (ط. دوسلان) . قارن مع ابن الأبار : الحلة السيراء، 2، 389 .

2) أخبار ملوك بني عبيد ، ص : 36 ، الحلة السيراء ، 2 ، 389 .

3) أنظر : ما قبل ، ص : 180 فما بعدها .

4) العبر ، 2 ، 36(ط .دوسلان).

5) عنها أنظر : البكري : المغرب ، ص : 64 ـ 65 ،معجم البلدان .2، 334 .

6) العبر ، 4 ، 93 (ط . بيروت) . في مكان آخر يقول ابن خلدون أنه بلغ المنصور أن عامله على تاهرت حميد بن يصل ، قد انتقض عليه وعبر البحر الى العدوة (أي الأندلس) العبر ، 2 ، 22(ط . دوسلان) .

7) البيان ، 2 ، 214 : 215 ، حسب .TERRASSE (H.) فان مكناسة حميد بن يصليتن أنفسهم انحازوا الى الأمويين خلال ثورة صاحب الحمار ، ... وبعد غياب اثني عشر سنة أخذت الجيوش الصنهاجية طريق الغرب ونزعت تاهرت من حميد الذي فر الى قرطبة (*Histoire du Maroc*, t. I, p. 185)
ومعنى ذلك أنه يرى أن حميدا كان متمكنا من تاهرت)خلافا لما جاء في نص ابن خلدون الذي اعتمد عليه في استقاء معلوماته كما يظهر من المقارنة بينهما .

8) قبيلة تنتسب الى لوا الأصغر بن لوا الأكبر بن زحيك ، ولوا اسم أبيهم والبربر اذا أرادوا التعميم في الجمع زادوا الألف والتاء فصار لوات فلما عربته العرب حملوه على الأفراد وألحقوا به هاء الجمع (العبر ، 6 ، 234 (ط . بيروت) . وكان من لواتة أمة عظيمة بضواحي تاهرت الى ناحية القبلة وكانوا ظواعن هناك على وادي ميناس (العبر ، 6 ، 336 (ط . بيروت) .

9) العبر ، 4 ، 93 ـ 94 (ط . بيروت).

سنة ست وثلاثين» (1) (336 هـ / نوفمبر ـ ديسمبر 947 م ـ يناير 948 م) بلغه أن فضلا بن أبي يزيد ظهر في جبل أوراس (2) فخرج اليه وسار الى قفصة (3) ثم ارتحل الى مسيلة من أعمال الزاب فاستولى على حصن ماداس ، ولما اختفى عليه فضل مرة أخرى في الصحراء عاد الى القيروان (4) فدخل المهدية في رمضان 336 هـ (5) / مارس ـ أفريل 948 م .

وقد اختلف ابن خلدون مع المؤرخين الأباضيين في الحديث عن التفاصيل المتعلقة بفضل وكيفية القضاء عليه : فالأول يذكر أنه بعد رجوع المنصور الى القيروان ، مضى فضل الى جبل أوراس ثم راح يحاصر باغاية ، وفي أثناء ذلك الحصار غدر به أحد أصحابه ، ويسمى ماطيط أو باطيط بن يعلى ، وجاء برأسه الى المنصور .

أما المؤرخون الأباضيون الذين لم يشيروا الى قيام فضل بغارة على جيش المنصور ، ولا الى خروج هذا الأخير في طلبه ، فانهم يقولون بأن فضلا ، بعد موت أبيه ، جمع بقايا عسكره (7) ، وقصد بهم أحياء مزاتة ، وطالبهم بتسليمه

---

1) نفسه . ص : 94 . في مكان آخر يحدد ابن خلدون تاريخ رجوعه بسنة 335 هـ / 946 م ـ 947 م (العبر 2 . 22 (ط . دوسلان) ؛ حسب ابن الأبار فقد وصل الى قصره بالمنصورية في 1 ربيع الأول 336 هـ سبتمبر 947 م وكان فتاه مدام بناه أثناء غيبته (الحلة السيراء ، 2 ، 389) ؛ ويقول ابن أبي دينار بأن المنصور بني المنصورية قرب القيروان تفاؤلا بانتصاره على أبي يزيد ، وأقام بالمهدية الى أن مهدها ، ثم انتقل الى قصره بها (المؤنس ، ص ، 62 وكانت قبل أن ينتقل اليها سنة 337 هـ / 948 م ـ 949 م ، تسمى صبرة (رحلة التجاني ، ص : 328) وقد بنيت صبرة بمكان يعرف بصلب الجمل جنوب غرب القيروان سنة 334 هـ / 945 م ـ 946 م ، وسبب تسميته بصبرة أن المنصور أيام حروبه مع أبي يزيد انهزم عنه الناس وبقي معه صبابة فقال لهم صبرة يا عبيد أمير المؤمنين ، وبعد تأسيس المنصورية استمر عليها الإسمان (أخبار ملوك بني عبيد ، ص : 23) .

2) نفسه ، أو أن فضلا أغار على قسطيلية (العبر ، 2 ، 22 (ط . دوسلان) .

3) بلدة صغيرة بالجريد بينها وبين القيروان ثلاثة أيام (معجم البلدان ، 4 ، 151).

4) العبر ، 2 ، 22 (ط . دوسلان) ؛ قارن مع العبر ، 4 ، 24 (ط . بيروت) .

5) الكامل ، 6 ، 311.

6) العبر ، 2 ، 22 (ط . دوسلان) ، في مكان آخر يقول بعث برأسه الى المنصور (العبر ، 4 ، 94) (ط . بيروت).

7) يقدر أبو زكرياء هذه العساكر بثلاثين ألفا ويقول بأنها من مختلف القبائل (السيرة ، ورقة 72).

أبي القاسم يزيد بن مخلد ، وأبي خزر يعلى (1) بن زلتاف وهما من بني عمه ، فرفضت مزاتة طلبه ، مما أدى الى نشوب قتال بين الطرفين انتهى بهزيمته وقتل كثير من أصحابه ، وتشتت الباقي ، وهرب فضل الى إحدى قرى تلك النواحي فقتله أهلها وبعثوا برأسه الى المنصور متشفعين به اليه فشفعهم (2) .

والنتيجة التي توصل اليها الطرفان ، اذا واحدة ، وهي أن فضلا قَتل ولم يعلم المنصور بذلك حتى وصل اليه رأسه ، وقد حدد ابن الأثير تاريخ قتل فضل سنة336 هـ (3) / 947 ـ 948 م وهكذا « انقرض أمر أبي يزيد وبنيه وافترقت جموعهم واغتال عبد الله بن بكار (4) ... بعد ذلك أيوب بن أبي يزيد وجاء برأسه الى المنصور متقرّبا به اليه وتتبع المنصور قبائل بني يفرن بعدها الى أن انقطع أثر تلك الدعوة» (5) أي النكارية بصفة خاصة ، والأباضية بصفة عامة ، لأن النكار ليسوا سوى أباضيين (6) .

---

1) يسميه أبو زكرياء مرة يعلا (السيرة، ورقة 72) ومرة يغلا (السيرة، ورقة 72) ، ويكتبه الدرجيني يغلى (طبقات ، 1 ، 119).

2) أبوزكرياء : السيرة ، ورقة 72 ـ 73 ، الدرجيني ، طبقات ، 1 ، 102 فما بعدها ، يذكر هذان المؤرخان أن بعض عزابة أبي يزيد ، عندما أحس القوة من أصحابه ، كلمه في الأخذ بثأر يزيد بن فندين ، فرد عليه أبو يزيد بأن ذلك سيكون بعد الإنتصار النهائي،وسمع كلامهما رئيس قبيلة مزاتة مسارب أو مسارة بن غني. فقال له : لا تظن أن الوهبية قد خرجوا معك ، فإنهم في مساجدهم . وانما خرجنا معك نحن نشاركك في أكل هذه الميتة (الأموال التي كانوا ينهبونها) فدع ما تحدث به نفسك والا اقتتلنا قتال الكلاب (السيرة ، ورقة 69 ، طبقات ، 1 ، 69 ـ 100 ، وهذا يعني أن مزاتة التي كانت في صفوف أبي يزيد والتي يقدر أبو زكرياء عددها (بالآف كثيرة) (السيرة، ورقة 69) كانت على مذهب الوهبية ، وكانت بينها وبين النكار حساسية ، ومما لا شك فيه أن تلك الحساسية أدت الى انسحابها من صفوفه ، وما توجه ابنه فضل الى احيائها ومطالبتها بتسليمه أبي القاسم وأبي خزر ، وعدم استجابتها لـذلك ، وما نتج عنه إلا دليل على ذلك ، وبما أن الهزيمة وقعت على جيش فضل وهرب بعدها الى إحدى القرى فقتله أهلها فمعنى ذلك أن الوهبية لعبوا دورا في القضاء على حركة أبي يزيد .

3) الكامل ، 6 ، 311.

4) يقول عنه ابن خلدون هنا بأنه من رؤساء مغراوة ، في حين يقول عنه في مكان آخر إنه من بني يفرن وكان متحيزا الى مغراوة (العبر ، 2 . 24) وهو يتفق في قوله الثاني مع ابن عذاري (البيان ، 2 ، 216) .

5) العبر ، 2 ، 22 ـ 23 (ط . دوسلان) ، حسب ابن حماد فإن أيوبا بن أبي يزيد كان قُتل سنة 333 هـ / 944 م ـ 945 م ، عند انصرافه من الأندلس (أخبار ملوك بني عبيد ، ص : 38 ـ 39) .

6) بعد هزيمة أبي يزيد تخلت قبائل كثيرة عن المذهب النكاري لتعود الى اعتناق المذهب الوهبي ، وما تزال بقايا الفرقة النكارية حتى اليوم بجربة وزواغة : = *Supplément* de l'E.I.

موقف مغراوة من حركة أبي يزيد :

يرى Gautier. E. F. أن الخارجية انهارت مع هزيمة صاحب الحمار لكن زناتة لم يحدث لها نفس الشيء ، فزناتة التي كانت منتشرة في المناطق الشرقية من بلاد المغرب(1) هي التي ألحقت بها أضرار ، أما زناتة التي كانت منتشرة في المناطق الغربية ، حول الأدارسة فقد شاركوا بدون شك في حركة أبي يزيد ، لكن في الصف الثاني ، وانسحبوا في الوقت المناسب (2) .

غير أن المصادر المستخدمة في هذا البحث لا تتحدث عن هذه المشاركة ، باستثناء ما ذكره ابن الأثير وابن أبي دينار من التحاق القبائل من أقاصي المغرب بأبي يزيد ، عندما كان محاصرا للمهدية (3) ، وهؤلاء في رأي Carette.E. من مناطق زناتة الموجودة بتاهرت وسجلماسة وتامسنا (4) ، كما يشير ابن خلدون الى أن معبد بن خزر ، وهو أخو محمد بن خزر كان مواليا لأبي يزيد (5) وأنه انضم الى ابنه فضل من بعده (6) ولم يضع سلاحه حتى أسر مع ابنه في احدى المعارك وأخذا الى المنصور فقتلهما سنة 341 هـ (7) / 952 ـ 953 م .

= p. 186 (art. Al-Nakkar). JULIEN (CH-A.). حسب فان انتصار المنصور على أبي يزيد تجاوز حدود الانتصارات العادية لأنه قضى نهائيا على مذهب الخوارج
Histoire de l'Afrique du Nord, II, p. 64)

1) ويعني بها هوارة ، ولواتة ، والبدو الموجودين بتونس وضواحي الأوراس والحضنة *Le Passé de l'Afrique du Nord*, p. 369)

2) GAUTIER (E.F.), *Le Passé de l'afr. du Nord*, p. 369

3) أنظر : ما قبل ، ص : 206 .

4) *Recherche sur l'origine et les migrations des principales tribus de l'Afrique septentrionale*, p. 193.

5) العبر ، 2 ، 37 (ط . دوسلان).

6) نفسه ، ص : 22 ، حسب ابن الأثير فإن محمدا بن خزر خرج على المنصور لنصرة أبي يزيد لكن المنصور ظفر به سنة 336 هـ / 947 م ـ 948 م (الكامل ، 6 ، 34) ، ويحتمل أن يكون ابن الأثير أخلط بين محمد ومعبد : لأن معبدا في هذه الفترة كان مواليا لأبي يزيد ونفس الشيء بالنسبة لقوله بأن محمد ابن خزر كان من أعيان أصحاب أبي يزيد (الكامل ، 6 ، 309 ـ 310) .

7) العبر ، 4 ، 95 (ط . بيروت) ، يقول ابن خلدون في جهة أخرى بأن المنصور قتل معبد سنة 340 هـ 951 م ـ 952 م (العبر ، 2 ، 37 (ط . دوسلان) .

وعلى العكس من ذلك فإن أخاه ، محمد بن خزر ، الذي كان يتزعم قبيلته مغراوة آنذاك ، قد بعث يطلب الأمان من المنصور ، عندما كان يلاحق أبا يزيد (1) ، فأمنه المنصور وطلب منه أن يرصد (2) ابن كيداد وأن يقبض عليه ، في مقابل عشرين حملا من المال .

ولا تشير المصادر أيضا الى علاقته بأبي يزيد ، قبل هذا الوقت ، أما بعده فتتحدث عن وقوفه في الصف المعادي له : من ذلك أن المنصور ، عندما نزل طبنة «بلغه أن أبا يزيد نزل بسكرة وأنه كاتب محمد بن خزر يسأله النصرة فلم يجد عنده ما يرضيه» (3) ، ولما فر ابن كيداد الى الصحراء ورفض جماعة من بني كملان أن يتبعوه ، فإن محمّدا بن خزر هو الذي أخذ لهم الأمان من المنصور (4) ووجه ابن خزر أيضا ابنه يعقوب الى المنصور ، عندما وصل الى المسيلة ، بعد معركة مقرة ، فأكرمه ووصله بعشرة آلاف دينار (5) ، ولما كان الخليفة الفاطمي ببلاد صنهاجة وصلته رسالة من «محمد بن خزر يذكر الموضع الذي فيه أبو يزيد من الرمال» (6) .

ويذكر ابن حماد أن الخير بن محمد بن خزر بعث الى المنصور ، وهو بالمسيلة (عندما عاد اليها)، رسولا مع حوالي مائة فارس، ليبلغه أنه أقام له الدعوة بمدينة الأغواط وغيرها من عمله ، ويطلب منه أن يبعث له بالخطبة والسكة ليضربها باسمه فأكرم المنصور مبعوثيه ولبى له طلباته وطلب منه ، أن يبعث الأطعمة والمرافق (7) الى المسيلة والقيروان ثم كتب الى مدام الفتى ،

---

1) حسب ابن خلدون فقد بعث محمد يطلب الأمان من المنصور ، عندما كان بباغاية (العبر ، 2 ، 21 (ط . دوسلان) ، أما ابن الأثير فيقول بأنه بعث اليه عندما كان بطبنة (الكامل ، 6 ، 309) .
2) ابن خلدون : العبر ، 2 ، 21 (ط .دوسلان) .
3) ابن خلدون : العبر ، 2 ، 21 (ط . دوسلان).
4) نفســه .
5) أخبار ملوك بني عبيد ، ص : 28 .
6) الكامل ، 6 ، 310 .
7) والمرفق : ما استعين به (لسان العرب ، مجلد 10 ، ص : 118) .

يأمره بعدم التعرّض لمن وصل اليه من زناتة وأن لا يمنعهم من شراء السلاح ولا يكلفهم قبالة (1) ولا مغرما وكتب أيضا الى زناتة يأمرهم بالإغارة على سدراتة لأن رفاقها ورفاق (2) بطيوس كانوا يزودون أبا يزيد بالطعام في كيانة ، فأغارت زناتة على صدراتة وأخذت فيها بالقتل والسبي والنهب فتوقفت سدراتة عن تموينه (3) .

فمغراوة التي كان يترأسها محمد بن خزر وابنه الخير وقفت كما هو واضح ضد أبي يزيد في آخر أيامه ، مع أنه من المفروض أن يقفا في صفه ، لأنه زناتي مثلها ولأنه عدو أعدائهما (الفاطميين) ، ولأنه كان مواليا للخليفة الأندلسي الناصر مثلهما : فالناصر عندما أخرج قائده القاسم بن محمد بن طملس سنة 333 هـ / 944 م ـ 945 م ، لحرب الأدارسة «كتب الى ... محمد بن خزر وابنه الخير بمظاهرة عساكره مع ابن أبي العافية عليهم» (4) . وهذا دليل على ولائهما لهُ ، كما أن أبا يزيد بعث في نفس السنة «رسله في وفد من أهل القيروان الى الناصر ... ملتزما لطاعته والقيام بدعوته وطَالِباً لمدده فرجعوا اليه بالقبول والوعد» (5) واستمر الاتصال بينهما بعد ذلك في سنة 334 هـ / 945 م ـ 946 م بعث اليه وفدا آخر من ثلاثة أشخاص «أوجههم تميم بن أبي العرب التميمي فكلمهم بما تقتضيه رسالتهم ، ودفع اليهم أجوبة من أرسلهم ، ... ، وكساهم

1) القبالة : هي الكفالة (لسان العرب ، 11 ، 544) ، والقبالة اسم من تقبل العمل لما يلزمه الإنسان من حمل ودين وغيرها ، وفي الأساس : كل من تقبل بشيء مقاطعة وكتب عليه بذلك الكتاب فعمله القبالة والمكتوب عليه هو القبالة (بالفتح) (البستان ، مجلد 2 ، ص : 1877) .

2) الرفاقة والرفقة واحد : الجماعة المترافقون في السفر (لسان العرب ، 10 ، 120) .

3) أخبار ملوك بني عبيد ، ص : 30.

4) العبر ، 2 ، 228 (ط . دوسلان) ؛ حسب ابن عذاري فإن الناصر قدم الكتب الى محمد بن الخير ، عظيم زناتة ، وغيره من ولاته بالمغرب أمرهم بالاستعداد لذلك والمعونة عليه (البيان ، 2 ، 24) ويبدو أن ابن عذاري أخطأ هنا ، بدلا من أن يقول محمد بن خزر قال محمد بن الخير . لأن أمير مغراوة في هذه الفترة هو محمد بن خزر وكذلك ابنه الخير .

5) نفسه ، ص : 19 (ط . دوسلان) ؛ حسب ابن عذاري فقد وصل في آخر شوال سنة 333 هـ / مايو ـ يونيو 945م الى الناصر رسولان برسالة من أبي يزيد يخبره فيها بتغلبه على القيروان ورقادة وعملهما وما يعتقده من ولاية الناصر (البيان ، 2 ، 212) ؛ يرى .Doz (R.) أن أبا يزيد عقد حلفا مع الخليفة الأندلسي وبعث اليه سفراء واعترف بسلطته الزمنية ، أو على الأقل الروحيّة ليضيف دليلا آخر للسنيين على تسامحه معهم *Histoire des Musulmans d'Espagne*. t. II. p. 159).

ووصلهم) (1) ثم ردهم ، وفي سنة 335 هـ / 946م ـ 947 م ، بعث ابنه أيوبا (2) فوصل قرطبة في 24 أو 25 (لست بقين من) ربيع الأول أكتوبر ـ نوفمبر 946 م ، واستقبله الناصر بحفاوة بالغة (3) لكنه لم يمده بالمساعدة العسكرية التي طلبها منه ، بل أخذ يراقب تطور الأحداث حتى استبطأ أبو يزيد رجوع ابنه فبعث اليه رسولا يخبره بأنه كر على المسيلة وأنه يستعد للزحف على القيروان ويطلب منه أن يسارع بالقدوم ، مع فرسان المدد ، الا أن أيوبا لم يحصل سوى على الوعود (4) .

واذا كان سبب موقف الأميرين المغراويين مع ابن كيداد ، في آخر أيام ثورته ، يرجع الى كونهما خافا من المنصور كما يقول ابن خلدون (5) فلا بد أنهما كانا قبل ذلك رهن إشارة الناصر الذي يحتمل أن يكون تباطؤه عن أبي يزيد راجعا الى أنه كان يشك في قدرته على اسقاط دولة الفاطميين ، حتى ولو ساعده . كما أنه كان يشك في وفائه له اذا ما حقق هدفه في يوم ما ، ولا يستبعد أن يكون وجَد دليل ذلك في معاملة ابن كيداد للسنيين آنذاك : تلك المعاملة التي تميزت بالعنف المتمثل في القتل والسلب والنهب كما حدث في باجة (6) وسوسة (7) وضواحي

---

1) البيان ، 2 ، 212 ـ 213.

2) نفسه ، ص : 214 ؛ العبر ، 2 ، 19 (ط . دوسلان).

3) نفسه ؛ الحلة السيراء ، 2 ، 390 ـ 391.

4) ابن الأبار : الحلة السيراء ، 2 ، 390 ـ 391 ، يرى MARÇAIS أن أبا يزيد كان يريد من الناصر التأييد المعنوي وربما التأييد المالي ، وبكل تأكيد المساهمة الفعلية لزناتة التابعة له *La Berbérie musulmane*, p. 152) حسب HADY ROGER IDRIS, (R.), فإن هزيمة أبي يزيد جاءت في الوقت الذي كانت فيه الإعانة الأندلسيةتتحقق ، لقد أخذ الأسطول الأموي طريقه الى افريقية بقيادة ابن الرمحيس لكنه عاد بعدما لاحظ أن تدخله عبث *La Berbérie orientale sous les Zirides*, p. 21)

5) يقول ،ابن خلدون أن محمدا بن خزر اتصل بالمنصور لأنه خشي على نفسه لما سلف منه من نقض طاعة الشيعة ، وقتل أوليائهم (العبر ، 2 ، 36 ـ 37 (ط . دوسلان) واذا صح هذا الكلام في حق محمد بن خزر فلا شك أنه يصح بالنسبة لابنه .

6) عن هذا الموضوع ، أنظر : اتعاظ ، 1 ، 72 ؛ الكامل ، 6 ، 303 ؛ العبر ، 2 ، 19 (ط . دوسلان) ؛ المؤنس ، ص 58 .

7) أنظر : اتعاظ ، 1 ، 77 ؛ الكامل ، 6 ، 304 ؛ العبر ، 2 ، ، 19 (ط . دوسلان) ؛ المؤنس ، ص : 59 .

خربة جميل (1) وغيرها من ضواحي افريقية ، وبالخيانة التي ارتكبها في حق القيروانيين الذين انظموا الى صفوفه لحصار المهدية ، عندما أعطى تعليمات سرّية لأصحابه كي ينسحبوا أثناء إحدى المعارك ويتركوهم لأصحاب القائم كي يقضوا عليهم ، ونفذت المؤامرة بأحكام (2) ، فكانت النتيجة أن فقد أبو يزيد ثقة السنيين الذين أصبحوا يفضلون الخليفة الفاطمي عليه (3) ، وهو ما يفسر قتلهم لأصحابه في كل مكان بمجرد أن شاع خبر انسحابه من المهدية (4) وثورتهم عليه في تونس وسوسة والقيروان وباغاية (5) مما كان سببا رئيسيا في القضاء على حركته .

زناتة والفاطميون بعد حركة أبي يزيد :

يذكر ابن خلدون أنه عندما وصل (6) المنصور محمدا بن خزر ، كانت بين ، مغراوة وبني يفرن الذين كانوا بنواحي تلمسان فتنة ، قتل فيها رئيس بني يفرن محمد بن صالح ، على يد عبد الله بن بكار اليفرني ، وكان متحيزا الى مغراوة ، وولى أمر بني يفرن بعد ذلك إبنه يعلى الذي أسس مدينة إيفكان (7) ، كما يذكر في مكان آخر أن المنصور عندما فك الحصار عن تاهرت سنة 336 هـ / 947 ـ 948 م «عقد عليها ليعلى بن محمد اليفرني ، وعقد لزيري بن مناد على قومه وعلى سائر بلادهم» (8) مع العلم أن ابن خلدون وغيره من المصادر

1) أنظر رحلة التجاني ، ص : 225 ؛ نزهة الأنظار ، ص : 133 ؛ اتعاظ ، 1 ، 78 .

2) عن ذلك أنظر : نزهة الأنظار ، ص : 126 ـ 127 ، DOZY (R.), *Histoire des Musulmans d'Espagne*, t. II, p. 160.

3) أنظر : DOZY (R.), *Histoire des Musulmans d'Espagne*, t. II, p. 160.

4) عن هذا الموضوع أنظر : العبر ، 2 ، 20 (ط . دوسلان) ؛ الكامل ، 6 ، 306 .

5) أنظر : ما قبل ، ص : 208 فما بعدها .

6) واصل حبله كوصلة : والوصلة الاتصال (لسان العرب ، 11 ، ص : 727) .

7) العبر ،2، 24 (ط. دوسلان) ؛ ويسمى البكري هذه المدينة فكان ويقول بأنها كانت سوقا قديمة من أسواق زناتة فمدنها ، يعلى ، وكان ابتداء تأسيسه لها سنة 338هـ / 949 ـ 950م وهي في سفح جبل أورشيلان (المغرب، ص: 79) جنوب شرق معسكر LÉVI-PROVENÇAL : *Op.cit*, t. 2, p. 109) ويسميها ابن عذاري آفكان (البيان ، 2 ، 222) ويكتبها ابن أبي دينار افكان (بدون ياء) (المؤنس ، ص 63) ؛ أنظر : الإدريسي : صفة المغرب ، ص : 82 ـ 83) .

8) العبر ، 4 ، 94 (ط . بيروت) ، أنظر : TERRASSE (H.), *Histoire du Maroc*, t. I, pp. 185. في مكان آخر يقول ابن خلدون بأن المنصور نصب عاملا على تاهرت وآخر على تنس (العبر ، 2 ، 22 (ط. دوسلان) .

التي اعتمد عليها هذا البحث لم تشر الى أي عمل يكون يعلى هذا أو أبوه قاما قاما به لصالح أو ضد المنصور في حربه مع صاحب الحمار .

فكيف يعقل إذا أن لا يُعين المنصور محمدًا بن خزر أو ابنه الخير ، اللذين وقفا الى جانبه ، على ولاية تاهرت ، ويعين عدوهما يعلى اليفرني ؟.

لقد ذكر ابن عذارى أنه في سنة 338 هـ / 949 م ـ 950 م «وصل الى قرطبة أحمد بن الاطرابلسي رسول البوري بن موسى بن أبي العافية يذكر أنه صح عنده أن الخير بن محمد بن خزر الزناتي وصل الى تاهرت ، فحاربها فاستنصر أهلها بميسور قائد الشيعي (1) ، فالتقوا ... ودخل الخير ... تاهرت وملكها في غرّة ذي القعدة (فبراير ـ مايو 950) ، وأخذ قائد الشيعي أسيرا في عدة من أصحابه ، ووقع في يده عبد الله بن بكار اليفرني الذي توجه الى الشيعي برأس أيوب بن أبي يزيد ، فأرسل به الى يعلى بن محمد بن صالح اليفرني ليقتله بوالده ... فلم يرض يعلى بذلك ، ولا رآه كفؤا لعبده فكيف لوالده ؟ ودفعه ... الى رجل من البربر كان قد قتل ابنه فقتله » (2) . في نفس الموضوع يقول ابن خلدون بأن «يعلى قد زحف مع الخير بن محمد الى تاهرت وبرز اليه ميسور الخصي وشيعته من لماية فهزموهم وملكوا تاهرت وتقبضوا على ميسور وعبد الله بن بكار فبعث به الخير الى يعلى بن محمد ليثأر به فلم يرضه كفا لدمه ودفعه الى من ثأر به من بني يفرن» (3) .

---

1) يبدو أن اسم ميسور أطلق على أكثر من قائد فاطمي ، في الفترة ما بين 322 هـ / 933 م ـ 934 م و338 هـ / 949م ـ 950م : ذلك أن المصادر تتحدث عن ارسال القائم ، في بداية عهده ، لحملة مع القائد ميسور فوصلت فاسا سنة 323 هـ/934 م ـ 935 م ثم عاد الى افريقية (أنظر : ما قبل ، ص : 192 فا بعدها) ثم قتل أبي يزيد للقائد ميسور بإفريقية سنة 333 هـ / 944 م (أنظر : ما قبل ، ص : 202 وها هو ابن عذاري يتحدث عن القائد ميسور سنة 338 هـ / 949 م ـ 950 م (البيان ، 2 ، 216) .

2) البيان ، 2 ، 216 .

3) العبر ، 2 ، 25 (ط . دوسلان) ، في مكان آخر يقول ابن خلدون بأن محمّدا بن خزر زحف مع حميد ابن يصل ، قائد الأموية ، ومعهما الخير وحمزة ابنا محمد بن خزر وأخوه عبد الله ويعلى بن محمد وقومه بنو يفرن فاستولوا على تاهرت وقتلوا عبد الله بن بكار وأسروا ميسور الخصي ، بعد أن قتل حمزة بن محمد ابن خزر وذلك سنة 333 هـ/944 م ـ 945 م (العبر ، 2 ، 36) (ط . دوسلان) .

فمن مقارنة نص ابن خلدون (1) بنص ابن عذاري يستنتج أن يعلى لم يكن عاملا على تاهرت سنة 338 هـ / 949 م ـ 950 م ، وربما كان عاملها آنذاك ميسور الخصي (2) ، وهو الذي يكون المنصور قد عينه على تاهرت سنة 336 هـ / 947 م ـ 948 م وليس يعلى بن محمد ، كما يستنتج أن الخير بن محمد بدأ يتقرّب من يعلى بن محمد بتسليمه قاتل أبيه ، ومعنى ذلك أن العلاقة بدأت تتحسن بين بني يفرن ومغراوة التي تدل مهاجمتها لتاهرت على تخليها عن طاعة الشيعة .

وقد راجع الخير طاعة الناصر ، **فبعث له سنة 339 هـ / 950 م ـ 951 ، وفدا يخبره بالإنتصار الذي حققه في تاهرت (3) ، وكان الناصر قد أخرج قائده** القاسم بن محمد بن طملس سنة 333 هـ (4) / 944 م ـ 945 م إما لمساعدة موسى بن أبي العافية ، الذي عاد من الصحراء ، بعد رجوع ميسور ، سنة 325 هـ / **936 م ـ 937 م ، في حرب الأدارسة (5) أو فقط لحرب الأدارسة لما «بدا من خلافهم عليه هذه السنة ، ونقضهم طاعته» (6) ، وبعث يطلب من محمد بن خزر وابنه الخير أن يساعدا جيشه في مهمته (7) ، ونزل القاسم سبتة في 15 ربيع الأول (8) / سبتمبر أكتوبر 944 م ، ولما رأى ذلك أبو العيش بن ادريس بن**

---

1) يلاحظ أن ابن خلدون ناقض نفسه في نصه بقوله أن يعلى زحف «مع الخير» على تاهرت ، من جهة ، ومن جهة أخرى قال بأن الخير «بعث» بعبد الله بن بكار الى يعلى ، فلماذا يبعث له به لو أنه زحف معه .

2) من الواضح أن النصين اختلفا في هذه النقطة : فبينما يفهم من قول ابن عذاري «واستنصر أهلها بميسور قائد الشيعي» أن ميسورا لم يكن عاملها وانما ساعد أهلها فقط على مقاومة الخير ، يفهم من قول ابن خلدون «وبرز اليه ميسور الخصي» أن ميسورا كان بتاهرت ودافع عنها وبالتالي كان عاملا عليها .

3) البيان ، 2 ، 217 .

4) العبر ، 2 ، 288 (ط . دوسلان) ، البيان ، 2 ، 24 .

5) نفسه.

6) البيان ، 2 ، 211.

7) ابن خلدون : العبر ، 2 ، 288 (ط . دوسلان) ، حسب ابن عذاري فقد بعث الى محمد ابن الخير عظيم زناتة (البيان ، 2 ،24)

8) البيان ، 2 ، 211.

عمر المعروف بابن مثالة (1) ، صاحب امارة تيكيساس (2) سارع الى الدخول في طاعته ، وكان ابن مثالة ، على ما يبدو ، يمثل الأدارسة من بني عمر (3) .

أما الأدارسة من بني محمد فقد ترأسهم بعد الحجام ، القاسم بن محمد الملقب بكنون الذي سيطر على جزء كبير من بلاد المغرب بعد فرار ابن أبي العافية ، وكان مقره قلعة حجر النسر ، وبقي مواليا للشيعة الى أن مات سنة 337هـ (4) / 948 م ـ 949 م لكن ابنه أبا العيش أحمد (5) ناقض طاعتهم وبايع الناصر (6) ورغم ذلك فإن هذا الأخير لم يتردد في استعمال القوّة ضده ، عندما نشب خلاف بينه وبين أهل سبتة بشأن مدينة تيطاوين (7) ، وكان بنو محمد قد هدموها ثم ندموا وشرعوا في اعادة بنائها ، فرأى أهل سبتة أن ذلك سيلحق ضررا بهم (8) وحاولوا منعهم فلم يمتنعوا ، وهنا تدخل الخليفة الأموي ، وأخرج اليهم قائده أحمد ابن يعلى سنة 338 هـ (9) / 949 ـ 950 م فأجبرهم على تهديم ما بنوا ، لكنهم رجعوا الى بنائها بمجرّد أن عاد الى الأندلس فسير اليهم الناصر جيشا آخر بقيادة

---

1) العبر ، 2، 288 (ط . دوسلان) ، يسميه ابن عذاري أبو العيش بن عمر بن ادريس بن عبد الله (البيان ، 2 ، 211 ـ 212).

2) العبر ، 2 ، 289 (ط . دوسلان) ، البيان ، 2 ، 216 .

3) يتضح ذلك من خلال اسمه الكامل ، ويلاحظ أن ابن عذاري ينسبه من جهةٍ الى عمر بن ادريس بن عبد الله ، ومن جهة أخرى يقول عنه أنه كان كبيربني محمد (البيان ، 2 ، 211 ـ 212).

4) العبر ، 2 ، 288 ـ 289 (ط . دوسلان) ، القرطاس ، ص : 53 : 53 ، أعمال الأعمال ، 3 ، 218 ، الاستقصا ، 1 ، ص :85 .

5) كان يعرف بأحمد الفاضل (القرطاس ، ص : 53) وكان فاضلا ، عالما ، حافظا للسير والتاريخ شجاعا كريما (أعمال الأعلام ، 3 ، 218) .

6) القرطاس ، ص : 53 ـ 54 ، العبر ، 2 ، 212 ، أعمال الأعلام ، 3 ، 218 ـ 219 ، الاستقصا ، 1 ، 586 .

7) مدينة مغربية تقع على بعد 34 كلم الى الجنوب من سبتة E.I. (*art.* Tittawin. t.) 4, pp. 840-841.

8) البيان ، 1 ، 222.

9) ابن خلدون : العبر ، 2 ، 289 (ط . دوسلان) ، حسب ابن عذاري فإن الناصر قود على الجيش أحمد بن يعلى وكتب الى حميد بن يصال صاحب تيكيساس وتلك الجهات كلها أن يعينه (البيان، 1، 222) لكن ابن عذاري يتفق في مكان آخر مع ابن خلدون بأن تيكيساس كانت آنذاك لأبي العيش بن إدريس ابن عمر بن مثالة الذي أوفد ابنه محمد الى الناصر سنة 339 هـ / 949 م ـ 950 م ولما مات أبو العيش كان محمد بالأندلس فعقد له الناصر على عمل أبيه (البيان ،2 ، 216 ، العبر ، 2 ، 289) .

حميد بن يصل المكناسي سنة 339 هـ / 950 م ـ 951 م ، فاشتبك معهم في معركة بوادي لاو (1) ، ديسمبر 950 م يناير 951 م ، فخضعوا عندئذ للأمر الواقع ، ولم يكتف الناصر بتلك النتيجة بل «تغلب ... على طنجة من يد أبي العيش» (2) أميرهم .

ومما لا شك فيه أن النشاط السياسي العسكري الذي قام به الناصر آنذاك في المغرب كان من أهم الأسباب التي جعلت الخير بن محمد يراجع طاعته ، خاصة وأن الخليفة الفاطمي المنصور ، الذي كان قد رحل من المهدية الى المنصورية، سنة 337 (3) هـ / 948 م ـ 949 م ، لم يحرك ساكنا ، وحتى الأخبار التي ذكر ابن عذاري بأنها وصلت الى الناصر في آخر جمادى الأولى 341 هـ / سبتمبر ـ أكتوبر 952 م ، أي قبل موته بقليل ومفادها «أن زيري بن مناد الصنهاجي عامل الشيعة على تاهرت أسر سعيد ،بن حزر زعيم زناتة وكبيرها » (4) مشكوك في صحتها ، ويرى Hady Roger Idris أن صاحبها يكون قد أخلط بين سعيد ابن خزر وسعيد بن يوسف (5) ، كما يشك في أن زيري كان آنذاك عاملا لتاهرت (6) .

---

1) العبر ، ، 2 ، 289 (ط . دوسلان) ، حسب ابن عذاري فإن الناصر أمر أحمد بن يعلى وحميدا بن يصل المكناسي بالخروج اليهم ولما وصلا الى الخضراء ،في رجب قدم على الناصر رسول بني ادريس يذكر طاعتهم له في هدم تيطاوين (البيان ، 2 ، 215 ـ 216).

2) العبر ، ، 2 ، 289 (ط . دوسلان) ، حسب ابن أبي زرع فإن أبا العيش لما بايع الناصر لم يقبل ذلك منه الا أن يتنازل له عن طنجة وسبتة فامتنع أبو العيش ، فبعث اليه الناصر بالجيوش لقتاله فصالحه أبو العيش على ما طلب منه ، وبقي مع اخوته وبني عمه بمدينتي البصرة وأصيلا تحت بيعته (القرطاس ، ص : 54) ويلاحظ هنا أن سبتة كانت تحت سلطة الناصر منذ وقت سابق ، فالأمر اذا يتعلق بطنجة فقط أنظر : الاستقصا ، 1 ، ص : 85) .

3) البيان ، 1 ، 220 ، رحلة التجاني ، ص : 328.

4) نفسه ، 2 ، 218 .

5) هو ثائر خرج بالأوراس على المنصور فأخرج اليه زيري ابنه فهزمه وقتله مع عدد كبير من أصحابه ومعظمهم من هوارة ، بفحص أبي غزالة من ضواحي باغاية .(*La Berbérie orientale sous les Zirides*, pp. 25-26).

6) *La Berbérie orientale sous les Zirides*, p. 26.

ويتساءل .Fournel H ما اذا كان سبب عدم قيام المنصور بأي عمل عسكري أوسياسي في المغرب ، راجعا الى أنه كان هناك تحالف كبير ضده ، لم يجرؤ على مواجهته ، أم أنه يكون قد سقط في أحد منافذ العجز الناتج أحيانا عن اندفاع في الورع المبالغ فيه ، ويضيف . .Fournel. H قائلا إن المنصور يكون قد سافر الى المشرق ، سنة 339 هـ / 950 م ـ 951 م ، لحضور الحفل الذي أقيم بمناسبة إعادة الحجر الأسود وكان القرامطة قد أخذوه يوم التروية (1) 8 ذو الحجة 317 هـ / يناير ـ فبراير 930 م) ، وأعيد الى مكانه أيام الخليفة العباسي المطيع (2) يوم 6 ذو القعدة 339 هـ / مايو ـ يونيو 951 م ، كما ذكر ابن عذاري (3)، وربما كان المنصور يكافح لإطفاء الشرارات الأخيرة لثورة أبي يزيد ، فعبد بن خزر ، وهو أحد أصحابه لم يلق عليه القبض الا سنة 340 هـ / 951 م ـ 952 م ، حسب ابن خلدون (4) .

المهم أن المصادر لا تشير الى أي عمل عسكري أو سياسي يكون المنصور قد قام به في المغرب الأوسط أو الأقصى منذ أن عاد الى المهدية سنة 336 هـ/947 م ـ 948 م ، الى أن مات بالمنصورية في آخر شوال 341 هـ (5) (مارس 953 م) الا أن ابنه أبا تميم معد الذي تولى الخلافة بعده ، وصار يلقب بالمعز لدين الله (6) لم

---

1) يوم التروية : يوم قبل يوم عرفة ، وهو الثامن من ذى الحجة ، سمي به لأن الحجاج يتروون فيه من الله وينهضون الى منى لا ماء فيها فيتزودون ريهم من الماء أي يسقون ويسقون (لسان العرب ، 14 ، 347)

2) هو الفضل المطيع لله بن جعفر (المقتدر بالله) بن المعتضد العباسي ، أبو القاسم بويع بالخلافة بعد خلع المستكفي بالله سنة 334 هـ / 945 م ـ 946 م ، وكانت أيامه أيام ضعف ، سيطر عليه الديلم ، وأصبح الحل والربط في يد وزيره معز الدولة بن بويه، وخلع المطيع نفسه وعهد بالخلافة الى ابنه الطائع لله (الاعلام 4 ، 325 (ط . الثانية) .

3) يقول ابن عذاري في هذا الموضوع بأن المنصور سافر الى المشرق ورد الحجر الأسود الى مكانه في خلافة المطيع وكان قد اقتلعه من مكانه سليمان بن الحسن القرمطي سنة 317هـ / 929م ـ 930م ، فلما مات رده اخوته الى مكانه (البيان ، 1 ، 220) .

4) 295-296 .Les Berbèrẞ , t. II, pp حسب حسن ابراهيم حسن فان المنصور انشغل باصلاح ما أفسده أبويزيد ، فأعاد البلاد الى ما كانت عليه قبل نشوب ثورته (تاريخ الدولة الفاطمية ، ص : 92).

5) الحلة السيراء ، 2 ، 389 ، البيان ، 1 ، 221 ، نزهة الانظار ، 134 ، اتعاظ ، 1 ، 93 ، حسب ابن خلدون فقد مات في آخر رمضان (فبراير 953 م) (العبر ، 4 ، 95 (ط . بيروت) .

6) بويع بولاية العهد أيام أبيه (المؤنس ، ص : 63 ، وفيات الأعيان ، 4 ، 132) وقام يدير الأمور بعد وفاته يوم الأحد 7 أبريل ـ مايو 953م حيث بويع بالخلافة وتلقب بالمعز لدين الله (الحلة السيراء ، 2 ، 391 ، المؤنس ، 63 ، وفيات الاعيان ، 4 ، 312) .

يبق مثلة مكتوف الايدي ، بل قام في بداية عهده ، أي في سنة 342 هـ/953 م ـ 954 م ، بحملة على الأوراس تمكن خلالها من اخضاع هوارة (1) « واستأمن اليه محمد بن خزر بعد قتل أخيه معبد فأمنه (2)» ثم عقد لمولاه قيصر على باغاية (3) وعاد الى المنصورية حيث وفد عليه محمد بن خزر فأحسن استقباله وأبقاه الى جانبه حتى مات (4) .

وقد انقطعت أخبار محمد بن حزر ، منذ أن عاد المنصور الى المهدية سنة 336 هـ /947 م ـ 948 م ، فليس هناك ما يدل على أنه شارك في الحرب التي استولى فيها ابنه الخير على تاهرت ولا على وقوع أي اتصال بينه وبين الناصر الأموي غير أن ابن خلدون يذكر أنه « وفد فتوح بن الخير سنة أربعين (340 هـ/951 م ـ 952م) على الناصر مع مشيخة تيهرت ووهران فأجازهم وصرفهم الى أعمالهم ثم حدثت الفتنة بين مغراوة وصنهاجة وشغل محمد بن خزر وابنه الخير بحروبهم وتغلب يعلى ابن محمد على وهران وخربها وعقد الناصر لحميد بن يصل على تلمسان وأعمالها وليعلى بن محمد على المغرب وأعماله فراجع محمد بن خزر طاعة الشيعة من أجل قريعه يعلى بن محمد ... ووفد على المعز سنة اثنتين وأربعين (5)» . وهذا معناه أن محمد بن خزر كان متفقا مع ابنه الخير في الاتجاه السياسي ومن هنا يكون قد راجع هو الآخر طاعة الناصر ، كما فعل ابنه ، بدليل أنهما حاربا معا صنهاجة سنة

---

1) العبر ، 4 ، 95 (ط . بيروت) ، انعاظ ، 1 ، 93 ، المؤنس ، 63 ، يقول ابن حماد بأن هوارة عندما علمت بتوجهه اليها خرجت تعترض طريقه بسفح غزلة قرب باغاية ، ولما وصل الى الأربس سير اليها بلكين ابن زيري بن مناد ، وعاد هو الى القيروان ، فهزمها بلكين (أخبار ملوك بني عبيد ، ص : 140) ، ويقول ابن ابي دينار بأن الذي خرج مع المعز في حملته هوزيري بن مناد وقد ولاه المعز على أشير وما والاها (المؤنس . ص : 74) ولا يشير ابن أبي دينار الى رجوع المعز من الاربس ، حسب HADY ROGER IDRIS فقد استقدم المعز زيري سنة 343 هـ / 955 م ـ 956 م) ورده الى عمله بعد أن سلمه هدية ثمينة ويرى أن سبب هذا اللقاء كان الوضع في المغرب الأقصى حيث كان خطر نمو قوة يعلى بن محمد يزداد باستمرار *La Berbère orientale*, pp. 26-27).

2) العبر ، 4 ، 95 (ط . بيروت) .

3) نفسه حسب ابن أبي دينار فان المنصور عقد لقيصر على ولاية المغرب كله (المؤنس ، ص : 63) .

4) يحدد ابن خلدون تاريخ وفاته مرة بسنة 348 هـ / 959 م ـ 960 م (العبر ، 4 ، 96 (ط . بيروت ؛ ومرة أخرى سنة 350 هـ / 961 م ـ 962 م (العبر ، 2 ، 37 (ط . دوسلان) .

5) العبر ، 2 ، 37 (ط . دوسلان) .

340 هـ / 951 م ـ 952 م ، أو بعدها بقليل ومراجعة محمد لطاعة المعز بعدئذ . ويرجع سبب تصرفه هذا على ما يفهم من النص أيضا الى كون يعلى بن محمد اليفرني ، انتهز فرصة انشغال الأميرين المغراويين بحرب صنهاجة للاستيلاء على وهران أي أنه انتزعها منهما ، وبعد ذلك ، ولاه الناصر على المغرب وأعماله مما أثار غضب محمد بن خزر وجعله ينحاز نهائيا الى الفاطميين (1) في حين اختفت أخبار الخير فجأة .

أما يعلي بن محمد اليفرني الذي يستنتج من هذا النص أن الناصر عينه على المغرب في الفترة الواقعة ما بين 340 هـ و 342 هـ (2) / 951 م و 954 م ، فقد اختلفت الأخبار الواردة في شأنه فابن خلدون يقول مرة «واستفحل سلطان يعلى من ناحية المغرب وخطب على منابرها لعبد الرحمن الناصر ما بين تاهرت وطنجة واستدعى من الناصر تولية رجال بيته على أمصار المغرب ، فعقد على فاس لمحمد ابن الخير بن محمد من عشيره ونسك لسنة من ولايته واستأذن في الجهاد والرباط بالاندلس فأجاز لذلك واستخلف على عمله ابن عمه أحمد بن أبي بكر ... وهو الذي اختط مأذنة القرويين سنة أربع وأربعين .. ولم يزل سلطان يعلى بن محمد بالمغرب عظيما الى أن أغزا المعز لدين الله كاتبه جوهر الصقلي من القيروان الى المغرب سنة سبع وأربعين (3) » (347 هـ/958 م ـ 959 م) ومرة أخرى يقول بأن المعز لدين الله ولى « على تاهرت وايفكان يعلى بن محمد اليفرني .... ثم بلغه سنة سبع

---

1) يلاحظ أن ابن خلدون يقول في مكان آخر بأن يعلى استولى على وهران سنة 343 هـ / 954 م ـ 955 م من يد ابناء محمد بن عون ، وكان ولاه عليها دواس بن صولات اللهيصي سنة 298 هـ / 910 م ـ 911 م (العبر، 2، 24 ـ 25 (ط. دوسلان) ويقول أيضا بأن يعلى كان عامل المعز على تاهرت وايفكـــــان (العبر ، 4 ، 96 (ط . بيروت) .

2) يرى .Fournel H أن سبب لجوء ابن خزر الى المعز يرجع الى أن يعلى انتزع تاهرت من مغراوة ويحتمل أن يكون ابن خزر قد حاول عبثا أن يشكو أمره الى الناصر ولكن وجهت له ضربة أقوى جعلته يتخذ أحد تلك القرارات التي لا يمكن الرجوع فيها (ويعني الانحياز الى الفاطميين) علما بأن حميد بن يصل كان عاملا على تيكساس سنة 341هـ / 952م ـ 953، فان تغيير ولايته يكون وقع اذا ، في نهاية سنة 341هـ / 953م أوفي بداية سنة 342هـ / 953م (*Les Berbèses* t. II., p. 388.) فاذا صح هذا الاستنتاج فان يعلى يكون قد عين واليا على المغرب في نفس المدة ، لأنه حسب النص السابق ، وهوالنص الذي اعتمد عليه (.Fournel (H فقد عين مع حميد .

3) العبر ، 2 ، 25 (ط . دوسلان) .

وأربعين أن يعلى ... داخل الأموية من وراء البحر وأن أهل المغرب الاقصي نقضوا طاعة الشيعة فأغزى جوهر الصقلي الكاتب الى المغرب (1) ».

فعلومات النص الأخير ، كما هو واضح ، تناقض معلومات النصين الأولين ، وقد تناول ابن أبي زرع نفس الموضوع ، لكن بطريقة لا تمكن من ترجيح أحد الرأيين على الاخر ، فقد ذكر أنه خطب للناصر « من مدينة تاهرت الى مدينة طنجة ما عدا سجلماسة ... وبايعته مدينة فاس ... فولى عليها محمد بن الخير بن محمد اليفرني (2) ... فأقام ... أميرا على مدينتي فاس نحو سنة وارتحل عنها الى الأندلس برسم جهاد الروم واستخلف عليها ابن عمه أحمد بن أبي بكر ... وهو الذي بنى الصومعة المباركة بجامع القرويين سنة أربع وأربعين وثلاثمائة (955 م ـ 956 م) وفي سنة سبع وأربعين وثلاثمائة (958 م ـ 959) ولى الناصر بمدينة طنجة وأحوازها يعلى بن محمد اليفرني ... فنزلها في قبائل بني يفرن ... الى أن اتصل الخبر بالشيعي صاحب إفريقية ... وبعث قائده جوهر الرومي (3) ».

والنتيجة التي يمكن التوصل اليها ، عند المقارنة بين النصوص الثلاثة الاخيرة ، هي أنه لما أخرج الخليفة المعز قائده جوهرا على رأس حملة الى المغرب سنة 347 هـ (4) / 958 م ـ 959 م ، كان الناصر يسيطر على تاهرت والمناطق الواقعة الى الغرب منها ، وأنه كان يعتمد في ذلك على بني يفرن وخاصة منهم يعلى بن محمد .

وانطلق جوهر على رأس عشرين ألف مقاتل ، جلهم من قبائل كتامة وصنهاجة (5) ، ويساعده في قيادتهم ، زيري بن مناد الصنهاجي (6) وجعفر ابن علي الأندلسي (7) وقد اختلف ابن خلدون مع ابن أبي زرع في الحديث عن

---

1) العبر ، 4 ، 96 (ط . بيروت) .
2) حسب السلاوي فهو محمد بن الخير المغراوي (الاستقصا ، 1 ، 85) .
3) القرطاس ، ص : 54 .
4) عن تاريخ هذه الحملة أنظر أيضا المقريزي ، اتعاظ ، 1 ، 93 ، ابن أبي دينار ، المؤنس ص : 63 ، مع العلم أن هذا الأخير يحدد تاريخها في مكان آخر بسنة 346 هـ / 957 م ـ 958 م (المؤنس ، ص : 74).
5) القرطاس ، ص : 54 ، أعمال الأعلام ، 3 ، 220 .
6) العبر ، 4 ، 97 (ط . بيروت) ، اتعاظ ، 1 ، 93 ، حسب أبي الفداء فانه كان شريكه في القيادة (المختصر ، 3 ، 127) .
7) العبر ، 4 ، 97 (ط . بيروت) .

موقف يعلى عندما علم بتقدمه اليه ، فالأول يقول بأن يعلى استقبله عند بلده ايفكان وتخلى عن طاعة الأمويين وأذعن لطاعته وعهد البيعة عن قومه بني يفرن وزناتة فتقبلها جوهر لكنه في نفس الوقت أضمر الفتك به ، فأوعز الى بعض أتباعه المخلصين له لاحداث ضجة ، ولما ارتحل الجيش من ايفكان أحدثوها وقيل له : إن بني يفرن هم الذين فعلوا ذلك ، فانتهز الفرصة وشن عليهم هجوما قتل فيه يعلى وخرب مدينته وفر من نجا من زناتة أمامه (1). أما الثاني أي ابن أبي زرع فيذكر أن يعلى عندما وصلته أخبار خروج جوهر حشد بني يفرن وجمع قبائل زناتة وتلقاه قرب مدينة تاهرت ودارت بينهما معركة هزم فيها بنويفرن وتفرق جمعهم بعد قتل أميرهم (2) .

فجوهر ، اذا قتل يعلى بن محمد اليفرني وشرد زناتة ، وخاصة منهم بني يفرن سواء في افكان كما ذكر ابن خلدون (3) أو في تاهرت كما ذكر ابن أبي زرع (4) ومنذ ذلك الوقت دخل بنو يفرن في مرحلة الضعف ولم يعودوا يوجدون الا في المغرب الأقصى (5) ، حيث اجتمعوا بعد يعلى ، على ابنه يدو (6) .

1) العبر ، 2 ، 24 (ط . دوسلان) ، العبر ، 4 ، 27 (ط . بيروت) ، حسب ابن عذاري فقد وردت في جمادى الآخرة سنة 347هـ / أوت ـ سبتمبر 958م رسالة من قائد الأسطول أحمد بن يعلى من مدينة آسلان ، يذكر أن جوهرا قتل يعلى بن محمد صاحب مدينة ايفكان غدرا(البيان ، 2 ، 224) وكان الناصر قد ارسل صاحب الشرطة أحمد بن يعلى بالاسطول لغزو بلد الشيعي في محرم 347هـ / 25 مارس 958م (البيان ، 2 ، 221 ـ 222 م) .

2) القرطاس ، ص : 54 ، أنظر: السلاوي : الاستقصا ، 1 ، 86 .

3) انظر : أيضا : ابن أبي دينار : المؤنس ، ص : 63 .

4) انظر : أيضا أبو الفداء : المختصر ، 3 ، 127 ، المقريزي ، اتعاظ ، 1 ، 94 ، هناك رواية أخرى أشار اليها ابن خلدون وذكر تفاصيلها صاحب كتاب مفاخر البربر مفادها ان جوهرا يكون قد قتل يعلى في طريق عودته من المغرب فبعد الانتصارات التي حققها هناك تأكد يعلى من قوته ولذلك تلقاه عند عودته بمدينة تاهرت طامعا فيما أبداه لنظرائه من تسامح لكن قوادكتامة فتكوا به بين يدي قائدهم ، في 1 جمادى الاول سنة 349 هـ / يوليو 960 م وتفرق بنومحمد بعد ذلك (مؤلف مجهول ص : 4 ـ 5 ، العبر ، 2 ، 24 ـ 25 (ط . دوسلان) ، حسب حسن ابراهيم حسن فان جوهرا أسر يعلى ثم قتله (تاريخ الدولة الفاطمية ، ص : 94) .

5) انظر : GAUTIER (E.F), *Le Passé de l'Afrique du Nord*, p. 382)

6) القرطاس ، ص : 54 ، مفاخر البربر ، ص : 5 ، العبر ، 2 ، 25 (ط . دوسلان) ، يذكر ابن خلدون مرة أن يدو لحق بالمغرب الاقصى ، ثم فر الى الصحراء ، وبقي هناك حتى عاد جوهر الى افريقية ويذكر مرة أخرى أن جوهر ألقى القبض على يدو لكنه استطاع أن يفر واجتمع عليه قومه بعد ذلك (العبر ، =

بعد ذلك قصد جوهر مدينة فاس فحاصرها مدة ثم تركها وسار الى سجلماسة (1) حيث ألقى القبض على صاحبها محمد بن الفتح (2) وواصل زحفه في اتجاه الغرب حتى انتهى الى المحيط الأطلسي «البحر المحيط» حيث أمر أن يصاد سمكه و بعثه في قلال من الماء الى خليفته (3) ثم رجع الى فاس مرة أخرى ، واستولى عليها بعد حصار دام ثلاثة عشر يوما ، في رمضان سنة 348هـ (4) نوفمبر ـ ديسمبر 959 م وأسر عامل الناصر عليها أحمد بن أبي بكر الزناتي (5) «ثم سار جوهر في بلاد المغرب يقتل أولياء المروانيين ويفتح البلاد والمعاقل وفرت أمامه القبائل من زناتة وغيرهم ... ثم انصرف الى مولاه ... و... معه ... أمير فاس وخمسة عشر رجلا من أشياخها ومحمد بن الفتح ... أسارى بين يديه (6) »

= 2 ، 25 (ط . دوسلان) ، حسب ابن عذاري فان الذي تولى مكان يعلى هو ابن عمه (ولم يذكر اسمه) (البيان ، 2 ، 222) .

1) اتعاظ ، 1 ، 94 ، العبر ، 4 ، 27 (ط. بيروت) ، المؤنس ، ص : 63 .

2) هو محمد بن الفتح بن ميمون : انتزع الامارة من المنتصر سنة 322 هـ / 933 م ـ 934 م ، ودعا الى بني العباس . وأخذ بمذهب أهل السنة ، ثم تسمى بأمير المؤمنين سنة 342 هـ / 953 م ـ 954 م ، وتلقب بالشاكر لله ـ وضرب السكة باسمه ولقبه ، وكتب عليها « تقدست عزة الله » وكانت تسمى « الدراهم الشاكرية » (الأعلام ، 8 ، 78) ، حسب ابن أبي زرع فان محمدا بن الفتح (الخارجي المعروف بواشول) بن ميمون بن مدرار الصفري ادعى الخلافة ، وكان على غاية في اظهار العدل واقامة السنة ، وكان مالكي المذهب (القرطاس ، ص : 54) أما صاحب كتاب مفاخر البربر فيقول بأنه كان اماما للصفرية (مؤلف مجهول : ص : 4) ، عنه انظر : العبر ، 4 ، 97 (ط . بيروت) ، الاستقصا ، 1 ، 8 .

3) اتعاظ ، 1 ، 94 ، المؤنس ، ص : 64 ، نزهة الانظار ، ص : 135 .

4) مؤلف مجهول ، ص : 5 ، المختصر ، 3 ، 128 ، أعمال الاعلام ، 3 ، 220 ، حسب ابن خلدون فانه فتحها على يد زيري بن مناد سنة 348هـ / 959م ـ 960م (العبر ، 4 ، 97 ط . بيروت) ، انظر : المؤنس ، ص : 74 ، الاستقصا ، 1 ، 86 ، حسب ابن زرع فقد استولى عليها في رمضان 349 هـ نوفمبر ـ ديسمبر 960 م (القرطاس ، ص : 54) .

5) ابن أبي زرع : القرطاس ، ص : 54 ـ 55 ، يسميه ابن خلدون أحمد بن بكر بن أبي سهل الجذامي (العبر ، 4 ، 97 (ط . بيروت) .

6) القرطاس ، ص : 55 ، عن هؤلاء الاسارى انظر : أعمال الاعلام ، 3 ، 220 ، اتعاظ ، 1 ، 94 ، المؤنس ، ص : 64 ، العبر ، 4 ، 97 ـ 98 (ط . بيروت) ، وفيات الأعيان ، 4 ، 313 ، حسب ابن عذاري فان جوهرا قتل محمدا بن الفتح في رجب 317 هـ / أوت ـ سبتمبر 929 م (البيان ، 1 ، 222) .

فوصل المهدية سنة 349 هـ (1) / 960 م ـ 961 م ، بعد غياب دام ثلاثين شهرا (2) تمكن خلاله من السيطرة على الموقف في أغلب أنحاء المغرب (3) .

لكن الأمورسرعان ما أخذت تعود الى ما كانت عليه قبل قيام حملته بمجرد عودته الى افريقية ، ذلك أن أمير الأدارسة الحسن بن كنون (4) الذي كان قد تحصن بقلعة حجر النسر أثناء الحملة ، وبعث بطاعته الى جوهر فلم يقصده (5) ، لم يتردد الحسن هذا في مراجعة طاعة الخليفة الاندلسي وبقي متمسكا بطاعة الأمويين ، طيلة أيام الناصر ، وكذلك في عهد ابنه وخليفته الحكم المستنصر (6) الذي بقي سائرا في نفس الخط السياسي المرسوم من قبل أبيه في المغرب الاسلامي ، فاستأنف الاتصال بأمرائه لجذبهم اليه ، واستجاب له أمير مغراوة محمد بن الخير ابن محمد بن خزر (7) ، واستطاع أن يحقق له انتصارات كبيرة (8) .

وقد ذكرت بعض المصادر أن جوهرا قام بحملة ثانية الى المغرب سنة 355هـ (9) 965 م ـ 966 م إلا أنها لا تزيد عن قولها بأنه مهد البلاد ، وجمع الجنود الذين

---

1) القرطاس ، ص : 55 ، مفاخر البربر ، ص : 5 ، أعمال الأعلام ، 3 ، 220 .
2) يختلف ابن عذاري مع بقية المؤرخين في قوله أن حملة جوهر دامت حوالي سنة (البيان ، 1 ، 222) .
3) باستثناء سبتة (المؤنس ، ص : 64 ، وفيات الأعيان ، 4 ، 313 ، نزهة الأنظار ، ص : 135) ، أوسبتة وطنجة (العبر ، 2 ، 37 (ط . دوسلان) .
4) هو أخو أبي العيش ، استخلفه على عمله عندما أجاز الى الأندلس لغرض الجهاد (القرطاس ، ص : 54) ، يسميه ابن الخطيب : الحسن بن قنون (اعمال الأعلام ، 3 ، 219) .
5) العبر ، 2 ، 289 ـ 290 (ط . دوسلان) ، بغية الرواد ، ص :82 ، القرطاس ، ص : 55 .
6) يرد بن أبي زرع سبب تمسك الحسن بدعوة الامويين الى خوفه منهم ، لقرب بلاده من بلادهم (القرطاس ، 55) ، انظر : الاستقصا ، 1 ، 87 ، قارن مع ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، 3 ، 220 ؛ أما عن الحكم المستنصر فقد تولى الخلافة بعد موت أبيه سنة 350 هـ / 962 م ـ 963 م وتلقب بالمستنصر بالله وتولى حجابته جعفر المصحفي ، ومات بعد ست عشرة سنة من خلافته ، سنة 366 هـ / 976 م ـ 977 م (العبر ، 4 ، 312 فما بعدها (ط . بيروت) عنه انظر : ابن الأبار : الحلة السيراء ، 1 ، 200 .
7) يرد ابن خلدون سبب هذه الاستجابة الى ما كان من ابيه الخير وجده محمد بن خزر من ولاية الناصر ، وللولاية التي لبني أمية على آل خزر بوصية عثمان بن عفان لصولات بن وزمار جدهم (العبر ، 2 ، 37 ط . دوسلان) ، قارن مع مؤلف مجهول : مفاخر البربر ، ص : 5) ؛ حسب ابن حيان وابن عذاري فان الذي استجاب للحكم المستنصر هو محمد بن الخير بن خزر الزناتي (المقتبس ، ص : 35 ؛ البيان ، 2 ، 343) . ويسميه ابن الأثير محمد بن الحسين بن خزر الزناتي (الكامل ، 7 ، 47) .
8) العبر ، 2 ، 37 (ط . دوسلان) . مؤلف مجهول : مفاخر البربر ، ص : 6 .
9) المؤنس ، ص : 65 .

يتوجه بهم الى مصر وجبى ما كان للدولة من أموال على القبائل (1) ، ومما لا شك فيه أن جوهرا لم يتجاوز ، هذه المرة ، حدود المغرب الأوسط ، والا لكانت له أخبار مع اتباع الأمويين ، وعاد جوهر الى المعز في أواخر محرم (2) سنة 358هـ (3)/ نوفمبر 968 م فأمره بالمسير الى مصر ، فغادر افريقية في ربيع الأول (4) / يناير ـ فبراير 969 م ، وفي 23 شوال / أوت ـ سبتمبر ، من نفس السنة (5) خرج المعز بنفسه لمواجهة ثورة أبي خزر الزناتي (6) .

ثورة أبي خزر الزناتي :

كان أبو خزر وصاحبه أبو القاسم هما : الشيخان اللذان تسببا مباشرة في نشوب معركة بين مزاتة وفضل بن أبي يزيد (7) . ومع أن المصادر الاباضية لم تتعرض للحديث عن أسباب مطالبة فضل لمزاتة بهما الا أنها تبين بوضوح أنهما كانا عالمين نشيطين من علماء الوهبية وهما من « حامة قسطيلية (8) » ينتسبان الى بني ويسين (9) أو بني وسيان(10)وهؤلاء من بني يفرن (11) أو اخوة لهم (12)، أي أنهما من زناتة .

وكانت لأبي القاسم مكانة مرموقة لدى المعز لدين الله ، لأنه كان يعلم أن مزاتة التي تقدر قوتها باثني عشر ألف فارس ، بالاضافة الى عدد كبير من الرجالة ، توجد رهن إشارته ، فهو اذا كان يقدر قوته ويحترز منه ، لذلك فانه ، بمجرد

---

1) نفسه ؛ نزهة الانظار ، ص : 135 .
2) نزهة الانظار ، ص : 135 .
3) نفسه ، المؤنس ، ص : 64 .
4) نفسه ، نفسه ، اتعاظ ، 1 ، 97 .
5) الدرجيني ، طبقات ، 1 ، 129 .
6) نفسه ، ص : 128 ـ 129 ، الكامل ، 7 ، 35 ، حسب أبي زكرياء فان المعز خرج من القيروان في طلب الشيوخ عندما بلغته هزيمتهم (السيرة ورقة : 89) .
7) أنظر : ما قبل ، ص : 218 فما بعدها .
8) الدرجيني : طبقات ، 1 ، 119 .
9) السيرة ، ورقة : 72 .
10) طبقات ، 1 ، 103 .
11) نفسه .
12) السيرة ، ورقة : 72 .

ما وصلته أخبار مفادها : أن أبا القاسم يتحدث في القيام بثورة عليه ، بعث الى عامله على الحامة أمرا بقتله ، فقتل أبو القاسم ووضع صاحبه أبو محمد ويسلان بن يعقوب المزاتي في السجن ، فثارت حفيظة الوهبية ، وعلى رأسهم الشيخ أبو خزر ، وأخذوا يستعدون للقيام بثورة عليه (1) .

ولما علم المعز بأمرهم بعث يطلب منهم العدول عنه ، في مقابل السماح لهم بالعودة الى تاهرت وتأسيس دولة بها ، فحاول أبو خزر اقناع أصحابه بقبول هذا العرض ، لكن العامة منهم أبوا الا أن يثأروا لشيخهم المقتول ، فما كان عليه حينئذ الا أن أرسل في طلب الامدادات من مناطق الزاب وأريغ وورجلان ، وفي نفس الوقت جمع جيشا ، معظم أفراده من مزاتة ، وعقد له أصحابه الولاية على الدفاع وطلب الحق ، واتفقوا أن يعقدوا له الولاية على الظهور ان انتصروا ، وراحوا يحاصرون باغاية (2) دون أن ينتظروا الإمدادات التي بعثوا في طلبها (3) .

وهنا تحرك المعز لانقاذ الوضع لكن الهزيمة وقعت على أصحاب أبي خزر قبل وصوله اليهم (4) ومع ذلك فانه سار في طلبه ثم رجع الى المنصورية بعدما كلف بلكين بن زيري بمواصلة البحث عليه ، فسار في اثره حتى خفي عليه خبره (5) ،

---

1) نفسه ، ورقة 83 فما بعدها ، طبقات ، 1 ، 119 فما بعدها من عدة صفحات .

2) أبو زكرياء : السيرة ورقة : 86 فما بعدها ، الدرجيني : طبقات ، 1 ، ص : 126 فما بعدها ، حسب هذا الأخير فان عامل المعز على باغاية كان طيان الصقلي وقد كتب اليه يعلمه « أن قائما قام ثائرا في البربر يعرف بأبي خزر الوسياني وأنه اجتمع اليه خلق عظيم ولما بلغه الكتاب اغتم لذلك غما شديدا » (طبقات ، 1 ، 129) فاذا كان الدرجيني يعني ما يقول هنا فمعنى ذلك أن طيانا لم يكن يعرف أن المعز كان على علم بأمر أبي خزر اوأن المعز لم يعرف أبا خزر ولم يسمع به ، حتى ذلك الوقت بالفعل ، وفي هذه الحالة يجب اعادة النظر في كل ما سبق أن ذكر في شأنه هو وأبو القاسم ، ويمكن عندئذ الأخذ بما قاله ابن الأثير الذي لم يتحدث عن التفاصيل السابقة من أنه اجتمع الى أبي خزر الزناتي « جموع عظيمة من البربر والنكار» الكامل 7 ، 35) أي أن أبا خزر ، حسب ابن الاثير ، كان يقود النكار في ثورته .

3) وصلت تلك الامدادات بعد فوات الأوان ، وعادت الى مكانها (السيرة ، ورقة : 88 _ 89 ؛ طبقات 1 ، 130) .

4) عن هذا الموضوع انظر : الكامل ، 7 ، 35 ؛ طبقات ، 1 ، 129 _ 130 ؛ السيرة ، ورقة : 88 _ 89 .

5) الكامل ، 7 ، 35 ؛ حسب الدرجيني فقد انضم الى المعز يوسف (بلكين) بن زيري من أشير وجعفر بن علي من المسيلة وجد كل منهما في طلب أبي خزر حتى خفي خبره (طبقات ، 1 ، 130) .

وفي ربيع الآخر سنة 359 هـ (1) / فبراير ـ مارس 970 م قدم على المعز ، وهو بعاصمته ، فأنزله مكانة رفيعة (2) وأبقاه الى جانبه (3) .

بداية النزاع بين زناتة وصنهاجة :

بعد قضاء المعز على ثورة أبي خزر التفت الى اتباع الأمويين ، خاصة منهم محمد بن الخير المغراوي ، فكلف زيري بن مناد الصنهاجي ، عامله على أشير وتاهرت (4) ، بمحاربة زناتة وسمح له أن يضم الى عمله كل الأراضي التي يستطيع الاستيلاء عليها فسار ابن مناد نحو ابن الخير ، وقام عليه بهجوم مفاجيء ، سنة 360 هـ / 970 م ـ 971 م (5) ، تمكن فيه من محاصرة زناتة حتى لم يبق أمام أميرها من حل سوى أن مال الى ناحية وذبح نفسه بسيفه ، واستمرت الهزيمة على أصحابه بعد ذلك (6) ، غير أنه لم يمض وقت طويل حتى أتيحت الفرصة لزناتة كي تثأر لنفسها .

ذلك أن عامل المسيلة والزاب للخليفة الشيعي ، جعفر بن علي بن حمدون (7) خلع طاعته ولحق بالخير بن محمد بن الخير وقومه (8) « واعتصم بدعوة المروانية » (9)

---

1) الكامل ، 7 ، 35 .

2) نفسه ، السيرة ورقة : 93 ـ 94 ، طبقات ، 1 ، 136 فما بعدها .

3) ولما رحل الى مصر أخذه معه (السيرة ، ورقة 94 ، طبقات ، 1 ، 138 ـ 139) .

4) ضمها اليه جوهر الصقلي عندما كان عائدا الى القيروان من حملته الأولى على المغرب (العبر ، 4 ، 27 (ط . بيروت) ، ويرد ابن أبي دينار ذلك الى أن زيري كان سببا في فتح فاس ، فكافأه جوهر على ذلك (المؤنس ، ص : 74) ، قارن مع ابن عذاري : البيان ، 2 ، 242 ، حسب ابن مقديس فان المنصور كان قد ولاه تاهرت وما حولها بالإضافة الى أشير (نزهة الانظار ، ص : 137 ـ 138) .

5) العبر ، 2 ، 37 (ط . دوسلان) ، يحدد صاحب كتاب مفاخر البربر تاريخه بـ 15 ربيع الآخر 360 هـ / فبراير ـ مارس 971م (مؤلف مجهول ، ص : 6) ، يرى GAUTIER (E.F.). أن هذا الهجوم وقع ما بين أشير وتلمسان *Le Passé de l'Afrique*

6) عن هذه المعركة انظر : العبر ، 2 ، 37 ـ 38 (ط . دوسلان) ، مؤلف مجهول : مفاخر البربر ، ص : 6 . البيان ، 2 ، 243 ، الكامل ، 7 ، 47 ، 5 ، 43 ، المقتبس ، ص : 38 .

7) العبر ، 2 ، 38 (ط . دوسلان) ، يسميه صاحب كتاب مفاخر البربر جعفر بن محمدون المعروف بابن الأندلسي (مؤلف مجهول ، ص : 6) ، وقد تولى المسيلة بعد مقتل أبيه في معركة خاضها ضد أبي يزيد سنة 334 هـ / 945 م ـ 946 م (ابن حيان : المقتبس ، ص : 35) .

8) العبر ، 2 ، 38 (ط . دوسلان) .

9) مفاخر البربر ، ص : 7 ، عن أسباب موقف علي بن حمدون هذا انظر : العبر ، 2 ، 38 (ط . دوسلان) ، العبر ، 4 ، 176 (ط . بيروت) ، البيان ، 2 ، 343 ، المقتبس ص : 35 ـ 36 ، اتعاظ ، 1 ، 99 ، المؤنس ، ص : 74 .

مما كان سببا مباشرا في وقوع معركة ثانية بين صنهاجة بقيادة زيري بن مناد وزناتة بقيادة الخير بن محمد في رمضان 360 هـ (1) / يوليو ـ أوت 971 م ، بملوية (2) ، وكانت نتيجتها عكس المرة الأولى ، اذ انتهت بقتل زيري وهزيمة أصحابه (3) ، وما أن علم المعز بذلك حتى أسند المهمة التي كلف بها زيري الى ابنه بلكين ، بنفس الشروط (4) ، بعدما ولاه على عمل أبيه ، وعمل جعفر بن علي (5) .

تحرك بلكين نحو المغرب سنة 361هـ / 971م ـ 972م وراح يجول في « أعمال طبنة وباغاية والمسيلة وبسكرة وأجفلت (6) زناتةأمامه وتقدم الى تاهرت... ولحق بالمغرب الأقصى واتبع ... آثار الخير بن محمد وقومه الى سجلماسة فأوقع بهم وتقبض عليه فقتله ... وفَضَّ (7) جموعهم ... وانكف راجعا ومر بالمغرب الأوسط فاستلحم (8) بوادي زناتة ومن اليهم من الخصاصين (9) ورفع الأمان عمن ركب فرسا أونتج خيلا ... فأقفر المغرب الأوسط من زناتة وساروا الى ماوراء ملوية من بلاد المغرب الأقصى »(10) ويبدو أن تصدعا كان قد وقع في صفوف

---

1) مؤلف مجهول : مفاخر البربر ، ص : 7 ، ابن مقديس : نزهة الانظار ، ص : 138 ، تذكر بعض المصادر أن جعفرا وزناتة هم الذين هاجموا صنهاجة (المقتبس ، ص : 36 ، العبر ، 2 ، 38 (ط . دوسلان) ، ويذكر بعضها الآخر أن زيري هوالذي حاول أن يفرقهم قبل أن تقوى شوكتهم (مفاخر البربر ، ص : 7 ، المؤنس ، ص : 74) .

2) المقتبس ، ص : 36 .

3) العبر ، 2 ، 38 (ط . دوسلان) ، مفاخر البربر ، ص : 7 ، نزهة الأنظار ، ص : 138 ، البيان ، 2 ، 242 ، الكامل ، 7 ، 47 ، المقتبس ،26 ـ 27 .

4) أي أنه سوغه ما تغلب عليه من أعمال زناتة (العبر ، 2 ، 38 (ط . دوسلان) .

5) مفاخر البربر ، ص : 8 ، حسب ابن الأثير فان المعز ولاه المسيلة وأعمالها بعدما حارب زناتة ، تعبيرا عن فرحه به (الكامل ، 7 ، 48) .

6) شردت فذهبت (لسان العرب ، 11 ، 113) .

7) فرقهم (لسان العرب ، 7 ، 207) .

8) أرهقهم أواحتوشهم في القتال (نفسه ، مجلد 12 ، ص : 538) .

9) الخصاصة والخصاصاء ، والخصاص : الفقر وسوء الحال الخلة والحاجة (لسان العرب ، 7 ، 25) .

10) العبر ، 2 ، 38 (ط . دوسلان) ، قارن مع ابن الاثير ، الكامل ، 7 ، 48 ، المؤنس ، ص : 75 ، أعمال الاعلام ، 3 ، 67 ، حسب صاحب كتاب مفاخر البربر فان بلكين « استولى على تاهرت والمسيلة وطبنة وباغاي وبجاية وبسكرة وجميع المدن بالمغرب حتى لم يبق لزناتة شيء منها (مؤلف مجهول ، ص : 8) فكلمة « استولى » تدل على أن المناطق أوالمدن المذكورة كانت لغيره ومعنى ذلك أن زناتة تكون قد استولت عليها بعد قتل زيري وهزيمة جيشه .

أعدائه نتج عنه عبور جعفر ويحيى ابني علي إلى الأندلس (1) وعودة ، بقية المقاتلين الى مناطقهم (2) وهذا ماجعله يحقق تلك الانتصارات الباهرة ، بدون كبير عناء ، في حين كان القائد جوهر قد استولى على مصر وأخضع الحجاز والشام .

رحيل المعز لدين الله الى مصر :

كانت مصر هدف الفاطميين ، منذ تأسيس دولتهم : ذلك أن إمامهم الأول ، عبيد الله المهدي ، حاول الإستيلاء عليها مرتين : الأولى سنة 301 هـ (3) 913 م ـ 914 م ، والثانية سنة 306 هـ (4) / 918 م ـ 919 م لكنه لم يوفق في ذلك ، وتوقفت تلك المحاولات الى أن انتهت ثورة أبي يـزيد ، وعـادت الأمور الى نصابها ، وفي سنة 355 هـ / 965 م ـ 966 م أصدر المعز لدين الله أوامره لحفر الآبار وبناء قصر له في كل موضع على طول طريق مصر (5) ، وعندما ورد عليه الخبر بموت حاكمها كافور الاخشيدي ، في أواخر جمادي الآخرة من نفس السنة (6) مايو ـ يونيو 966 م ، « واشتغال بني العباس بقتال الديلم » (7) أخرج قائده جوهرا على رأس حملة ثانية الى المغرب ولما جمع ما استطاع من الرجال (8) وجبى ما على **القبائل من القطائع (9) عاد اليه سنة 358 هـ (10) / 968 ـ 969م ، فأتم تجهيزه**

---

1) ابن خلدون : العبر ، 4 ، 177 (ط . بيروت) ، المؤنس ، ص : 74 ، الكامل ، 7 ، 47 ـ 48 . قارن مع المقتبس ، ص : 39 فما بعدها ، أعمال الاعلام ، 3 ، 67 .

2) مفاخر البربر ، ص : 8 .

3) عن هذه المحاولة انظر : البيان ، 1 ، 170 فما بعدها ، الحلة السيراء ، 1 ، 192 ـ 286 ، اتعاظ ، 1 ، 69 ، العبر ، 4 ، 78 ـ 79 (ط . بيروت) .

4) الحلة السيراء ، 1 ، 192 ، البيان ، 1 ، 181 ، اتعاظ ، 1 ، 71 ، أو أنها كانت سنة 307 هـ / 919 ـ 919م ـ 920م (العبر ، 4 ، 80 (ط . بيروت) ، المؤنس ، 57 .

5) اتعاظ ، 1 ، 96 ، المؤنس ، ص : 64 .

6) نفسه ، نفسه ، حسب ابن عذاري فقد توفي سنة 357هـ / 967م ـ 968م (البيان ، 1 ، 228) .

7) نزهة الأنظار ، ص : 135 .

8) نفسه ، المؤنس ، ص : 64 .

9) اقتطعت قطعة من غنم فلان ، والقطعة من الشيء : الطائفة منه واقتطع طائفة من الشيء أخذها والقطيعة ما اقتطعه منه (لسان العرب ، 8 ، 280) ، ويقدرها ابن مقديش بـ 500.000 دينار (نزهة الأنظار ، ص : 135) .

10) المؤنس ، ص : 64 ، حسب ابن مقديش فان عودته كانت في أواخر المحرم سنة 358 هـ / ديسمبر 968 (نزهة الأنظار ، 135) .

وسيره الى المشرق ، في ربيع الأول من نفس العام (1) / يناير ـ فبراير 969م ، فتمكن جوهر من الاستيلاء عليها في شعبان / يونيو ـ يوليو ، ثم دخل الحجاز والشام في طاعته فأخبر مولاه بالانتصارات التي حققها وأخذ يحثه على الرحيل اليه (2) .

ولم يتردد المعز في اتخاذ قرار الرحيل ، فبعث يستدعي « بلكين بن زيري وكان متوغلا في المغرب في حروب زناتة » (3) وعند وصوله أسند اليه ولاية افريقية والمغرب (4) وبهذه المناسبة سماه يوسف بدلا من بلكين وكناه أبا الفتوح ولقبه سيف الدولة (5) ثم حمل ذخائره على « ألفي جمل من ابل زناتة » (6) وغادر المنصورية في شوال 361هـ (7) / يوليو ـ أوت 972م الى سردانية (8) حيث أقام أربعة أشهر (9) سلم خلالها السلطة ليوسف في 21 أو 22 (لتسع بقين) من ذي الحجة (10) سبتمبر ـ أكتوبر 972 م ، ثم غادرها وهو ملازم له يتلقى تعليماته وتوجيهاته ، وعند توديعه (11) أكد له خاصة على عدم رفع الجباية عن أهل البادية والسيف عن

---

1) اتعاظ ، 1 ، 97 ، نزهة الأنظار ، 135 ، المؤنس ، 64 .

2) البيان ، 1 ، 221 ، نزهة الأنظار ، 135 ـ 136 ، المؤنس ، 64 ـ 65 .

3) العبر ، 2 ، 119 (ط . دوسلان) ، انظر ، المؤنس ، ص : 75.

4) ماعدا صقلية وكانت للحسن بن علي بن أبي الحسن (الكامل ، 7 ، 45 ، اتعاظ ، 1 ، 101) ، وطرابلس وكانت لعبد الله بن يخلف الكتامي (العبر ، 2 ، 119 ـ 200 (ط . دوسلان) ، الكامل ، 7 ، 45) ، حسب ابن الخطيب فإن اسماعيل المنصور عندما انتصر على أبي يزيد صرف زيري ابن مناد الى بلاده وأمسك لديه بنيه ، وكان كبيرهم وأظهرهم بلكين ، فلم يزالوا معه ومع ولده الى أن توجه المعز الى مصر فاختار منهم بلكين للولاية (أعمال الأعلام ، 3 ، 65) ويذكر التجاني في رواية لابن بسام أن المعز ، عندما أراد الرحيل استدعى زيري وكان له عشرة اولاد فطلب منه أن يحضرهم إليه فأحضرهم الا أصغرهم سنا وأهونهم عليه شأنا ، وهو يوسف بن زيري ، وكانت عند المعز علامة لخليفته عل افريقية فلم يرها في وجوه بني زيري ، فطلب احضار الولد الصغير ولما رآه عرفه واستخلفه (رحلة التجاني ص : 16 ـ 17) ، قارن مع رواية المقريزي : اتعاظ ، 1 ، 99).

5) العبر ، 2 ، 200 (ط . دوسلان) ، حسب ابن الخطيب فقد لقبه سيف العزيز بالله ويعني به نزار معد (أعمال الأعلام ، 3 ، 65) .

6) اتعاظ ، 100 .

7) الكامل ، 7 ، 45 ، اتعاظ ، 1 ، 100 ، نزهة الأنظار ، ص : 65 .

8) قرية قريبة من القيروان (البكري : المغرب ، ص : 32) .

9) الكامل ، 7 ، 45 ـ 46 ، المؤنس ، ص : 65 .

10) اتعاظ ، 1 ، 100 ، المؤنس ص 75 .

11) اختلف المؤرخون في تحديد المكان الذي ودعه فيه ، فمنهم من يقول ودعه في سردانية (اتعاظ ، 1 ، 100 ـ 101) ومنهم من يقول ودعه في نواحي صفاقس (العبر ، 2 ، 200 (ط . دوسلان) .

البربر ، وعدم توليه أحدا من اخوته ، أوبني عمه ، حتى لا يروا أنهم أحق منه بالأمر . وأوصاه خيرا بأهل الحاضرة وأخيرا « عهد اليه أن يفتتح أمره بغزو المغرب لحسم دائه وقطع علائق الأموية منه (1) » وافترق الرجلان فواصل المعز طريقه الى مصر ، تاركا بلاد المغرب لأبي الفتوح الذي عاد الى المنصورية ودخلها يوم 12 ربيع الأول 362 هـ (2) / ديسمبر 972 م ـ يناير 973 م .

وانتهت بذلك المرحلة الأولى من تاريخ الدولة الفاطمية التي قضتها ببلاد المغرب في صراع دائم مع القبائل المغربية ، خاصة منها زناتة التي كان أمويو الأندلس يقفون وراءها في غالب الأحيان ، وأكبر خطر عرفته في تلك المرحلة يتمثل في الحركة النكارية ، بزعامة أبي يزيد اليفرني الزناتي الذي اعتمد في بدايتها على زناتة الذين أخرجوه من سجن توزر ثم قصد مواطنهم بورقلة ، والجبال الواقعة جنوب المسيلة والتي يسكنها بنوبرزال وبنوزنداك المغراويين الذين استجابوا لدعوته ، ثم قصد الأوراس حيث بويع وبدأت عملياته الحربية سنة 332 هـ / 943 م ـ 944م والتحق به بنو واسين الزناتيين وأخذ يحقق انتصارا تلو الآخر حتى وصل الى المهدية. وحاصرها ، وكانت القبائل ، ومن بينها زناتة ، تأتيه من كل مكان ولما فشل حصاره . كانت زناتة وهوارة آخر من تخلى عنه ، فعاد الى القيروان ، حيث أعاد تنظيم نفسه واستأنف المعارك ، لكن بدون جدوى ، ولم تشر المصادر الى الدور الذي تكون زناتة قد قامت به في هذه المرحلة من حركته .

وبعدما هزم جيشه في سوسة ، وصار الخليفة المنصور يطارده ، لجأ الى بني برزال الزناتيين ، بجبل سالات ، وأخذ يتردد عليهم لكن ذلك لا يعني أنهم وقفوا بجانبه آنذاك بدليل أنهم استقبلوا المنصور عندما جاء يبحث عنه ، وهذا لا يعني أيضا أن زناتة تخلت كلية عن مساندته فابن حماد يذكر بأن معظم أصحابه العشرة آلاف الذين قتلوا في معركة الرؤوس كانوا من بني كملان ومزاتة أو زناتة وهذا معناه أن زناتة قد تكون بقيت تحارب وبأعداد كبيرة آنذاك ، وبعد قتله حاول ابنه فضل استئناف الثورة وسانده في ذلك الأمير المغراوي معبد بن خزر الذي كان مواليا لأبيه .

---

1) العبر ، 2 ، 200 (ط . دوسلان) .

2) المؤنس ، ص : 76 .

لكن الفاطميين سرعان ماقضوا على فضل ، وتتبعوا بعد ذلك بني يفرن أما معبد فلم يتمكنوا منه الا سنة 340 هـ أو 341 هـ (951 م ـ 952 م ـ 953 م) .

ومما يلفت النظر أن زناتة التي لعبت دورا إيجابيا في الحركة النكارية ، منذ بدايتها حتى حصار المهدية ، أصبح دورها سلبيا أكثر منه ايجابيا بعد فشل الحصار ذلك أن محمدا بن خزر المغراوي اتصل بالخليفة الفاطمي واتفق معه على الوقوف الى جانبه ، ضد ابي يزيد ، وصار يبعث له بأخباره ، في حين رفض التعاون مع ابن كيداد ، كما أن الخير ، الذي كان أميرا بنواحي الأغواط ، دخل طاعة المنصور واتفق معه على تموين المسيلة والقيروان وشن هجوم على سدراتة التي كانت تمون أبا يزيد في كيانه ففعل وتوقفت سدراتة عن تموين النكار . ولم تكتف زناتة بذلك بل راحت تشارك في المعارك الى جانب الفاطميين ، كما فعل بنو زنداك في معركة الرؤوس .

ويلاحظ أن زناتة التي وقفت ضد أبي يزيد تنتسب الى مغراوة التي كانت علاقتها سيئة مع بني يفرن المنتشرين في المناطق الواقعة ما بين تلمسان وتاهرت ، ومنذ عودة المنصور الى المهدية طرأت تغييرات على موقف مغراوة فراجعت طاعة الناصر الأموي وحسنت علاقتها مع بني يفرن الذين كان يترأسهم يعلى بن محمد لكن ذلك لم يمنع يعلى من الاستيلاء على وهران من مغراوة ، على مسمع ومرأى من الناصر ، مما جعل ابن خزر يتخلى نهائيا عن طاعة الأمويين وينحاز الى أعدائهم ، في حين اختفت أخبار ابنه فجأة ، وبقيت السيطرة في المناطق الواقعة غرب وهران لبني يفرن ، وعلى رأسهم يعلى بن محمد الذي كان على طاعة الناصر ، الى أن قام القائد جوهر بحملته سنة 347 هـ / 958 م ـ 959 م فقتله وشرد زناتة وخاصة بني يفرن فانكسرت شوكتهم في المغرب الأوسط ولم يعودوا يوجدون سوى في المغرب الأقصى حيث اجتمعوا على يدّو بن يعلى .

وقد حاول الاباضيون الوهبية أن يقوموا بثورة على الفاطميين ، وكان أغلبهم من قبيلة مزاتة التي كان يقودها أبو خزر الزناتي ، لكن الخليفة المعز لم يلق عناء في القضاء عليها قبل أن تصلها الإمدادات من مختلف القبائل ، ثم التفت الى أتباع الأمويين ، خاصة منهم محمد بن الخير المغراوي فرماه بزيري بن مناد الصنهاجي

الذي هزمه وأجبره على الانتحار ، لكن ابنه الخير سرعان ما ثأر له بقتل زيري وهزيمة صنهاجة ، بفضل المساعدة التي قدمها له عامل الفاطميين السابق على المسيلة ، جعفر بن علي ، وكان قد انضم اليه قبل ذلك ، ولما علم المعز لدين الله بالأمر أسند مهمة زيري ، أي محاربة زناتة ، الى ابنه بلكين فقام بحملة على المغرب سنة 361 هـ / 971 م ـ 972 م ، قتل فيها الخير بن محمد وراح يطارد زناتة في كل مكان الى أن استدعاه المعز وولاه على افريقية والمغرب ، قبل أن يرحل الى مصر ، وتسلم بلكين السلطة في ذي الحجة 361 هـ / سبتمبر أكتوبر 972 م ، وتم بذلك تأسيس نواة لدولة جديدة هي دولة بني زيري .

الفصـــل الســادس

زناتة وصنهاجة منذ تولية بلكين على بلاد المغرب الى حادث القطيعة المذهبية

بلكين بن زيري وحروبه ضد زناتة :

آل حكم المغرب الإسلامي ، بعد رحيل الخليفة الفاطمي الى مصر ، الى أسرة بني زيري التي تنتسب الى تلكاتة (1) وهي احدى بطون صنهاجة البرنسية « وكانت مواطنهم ما بين المغرب الأوسط وأفريقية وهم أهل مدر »(2) أي أنهم من الحضر المستقرين ، وكان يترأسهم ، وقت حصار أبي يزيد للمهدية ، زيري بن مناد ، الذي لعب دورا كبيرا في انقاذ الفاطميين والقضاء على الحركة النكارية (3) ثم زحف مع الخليفة المنصور على تاهرت وانتصرا فيها على حميد بن يصل وأجبراه على الفرار الى الأندلس (4) وعندئذ عقد له المنصور الولاية على قومه (5) .

ولما تولى المعز لدين الله الخلافة ، استعان به أو بابنه بلكين في القيام بحملة على الأوراس (6) ، وكانت صنهاجة آنذاك في حرب مع قبيلة مغراوة الزناتية (7) ،

---

1) يشكلها .HADY ROGER IDRIS تَلْكَاتَة وتُلْكَاتَة ووَتَلْكَاتَة (Talkata (ou Tolokkata ou Watlakkata) انظر : *La Berbérie orientale sous les Zirides*

2) العبر ،2 ، 195 (ط . دوسلان) ، حسب MARÇAIS (G) فان أرضهم تمتد بين تاهرت والزاب وتشمل مراكز مثل مليانة والمدية والجزائر وحمزة *La Berbérie musulmane et l'Orient au Moyen Age*, p. 157).

3) أنظر : ما قبل ص : 204 وهنا وهناك ، أنظر : MARÇAIS : *Op.Cit*, p. 155.

4) أنظر : ما قبل ، ص : 215 .

5) نفسه ، ص : 222 .

6) نفسه ، ص : 228 هامش 1 .

7) نفسه ، ص : 228 .

كما سار زيري مع القائد جوهر في حملته على المغرب سنة 347هـ/958م-959م(1)، فكان له الفضل في الاستيلاء على مدينة فاس (2) مما جعل جوهرا يضيف له عمل تاهرت (3) الى عمله السابق (أشير)، وبعد قيام جوهر بحملته على مصر، خرج بلكين بن زيري بن مناد مع المعز، الى باغاية للقضاء على ثورة أبي خزر الأباضي الوهبي، واستمر يطارده الى أن اختفت عليه أخباره (4)، كما كلف المعز زيري بن مناد بمهمة محاربة زناتة الموالية للدولة الأموية ففعل وانتصر عليها في البداية، لكنه قتل في احدى المعارك التي خاضها ضدها (5)، فما كان على ابنه بلكين الا أن يواصل انجاز عمل أبيه، تلبية لرغبة الخليفة الفاطمي، وقد لقي في ذلك نجاحا كبيرا (6)، وكان هذا برهانا على كفائة القيادية، وهو بدون شك، ما جعل المعز يستدعيه الى المنصورية، ويعينه على ولاية المغرب قبل رحيله الى مصر (7).

ويرى Marçais. G. أن المعز فضل أن يترك المغرب لصنهاجة بدلا من كتامة، لأن الأولى كان لها مجال أوسع وموارد أكبر (تمتد أرضها من تاهرت حتى الزاب وتشمل مراكز مثل مليانة والمدية والجزائر وحمزة) ولأنها أقدر على مواجهة زناتة البدو، جيرانها من الناحية الغربية وأعدائها التقليديين، ولأن رئيسها بلكين، الذي نال إعجاب الخلفاء باخلاصه وحسن تدبيره، لديه ما يمكنه من تكوين ما يسمى بالقوة الضاربة بين العائلات البربربة الكبرى (8).

وقد أصبح بلكين يسمى أبا الفتوح يوسف، ويلقب بسيف الدولة، بعد توليته على المغرب وقد استهل عهده بغزوة، تنفيذا للتعليمات الصادرة اليه من

---

1) أنظر: ما قبل، ص: 230.
2) نفسه، ص: 232 هامش 4.
3) نفسه، ص: 236 هامش 4.
4) أنظر: ما قبل، ص: 235.
5) نفسه، ص: 236 فما بعدها.
6) نفسه، ص: 237.
7) نفسه، ص: 239 ـ 240 حسب JULIEN فان بلكين بقي محاطا بأشخاص في خدمة الفاطميين تركهم المعز لمراقبته ومساعدته .(*l'Histoire de l'Afrique du Nord*, t. II, p. 68)
8) *La Berbérie musulmane et l'Orient au Moyen* Age, p. 157.

الخليفة معد (1) فانطلق من افريقية في شعبان سنة 362 هـ (2) / أو 363 هـ (3) / أكتوبر ـ نوفمبر 972 م أو 973 م) وتوقف في باغاية حيث نصب عليها واليا من قبله ولما واصل طريقه في اتجاه الغرب التقى برسول خلوف بن أبي محمد ، عامله على تاهرت ، فأخبره بأن أهل هذه المدينة قد ثاروا على عاملهم وأخرجوه منها (4) ، فقصدها أبو الفتوح وخربها (5) «ثم بلغه أن زناتة اجتمعوا على تلمسان فرحل اليهم فهربوا أمامه ونزل على تلمسان فحاصرها حتى نزل أهلها على حكمه ونقلهم الى أشير فرجع (6)» في الوقت الذي كان فيه المغرب الأقصى مسرحا للصراع الأموي الادريسي .

ذلك أن أمير الأدارسة ، الحسن بن كنون صاحب البصرة (7) كان قد نقض طاعة الناصر وبعث بطاعته الى جوهر ، عندما قام بحملته على المغرب الأقصى ، ثم راجع موقفه بعد انصراف القائد الشيعي (8). ولما وصل جيش

---

1) أنظر ما قبل، ص : 239ـ240 حسب العبادي فانه قام بهذه الحملة لأن الأوضاع اضطربت في بلاد المغرب وثارت عليه قبيلة زناتة ، يساعدها الامويون بالأندلس وهاجمت بلاد المغرب الأوسط (سياسة الفاطميين نحو المغرب والاندلس ، ص : 211) .

2) مؤلف مجهول : مفاخر البربر ، ص : 13 — HADY ROGER IDRIS : *La Besbérie orientale sous les zirides*, p. 47.

3) المؤنس ، ص 76 .

4) انظر : HADY ROGER IDRIS : *La Berbérie orientale*, p. 47.

5) العبر ، 2، 200(ط . دوسلان)، أنظر : المؤنس ،ص: 76 ؛ HADY ROGER IDRIS : *Op.Cit.*,
يصف العبادي تاهرت بأنها معقل الخوارج ويضيف قائلا ان بلكين واصل طريقه الى المغرب الأقصى حيث اشتبك في قتال مع منافسيه جعفر ويحي بني علي بن حمدون ، وكان الخليفة الأموي قد أرسلهما لمحاربته فانتصر عليهما وقتل جعفرا عن طريق الحيلة ، أما أخوه يحيى فقد فر الى مصر (سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس ، ص: 211) ، لكن ما يلاحظ هو أن تاهرت لم تعد آنذاك معقلا للخوارج كما أن الأخوين جعفرا ويحى كانا بالأندلس آنذاك .

6) العبر ، 2 ، 200 (ط . دوسلان) ، انظر : المؤنس ، ص : 72 ؛ JULIEN (CH-A.) *Op.Cit.*, p. 68;
حسب صاحب كتاب مفاخر البربر فان الأمور اضطربت بالقيروان على خليفته عبد الله بن محمد الكاتب التميمي المعروف بالمختال وكاتب زيادة الله بن القاسم المكنى بأبي مضر معدا بأسباب المنافسة المؤدية الى الحرب والفتنة فتوقف بلكين من أجلها الى أن هدأت الأمور مع انقضاء سنة 363هـ (مؤلف مجهول ، ص : 13) .

7) القرطاس، ص: 56، أعمال الأعلام، 3، 221، الاستقصا، 1، 87، حسب صاحب كتاب مفاخر البربر فهو صاحب البصرة وأصيلة وأعمال قاصية سبتة (مؤلف مجهول : ص : 8) .

8) انظر : ماقبل ، ص : 233 .

بلكين بن زيري «سارع الى بيعته ونصرته وقتل أولياء المروانيين» (1) معه ، مما أثار غضب الحكم المستنصر عليه ، وما أن عاد بلكين الى إفريقية حتى جهز الحكم المستنصر جيشا وسيره اليه مع وزيره محمد ابن القاسم بن طملس سنة 362 هـ (2)/972 ـ 973 م ، الا أن جيش الحكم هزم وقتل قائده في ربيع الاول من نفس العام (3) / ديسمبر 972 ـ يناير 973 م .

فما كان على الخليفة الأندلسي إلاَّ أن يسيّر اليه قائدا آخر ، هوغالب بن عبد الرحمن ، فغادر قرطبة في آخر شوال 362 هـ (4) أوت 973 م ، وكانت له شهرة كبيرة (5) لدرجة أن ابن كنون ، عندما علم بتحركه اليه ، نقل مقره الرسمي من

---

1) القرطاس ، ص : 56 ، الاستقصا ، 1 ، 87 ، قارن مع العبر ، 2 ، 290 (ط . دوسلان) ؛ أعمال الاعلام ، 3 ، 221 ، بغية الرواد ، ص : 82 .

2) ابن حيان : المقتبس ، ص : 80 ، القرطاس ، ص : 56 ، الاستقصا ، 1 ، 87 ، يلاحظ أن ابن خلدون يتفق مرة مع بقية المصادر في تحديد تاريخ الحمْلة بسنة 362 هـ / 972 ـ 973 م (العبر ، 2 ، 290 ـ ط . دوسلان) ومرة أخرى يحدده بسنة 350 هـ / 961 ـ 962 (نفسه ، ص : 25) ويرى TERRASSE (H.) أن الحكم فعل ذلك لأن تراجع الادارسة الجديد من شأنه أن يعرض المضيق (ويعني به مضيق جبل طارق) الى زحف الجيوش الفاطمية *la politique des califes de Cerdoue au Maroc*, p. 8.) في حين يرى LÉVI-PROVENÇAL, أن المغرب لم يعد يهم الفاطميين ، وانهم سيتركونه عمليا للأمويين ، وكان بامكان الحكم الثاني ، على ما يبدو ، أن يوقف المصاريف ، اذ لم يعد هناك خوف من خطر تدخل شيعي في الأندلس ، لكن الأمركان يتعلق بسمعة قرطبة التي كان يحلو لخلفائها أن يواصلوا تحكمهم في مصير المغرب الأقصى السياسي .(*Histoire de l'Espagne musulmane*, II, 189).

3) كان ذلك بفحص نهران يوم الاحد 23 أو 24 (لسبع بقين) من ربيع الأول (ديسمبر 972 ـ يناير 973) (ابن حيان : المقتبس ، ص : 96) أو أن وقعة مهران (بالميم) كانت في آخر ربيع الأول 362 هـ (يناير 973 م) (مؤلف مجهول : مفاخر البربر ، ص : 9) أو أن الوقعة كانت بأحواز طنجة بموضع يعرف بفحص بني مصرخ (القرطاس ، ص : 56) أوفحص مصرخ (الاستقصا ، 1 ، 87) ويذكر عبد الرحمن بن خلدون مرة بأن ابن طملس قتل (العبر ، 2 ، 290 ـ ط . دوسلان) ومرة أخرى يذكر بأنه رجع الى الأندلس منهزما (العبر، 2، 25 (ط. دوسلان) ، أما يحي بن خلدون فيقول بأن ابن طملس هزم وتحصن بطنجة (بغية الرواد ، ص : 83) .

4) القرطاس ، ص : 57 ، مفاخر البربر ، ص : 9 ، الاستقصا ، 1 ، 87 ، حسب ابن حيان فقد غادرها يوم 10 رجب / أفريل ـ مايو 973 م (المقتبس ، ص : 102) .

5) العبر ، 2 ، 290 ، القرطاس ، ص : 57 ، الاستقصا ، 1 ، 87 .

مدينة البصرة الى قلعة حجر النسر (1) الأكثر مناعة (2)، ولما وصل غالب الى قصر مصمودة (3) سار إليه الحسن واشتبك جيشاهما في معارك دامت عدة أيام ثم انتهت لصالح غالب الذي دفع أموالا لرؤساء البربر (4) فتخلوا عن عدوه «حتى لم يبق إلاّ خاصته ورجاله» (5) وعندئذ اضطر أن يتقهقر الى قلعته ويتحصن بها فلاحقه غالب وحاصره.

وقد ذكر ابن حيان أنه في سنة 362 هـ/973 م «في يوم السبت للنصف من شهر شوال (يوليو ـ أوت) منها قعد الخليفة بقصر الزهراء ... فأوصل الى نفسه بني خزر المقيمين ببابه منذ أتوا مع جعفر بن علي .. فأمرهم بالتهيؤ للحاق بعسكرهم عند القائد الوزير الأعلى غالب ابن عبد الرحمن ... وذكر لهم أن بني عمهم ومن لف لفهم بالعدوة استجابوا لدعوته ونفروا في سبيله ... وكان الذين حضروا في هذا المجلس منهم زعماؤهم عبدوس بن الخير ومقاتل بن عطية ومسعود بن أبي الغمر وعبد الله بن أبي دواس وسرغين وحمليل ونظراؤهم... » (6) فمن هذا النص يتبين أن زناتة حاربت الحسن بن كنون الى جانب غالب لكن إرسال الحكم لهؤلاء الزعماء الزناتيين، في تلك الظروف، يبعث على التفكير في أن مساهمتها في تلك الحرب كانت محدودة، وأنه كان يرمي بعمله هذا الى زيادتها.

---

1) ابن خلدون: العبر، 2، 290 (ط. دوسلان)، ابن أبي زرع القرطاس، ص: 51، السلاوي، الاستقصا، 1، 87.

2) القرطاس، ص: 57.

3) يقع قرب سلا ويقابل جزيرة طريف الأندلسية (معجم البلدان، 1، 377).

4) القرطاس، ص: 57، الاستقصا، 1، 87، يقدر ابن حيان هذه الاموال بعشرة آلاف دينار بالاضافة الى الكسوة والديباج والخز والمطارف والسيوف المحلاة (المقتبس، ص: 108) ويقول ابن خلدون: بأنه بث المال في غمارة ومن مع الحسن من الجنود (العبر، 1، 290 (ط. دوسلان).

5) القرطاس، ص: 57، الاستقصا، 1، 87.

6) المقتبس، ص: 123 ـ 124، ويضيف ابن حيان قائلا بأنهم خرجوا الى المغرب يوم السبت 22 أو 23 (لثمان بقين) من شوال جويلية ـ أوت 973 م (المقتبس، 125) ووصلته رسالة من غالب بوصولهم اليه في آخر ذي القعدة سبتمبر 973 م (نفسه، ص: 129).

وبالرغم من أن كفة ميزان الحرب كانت مائلة من جهة القائد الأموي . ومع ذلك فان الحكم المستنصر لم يكتف بهذا الاجراء بل أمده بجيش آخر وضع على رأسه الوزير يحي بن محمد التجيني (1) وقد غادر القائد يحي قرطبة في اتجاه العدوة يوم الخميس 10 ذو القعدة سنة 362 (2) أوت ـ سبتمبر 973م ، وانضم بجيشه الى غالب في أول محرم 363 (3) 21 سبتمبر 974م ، وبذلك تمكّن الجيش الأموي من تشديد الحصار على قلعة حجر النسر ، مما أجبر الحسن على الاستسلام بعد أن أشترط على غالب الأمان لنفسه وأهله ورجاله وماله ، وأن يسير معه الى قرطبة (4).

والتفت غالب ، عندئذ الى من بقي من الأدارسة فأخضعهم بكل سهولة ، وقصد فاسا فاستولى عليها وولى على عدوة القرويين منها محمدا بن عليّ بن قشوش وعلى عدوة الأندلس عبد الكريم بن ثعلبة(5) ، وبعدما قطع دعوة الشيعة من المغرب الأقصى ، وبعث العمال الى مختلف مناطقه ، وصلته رسالة من الحكم يأمره فيها بالعودة الى الأندلس مع « ترك عمل المغرب لصاحبه الوزير

---

1) ابن حيان : المقتبس ، ص : 128 ، مؤلف مجهول : مفاخر البربر ، ص : 9 ، ابن خلدون : العبر ، 2 . 290 (ط . دوسلان) ، ابن أبي زرع : القرطاس ، ص : 57 ، وكان يحيى هذا صاحب الثغر الأعلى (المقتبس ، ص : 128) وقد استدعاه الحكم من قاعدته سرقسطة (مفاخر البربر ، ص : 9) .

2) المقتبس ، ص : 128 فما قبلها ، حسب صاحب كتاب مفاخر البربر فقد بعث الحكَم قائده في شهر المحرم سنة 363 هـ / أكتوبر ـ نوفمبر 973 (مؤلف مجهول ، ص : 9).

3) القرطاس ، ص : 57 ، الاستقصا ، 1 ، 87 .

4) القرطاس ، 1 ، ص : 57 ، أعمال الاعلام ، 3 222 ، الاستقصا ، 1 ، 87 .

5) العبر ، 1 ، 290 ـ 291 (ط . دوسلان) ، القرطاس ، ص : 57 ، الاستقصا ، 1 ، 87 ـ 88 . مع ملاحظة أن ابن خلدون يضيف كلمة «الجذامي» لاسم عبد الكريم بن ثعلبة كما أن السلاوي يسمى محمدا بن علي « محمد بن أبي علي » بإضافة « أبي » ، أما يحيى بن خلدون فيقول بأن يحيى ولي على المغرب كله يعلى بن محمد اليفرني المغراوي (بغية الرواد ، ص : 8) لكن يعلى كان حسب المصادر الأخرى قد قتله جوهر أثناء قيامه بحملته سنة 347 هـ / 958 ـ 959 م (أنظر : ما قبل من 229) كما يلاحظ أنه لا يمكن أن يكون يعلى هذا يفرنيا ومغراويا في آن واحد لأن مغراوة وبني يفرن قبيلتان مختلفتـان .

القائد يحيى بن محمد بن هاشم التجيبي» (1) **فانصرف غالب من فاس ومعه** الحسن بن كنون وغيره من أمراء الأدارسة (2) في آخر رمضان 363هـ/ (3) جويلية 974 م ، **فوصل بهم الى قرطبة في أول محرم 364 (4)/21 سبتمبر 974 م .**

وبقي يحيى بن محمد التجيبي واليا على المغرب الى أن استبدله حاجب الحكم ، جعفر بن عثمان المصحفي ، بجعفر بن علي الأندلسي سنة 365هـ /(5) 975 ـ 976م واستطاع جعفر أن يجمع حوله أمراء المغرب وخاصة منهم الزناتيين من بني يفرن ومغراوة (6) وبقي في منصبه الى أن استدعاه ابن أبي عامر (7) بعد

---

1) ابن حيان : المقتبس ، ص : 177 .

2) ابن خلدون : العبر ، 1 ، 291 (ط . دوسلان) . يقدر ابن أبي زرع والسلاوي رجال الحسن وأهله بـ 700 رجل (القرطاس ، ص : 57 ، الاستقصا ، 1 ، 88) .

3) القرطاس ، ص : 57 ، الاستقصا ، 1 ، 88 ، يقول ابن خلدون مرة بأن غالبا انصرف بالادارسة الى قرطبة سنة 364 هـ / 974 ـ 975 م (العبر ، 1 ، 291 (ط . دوسلان) ، ومرة أخرى يقول بأنه أزعجهم عن المغرب الى الأندلس سنة 365 هـ / 975 م (العبر ، 2 ، 25) .

4) القرطاس ، ص : 57 ، أعمال الاعلام ، 3 ، 222 ، الاستقصا ، 1 ، 88 ، مفاخر البربر ، ص : 12 .

5) جاء هذا التغيير في الوقت الذي أصيب فيه الحكم بمرض الفالج . وأصبح عاجزا عن القيام بأي نشاط سياسي فصار حاجبه المصحفي يتصرف في الأمور ورأى أن يستقدم يحيي بن محمد من المغرب ليسد به ثغور الأندلس التي أصبح العلو يهددها ، ويستبدله بجعفر بن علي الاندلسي وأخيه يحيى لأنهما أدرى بشؤن المغرب ، نظرا لكونهما منه ، ولأنهما كانا يشكلان بمن معهما من البربر مصدر تهديد على الخلافة بالأندلس لأن الحكم كان قد اعتقلهما ولما مرض أطلق سراحهما (العبر ، 2 ، 26 (ط . دوسلان) ، العبر ، 4 ، 177 ـ 178 (ط . بيروت) ، مفاخر البربر ، ص : 13 ـ 14) يرى LÉVI-PROVENÇAL. أن ثقل النفقات العسكرية على الخزينة هو ما جعل المصحفي يتخذ مثل هذا الاجراء القاضي بتعويض الجيش الأموي بجيش محلي تقدم له تنازلات على غرار التنازلات التي قدمت للجند بجنوب الأندلس ، وقد كلف جعفر وأخوه يحيى بتكوين هذا الجيش *Histoire de l'Espagne musulmane*, t. II., p. 195)

6) يذكر منهم ابن خلدون : « يلو بن يعلى أمير بني يفرن وابن عمه نوبخت بن عبد الله بن بكار ومحمد بن الخير بن خزر وابن عمه بكساس بن سيد الناس وزيري بن خزروزيري ومقاتل ابنا عطية بن تبادلت وخزرون بن محمد وفلفول بن سعيد أمراء مغراوة » العبر ، 2 ، 26 (ط . دوسلان) ، قارن مفاخر البربر ، ص : 14.

7) هو محمد بن عبد الله بن أبي عامر (ابن حيان : المقتبس ، ص : 169 ، ابن الأبار : الحلة السيراء ، 1 ، 268 ، أبو الفداء : المختصر ، 4 ، 6) من رجال اليمنية (العبر ، 4 ، 318 ـ ط. بيروت) أو القحطانية (المختصر ، 4 ، 6) أصله من الجزيرة الخضراء ، وقدم الى قرطبة وهو شاب لطلب العلم ، وتوصل الى قصر الخليفة فاصبح يتصرف في الوكالة لصبح أم هشام والنظر في أموالها وضياعها (الحلة السيراء ، 1 ، 268) وتولى علة مناصب منها خطتا الشرطة الوسطى والعليا والمواريث وقضاء كورة اشبيلية =

وفاة الخليفة الحكم المستنصر (1) ليقوي به صفه حتى يتمكن من القضاء على معارضيه في الاستبداد بالحكم (2) ، لأن الخليفة الجديد هشاما المؤيد كان عاجزا عن القيام بمهامه ، بسبب صغر سنه (3) . وقد تردد جعفر في العبور الى الاندلس بسبب مالقي بها من سوء المعاملة في المرة الأولى ، لكن ضعفه ، الناتج عن انفصال أخيه عنه واستقلاله بمدينة البصرة ، وبسبب هزيمته أمام برغواطة في إحدى حملاته ضدها ، جعله يمتثل لأوامر ابن أبي عامر بعد أن تخلى لأخيه عن عمل المغرب (4) سنة 367هـ/ (5)977ـ 978 م .

وما كاد ابن أبي عامر يسيطر على الحكم ويتقلد منصب الحجابة (6) حتى عاد الخطر الشيعي يهدد من جديد مناطق النفوذ الأندلسي بالمغرب الاقصى ، اذ أن أبا الفتوح يوسف بن زيري الذي اختفت أخباره منذ سنة 362 هـ أو 363 هـ/(7)972 ـ 973م ـ 973م وجد على ما يبدو ، في الخلافات

= ثم أضيف له منصب قضاء القضاة بالمغرب في شوال 362هـ / جويلية ـ أوت 973م (المقتبس ، ص : 123) وفي 11 شوال 363 هـ / جويلية ـ أوت 974 م عين على السكة مع محافظته على منصبي صاحب الشرطة وقاضي اشبيلية (المقتبس ، ص : 169 ـ 170) واستوزره الحكم لابنه هشام (العبر ، 4 ، 319 (ط . بيروت) الذي كان سنه عشر سنوات عند موت أبيه فتولى حجابته وتنفيذ أموره (المختصر ، 4 ، 6 وقد لقب بالحاجب المنصور بعدما سيطر على الحكم وبني مدينة الزهرة (العبر ، 4 ، 320) (ط . بيروت) ، وذلك سنة 369 هـ / 979 ـ 980 م (مفاخر البربر ، ص : 16) أوسنة 371 هـ / 981 ـ 982 م (البيان ، 2 ، 279) وقد سيطر على الحكم حتى مات .

1) توفي في صفرسنة 366 هـ / جويلية ـ أوت 976 م (الحلة السيراء ، 1 ، 200) .
2) عن هذا الموضوع انظر : العبر ، 4 ، 318 فما بعدها (ط . بيروت) ، البيان ، 2 ، 256 فما بعدها من عدة صفحات .
3) كان سنه عندما بويع بالخلافة عشر سنوات (المختصر ، 4 ، 6) أو احدى عشرة سنة وثمانية أشهر (البيان ، 2 ، 253) .
4) العبر ، 2 ، 26 ـ 27 (ط . دوسلان) ، العبر ، 4 ، 179 (ط . بيروت) ، مفاخر البربر ، 15 .
5) مفاخر البربر ، ص : 15 .
6) أنظر : ما قبل ، ص : 249 هامش 7 .
7) أنظر : ما قبل ، ص : 244 فما بعدها ، لم يعرف من أخباره بعد الحملة التي قام بها آنذاك سوى أنه بعث سنة 367هـ / 977 ـ 978م بطلب من الخليفة نزار بن المعز أن يضيف اليه عمل طرابلس (العبر ، 2 ، ص : 200 (ط . دوسلان) ، المؤنس ، ص : 76) وعقد له عليها في نفس العام (البيان ، 1 ، 230) فرحل عنها عبد الله بن يخلف الكتامي ، وعين عليها أبو الفتوح واليامن قبله (العبر ، 2 ، 200 =

السياسية التي كانت قرطبة مسرحا لها (1) فرصة للقيام بحملة على تلك المناطق (2) فزحف عليها سنة 369 هـ / (3) 979 ـ 980 م بجيوش يصفها ابن عذاري بأنها «ضخمة»(4) ويقدر صاحب كتاب مفاخر البربر عددها بـ «ستة آلاف فارس لا زيادة»(5) فاستولى على فاس (6) ثم توجه الى سجلماسة.

وكان «خزرون بن فلفول أحد عظماء زناتة ملوك بني خزر» (7) قد قتل أميرها المدراوي المعتز بالله، واستولى عليها ثم أقام فيها الدعوة لهشام المؤيد فولاه عليها (8) الى أن قام أبو الفتوح بحملته هذه و «غزا جموع زناتة بسجلماسة

= اسمه تمصولت بن بكار نقله اليها من ولاية بونة (العمر، 2، 56)، ويرى BASSET (R.), أن نزارا فعل ذلك مكافأة لابي الفتوح عن الحملة التي قام بها الى المغرب ضد زناتة (انظر: E.I. (*art.* Bulukkin). t. I, p. 812.

1) عن هذه الخلافات، انظر: ابن عذاري: البيان، 2، 259 فما بعدها من عدة صفحات، ابن خلدون: العبر، 4، 318 فما بعدها (ط. بيروت).

2) يرى Dozy R. أن أبي عامر اقتنع عندما أقام بالمغرب بصفته قاضي قضاة بأن الاحتفاظ بهذه المناطق البعيدة والفقيرة يكلف الاندلس أكثر مما يفيدها وهذا ما جعله فيما بعد، يقتصر على تعزيز حامية سبتة، ويترك باقي المناطق للأمراء الأهالي وفي المقابل تعهد أن يغدق عليهم كل أنواع السخاء،وهذه السياسة كانت رشيدة بالنسبة للأندلس ولكنها خطيرة بالنسبة للمغرب الذي ترك لامكانياته الخاصة ولما رأى بلكين ذلك قام بحملة عليه *Histoire des Musulmans d'Espagne*, t. 2, pp. 229-230)

3) العبر، 2، 27 وهنا وهناك، الاستقصا، 1، 90، يحدد ابن عذاري تاريخ هذه الحملة مرة بسنة 367 هـ / 977 ـ 978 م (البيان، 1، 230 ـ 231) ومرة أخرى بسنة 368 هـ / 978 ـ 979 م (البيان، 1، 231) ويتفق معه صاحب كتاب مفاخر البربر في التحديد الاخير (مؤلف مجهول: ص: 3) لكنه يحدده مرة أخرى سنة 369 هـ / 979 ـ 980 م (مؤلف مجهول: ص: 17) أما بن الأثير فيحدده بسنة 365 هـ / 975 ـ 976 م (الكامل، 7، ص 78، انظر: *Annales du Maghreb et de l'Espagne*, p. 378.

4) البيان، 1، 231.

5) مؤلف مجهول: ص: 17.

6) العبر، 2، 200 (ط. دوسلان)، البيان، 1، 23، الكامل، 7، 78، حسب السلاوي فقد قتل عامليها محمد بن أبي علي بن قشوش صاحب عدوة القرويين وعبد الكريم بن ثعلبة صاحب عدوة الاندلس واستعمل عليها ابن عامر المكناسي (الاستقصا، 1، 90).

7) مفاخر البربر، ص: 16.

8) اختلفت المصادر في تحديد تاريخ قتل خزرون للمعتز واستيلائه على سجلماسة اذ يحدده ابن الأثير برمضان سنة 365 هـ / مايو ـ جوان 976 م (الكامل، 7، 78) ويحدده ابن خلدون بسنة 366 هـ / 976 ـ 976 م (العبر، 2، 26 (ط. دوسلان) ولا يشير الى قتل المعتز، ويحدده ابن عذاري وصاحب كتاب مفاخر البربر بسنة 367 هـ / 977 ـ 978 م (البيان، 1، 230، مؤلف مجهول: ص: 16) وكان رعاياه من الخوارج (العبر، 2، 51 ـ 52 ـ ط. دوسلان) الأباضية (مفاخر البربر، ص: 16).

وأوقع بهم وتقبض على ابن خزر أمير مغراوة فقتله (1) » وأستولى أيضا على أرض الهبط (2)، وبعدها سار الى سبتة حيث لجأ الأمراء الموالون لحكام الأندلس خاصة الزناتيين «مثل بني يعلى بن محمد اليفرني وبني عطية بن عبد الله بن خزر فلفول ابن خزر ويحيي بن علي بن حمدون صاحب البصرة» (3) وأرسلوا أحدهم هو محمد ابن الخير، يطلب النجدة من ابن أبي عامر (4) الذي قدر خطورة الموقف فانتقل من قرطبة الى الجزيرة الخضراء (5) حيث سلم مائة حمل من المال الى جعفر بن علي بن حمدون الأندلسي (6) وسيره على رأس الزناتيين الذين كانوا في حضرته (7) لقيادة الحرب ضد الأمير التلكاتي، فوصل « الى سبتة في أتم قوة وأظهر عدة (8) وانضم اليه الأمراء الزناتيون وتجمعوا بساحة سبتة استعدادا للقتال (9).

وتقدم أبو الفتوح حتى أطل عليهم من جبل تيطاوين (10) (تطوان) ورأى استعداداتهم واستمرار وصول الامدادات اليهم من الأندلس (11) «فوقف نصف

1) ابن خلدون: العبر، 2، 200 (ط. دوسلان)، يلاحظ كل من ابن الأثير وابن عذاري أن أبا الفتوح استولى على فاس وسجلماسة وأرض الهبط وطرد عمال بني أمية (الكامل، 7، 78، البيان، 1، 23) دون أن يشير الى قتل أمير مغراوة كما أن ابن خلدون يذكر في مكان آخر أن خزرون كان حيا سنة 375هـ / 985-986م (العبر، 2، 41 (ط. دوسلان).

2) الهبط: هي نفس منطقة الغرب بالمغرب الأقصى .(*Dictionnaire de biographie*, t. 1, p. 1332).

3) العبر، 2، 200 (ط. دوسلان)، قارن بمفاخر البربر، ص: 17.

4) العبر، 2، 39 (ط. دوسلان)، الاستقصا، 1، 90.

5) هي مدينة أندلسية مقابلة لسبتة، وأعمالها متصلة باعمال شذونة، تقع على نهر برباط شرق شذونة وجنوب قرطبة التي تبعد عنها بـ 55 فرسخا، ويضرب البحر بسورها وهي متصلة ببر الاندلس وهي من أجود موانيء الاندلس (معجم اللبلدان، 2، 75) وقد سميت بالجزيرة الخضراء نسبة الى الجزيرة الخضراء المقابلة لها والواقعة في الخليج المحصور بين رأس كارنيروس CARNEROS ورأس أوربا وتسمى بالاسبانية *Algesiras* وقد سميت أيضا جزيرة أم حكم نسبة إلى امرأة دخلت الأندلس مع طارق بن زياد ثم تركها لها ارثا (E.I. (*art.* Al-Djazira Al-Khadra) t.2, pp. 537-538, Nelle. édition

6) العبر، 2، 201 (ط. دوسلان)، الاستقصا، 1، 89، قارن بمفاخر البربر، ص: 17.

7) العبر، 2، 200 ـ 201 (ط. دوسلان).

8) مفاخر البربر، ص: 17، تذكر بعض المصادر أنه لما حاصر أبو الفتوح سبتة قتل ابن أبي عامر جعفر ابن علي وبعث له برأسه ليسترضيه (البيان، 1، 231، المؤنس، 76).

9) العبر، 2، 39 (ط. دوسلان)، الاستقصا، 1، 90، قارن بمفاخر البربر، ص: 17.

10) العبر، 2، 39 ـ 40 (ط. دوسلان)، الاستقصا، 1، 90، حسب صاحب كتاب مفاخر البربر قد أشرف على معسكرهم من أعلى جبل النور (مؤلف مجهول: ص: 17).

11) العبر، 2، 201 (ط. دوسلان)، مفاخر البربر، ص: 17.

نهار لينظر من أي جهة يحاصرها ويقاتلها فرأى أنها لا تؤخذ الا بأسطول» (1) مما جعله ينصرف عنها (2) إلى مدينة البصرة ، و« كانت دار ملك ابن الأندلسي» (3) يحيى ، منذ أن انشق عن أخيه جعفر (4) فنهبها (5) وهدمها (6) ومنها انتقل الى أصيلا (7) ثم الى برغواطة حيث دخل معها في حرب شغلته عن زناتة (8) لدرجة أن رفعت « حالة الطواريء » عن سبتة ورجع جعفر بن علي من حيث أتى (9) وعاد الزناتيون الى مواطنهم (10) .

---

1) ابن الأثير : الكامل ، 7 ، 78 ، قارن مع ابن عذاري : البيان ، 1 ، 231 .

2) تذكر مصادر أخرى أن انصرافه كان بسبب خوفه مما رآه من كثرة الجيش الأموي والامدادات التي كانت تصل الى سبتة (العبر ، 2 ، 201 (ط . دوسلان) ، مفاخر البربر ، ص : 17 ، الاستقصاء ، 1 ، 90) .

3) العبر ، 2 ، 201 (ط . دوسلان) ، حسب السلاوي فقد كانت بها حامية أهل الأندلس (الاستقصا ، 1 ، 90) حسب ابن أبي دينار فان البصرة التي بالمغرب هي التي يقال لها أصيلة (بالتاء) في زمننا هذا (المؤنس ، ص : 76) .

4) أنظر : ما قبل ، ص : 250 .

5) الكامل ، 7 ، 87 ، المؤنس ، ص : 76 .

6) الكامل ، 7 ، 87 ، البيان ، 1 ، 231 ، الاستقصا ، 1 ، 90 .

7) البيان 1 ، 232 .

8) العبر ، 2 ، 40 وهنا وهناك ، البيان ، 1 ، 238 ـ 239 ، مفاخر البربر ، ص : 18 ، وكان النصر في هذه الحرب لأبي الفتوح (الكامل ، 7 ، 78 ، البيان ، 1 ، 237) : وقتل فيها الملك البرغواطي عيسى بن أبي الانصار (العبر ، 2 ، 201) : أوصالح بن عيسى (البيان ، 1 ، 237) .

9) يذكر ابن خلدون أن ابا الفتوح رجع «الى غزوه الى أن هلك سنة ثلاث وسبعين ... ورجع جعفر الى مكانه من ابن أبي عامر» العبر ، 2 ، 27 (ط . دوسلان) ، ويذكر صاحب كتاب مفاخر البربر أنه (أي أبو الفتوح) انشغل بحرب برغواطة « الى أن هلك في سنة 373 هـ ... وجاز جعفر راجعا الى ابن أبي عامر ... » (مؤلف مجهول : ص : 18) مما يستنتج منه أن جعفرا عاد الى الاندلس سنة 373 هـ / 983 ـ 984 م أو بعدها لكن ابن عذاري يحدد تاريخ اغتيال ابن أبي عامر لجعفر بها (أي بالأندلس) بـ 4 شعبان 372 هـ / يناير ـ فبراير 983 م (البيان ، 2 ، 280) وبالتالي يكون دخوله اليها سنة 372 هـ / 982 ـ 983 م أو قبلها ، ويذكر ابن حلكان أن جعفرا قتل سنة 364 هـ / 974 ـ 975 م (وفيات الأعيان ، 1 ، 311 ـ 312) .

10) أنظر : HADY ROGER IDRIS : *La Berbérie orientale sous les Zirides*, p. 57.

حسب DOZY فان البربر الذين تجمعوا بسبتة وجدوا أنفسهم في ضيق شديد ، وبما أن بلكين أخذ منهم كل ما كانوا يملكونه ، تقريبا ، لم يعرفوا ماذا يفعلون في المستقبل ، مما أتاح فرصة هائلة للوزير الاندلسي كي يحصل ، مرة واحدة على عدد كبير من الفرسان الممتازين ، لم يضيعها وكتب الى البربر ليقول لهم بأنهم اذا رغبوا في خدمة الاندلس ، عليهم أن يتأكدوا أنه لن ينقصهم =

وبلغ أبا الفتوح أن واندين بن خزرون (1) هزم عامله على سجلماسة (2) فتحرك اليه ، وأثناء ذلك أصابه مرض وهلك في ذي الحجة 373هـ(3) مايو-جوان 984م، في الوقت الذي أستولى فيه زيري بن عطية بن عبد الله بن خزر على فاس وتغلب على المغرب (4) ، وتولى أمر بني زيري بعد وفاة بلكين ابنه أبو الفتح المنصوروذلك أوائل سنة 374هـ(5)/ 984م وكان قبل ذلك « واليا بأشير وصاحب عهد

= أي شيء وأنهم سيتقاضون مرتبات كبيرة فاستجابوا له جماعيا ، ورضي أمير الزاب جعفر بن علي بوعوذ الوزير البراقة فالتحق بالأندلس *Histoire des Musulmans d'Espagne*, t. 2., p. 230).

1) هوواندين بن خزرون بن فلفول تولى أمر سجلماسة بعد أبيه (العبر ، 2 ، 51 ـ 52 (ط . دوسلان) ، ويكتفي ابن عذاري بتسميته ابن خزرون (البيان ، 1 ، 239) أما ابن الأثير فيسميه خزوون الزناتي (الكامل ، 7 ، 121) .

2) لم تذكر المصادر اسم هذا العامل ، ويذكر ابن خلدون أن واندين دخل سجلماسة عنوة وأخذ عامل أبي الفتوح وما كان معه من المال والذخيرة (العبر ، 2 ، 52 (ط . دوسلان) ، أما ابن الأثير فيقول بأن خزرون الزناتي طرد نائب أبي الفتوح ودخلها (الكامل ، 7 ، 121) .

3) البيان ، 1 ، 239 ، الكامل ، 7 ، 121 ، المؤنس ، ص : 79 ، العبر ، 2 ، 201 وهنا وهناك (ط . دوسلان) ، ويلاحظ أن ابن خلدون يذكر في مكان آخر أنه توفي سنة 372 هـ / 982 ـ 983 م (العبر ، 2 ، 40 (ط . دوسلان) ، وقد اختلفت المصادر في تحديد مكان وفاته : فمنها من يقول بأنه توفي بواركسن ، ما بين سجلماسة وتلمسان ، عندما كان منصرفا من المغرب (العبر ، 2 ، 201) ومنها من يقول بأنه توفي في موضع يقال له واركنفو وهو في طريق سجلماسة (البيان ، 1 ، 239) ومنها من يقول بأنه توفي بوارقلين (الكامل ، 7 ، 121) أوواركلان (المؤنس ، 77 ، نزهة الأنظار ، ص : 138) .

4) العبر ، 2 ، 52 ، حسب ابن الأثير فان زيري بن عطية الزناتي تغلب على فاس في نفس الوقت الذي تغلب فيه خزرون الزناتي على سجلماسة (الكامل ، 7 ، 121) وكان زيري هذا ملك على زناتة منذ 368 هـ / 978 ـ 979 م وأقام الدعوة لهشام المؤيد وحاجبه المنصوربن أبي عامر(القرطاس ، ص : 63 ـ 64 ، ابن القاضي ، جذوة الاقتباس فيمن حل من الاعلام بمدينة فاس ، ص : 124) ، حسب Mercier. E. فقد نتج عن حملة بلكين هذه تحركات هامة لسكان المغرب فصنهاجة توسعت غربا وجنوبا وطردت أمامها زناتة فارتمى بعضها في الصحراء ، وبعضها الآخر مثل مغراوة اتجهوا نحو الغرب مغتصبين أراضي مكناسة ثم ان مجموعات عديدة ، لم تجد لها مكانا تلجأ اليه ، عبرت الى الاندلس *Histoire de l'établissement des Arabes dans l'Afr. septentrionale*, pp. 120.121.

5) البيان ، 5 ، 239 .

أبيه » (1) فلما بلغه خبر موته ، انتقل الى رقادة حيث بعث هدية الى الخليفة الفاطمي العزيز بالله نزار (2) فتقبلها و« قلده ... أمر افريقية والمغرب » (3) .

نشاط زناتة في عهد المنصور بن بلكين :

عين أبو الفتح أخاه أبا البهار على ولاية تاهرت وأخاه يطوفت على أشير وكلفه بقيادة حملة على المغرب الأقصى لاسترداده من زناتة (4) فانطلق يطوفت في نفس العام ، أي سنة 374هـ/984 ـ 985م ، لكن صاحب فاس ، زيري ابن عطية ، اعترض سبيله وناشبه قتالا هزمه فيه ، ولم يعد المنصور بعدذلك الى غزو زناتة (5) .

ومما يلفت نظر الباحثين هنا ، ألا تشير المصادر الى وجود أية علاقة لهذه الحملة بالحسن بن كنون ، مع أن هذا الأخير كان قد نفي ، مع أتباعه العلويين ، **من الأندلس سنة 365 هـ (6)/975 ـ 976م الى مصر حيث خصه العزيز بالله نزار** باستقبال لائق وأبقاه الى جانبه حتى سنة 373 هـ/ 983 ـ 984 م ، وعندئذ سرحه

---

1) العبر ، 2 ، 1ج2 (ط . دوسلان) .

2) الكامل ، 7 ، 121 ، المؤنس ، 78 ، هو العزيز بالله نزار المكنى بأبي منصور ، خامس الخلفاء الفاطميين ، وأول من بدأت خلافته بمصر منهم ، ولد يوم 14 محرم 344 هـ / 10 مايو 955 م ، وتولى الخلافة بعد موت أبيه في 2 ربيع الثاني 365 هـ / 18 ديسمبر 975 م أو 14 ربيع الثاني / 21 ديسمبر) وتوفي في 28 رمضان 149 أكتوبر 996 م عنه انظر : E.I. (*art.* Al-Aziz Bi-Allah Nizar Abu Mansour) t. I. p. 246. Sqq. Nelle éd.

3) العبر ، 2 ، 201 (ط . دوسلان) .

4) العبر ، 2 ، 201 (ط . دوسلان) .

5) نفسه ، قارن بالبيان ، 1 ، 240 ـ 241 ، الكامل ، 7 ، 128 ، المؤنس ، 78 . العبر ، 2 ، 201 ـ 202 ، المؤنس ، 78 ، البيان ، 1 ، 241 ، انظر : HADY ROGER IDRIS *Op. cit.*, p. 64. حسب JULIEN (CH-A.), فان المنصور بعدما فشل في اعادة سيطرته على فاس وسجلماسة ترك كل المغرب (غرب بلاد المغرب) لأعدائه القدماء وللدكتاتور الأندلسي المنصور ابن أبي عامر وأقام معهم علاقات لائقة وبذلك تكون توازن نسبي بين زناتة وصنهاجة *Histoire de l'Afrique du Nord*, t. II. pp. 68-69.

6) أخرجهم من الأندلس الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي لأستثقاله نفقاتهم (العبر،2،291(ط . دوسلان) ، مفاخر البربر ، ص : 14 ـ 15) أو أن ذلك حصل بسبب استياء العلاقة بين الحسن والخليفة الحكم بسبب قطعة عنبر كانت للحسن تسمى المسورة يتوسد عليها وبلغ الحكم خبرها فسأله أياها فرفض الحسن مما أثار غضب الخليفة فنكبه وأخذ أمواله وذخيرته ومن جملتها تلك العنبرة وأخرجه من الأندلس (أعمال الاعلام ، 3 ، 222 ـ 223) ، ويقول ابن أبي زرع بهذا الراي الأخير ويضيف اليه بأن الحكم فعل ذلك ليستريح من نفقات العلويين (القرطاس ، ص : 58) ، انظر الاستقصا ، 1 ، 88) والرأي الأخير ، على ما يبدو ، أقرب الى الصواب .

الى المغرب (1) وكتب الى أبي الفتوح يأمره أن يقويه على أمره ، فقدم له مساعدة (2) ومضى لسبيله ثم توفي أبو الفتوح بعد ذلك (3) . فعندما حاول المنصور بن بلكين أن يستعيد سيطرته على المغرب ، كان ابن كنون موجودا به اذا ومع هذا لم يكن بينهما أي تعاون ، اذ شغل الأول عن أمر الثاني وأخذ الثاني يدعو لنفسه (4) «وانضم اليه يدّو بن يعلى بن محمد اليفرني وأخوه زيري وابن عمه أبو يداش فيمن اليهم من بني يفرن» (5) وأصبح يشكل خطرا على النفوذ الأندلسي في المنطقة .

وكان المنصور بن أبي عامر قد «استعمل ... ابن خلد ... المعروف بابن برطال على سبتة» (6) بعد عودة جعفر بن علي اليه ، واقتصر على ضبطها وترك بقية المناطق لأمراء زناتة (7) ثم تدارك الوضع في الوقت المناسب فأنفذ اليه ابن عمه

---

1) حسب صاحب كتاب مفاخر البربر فان الحسن رغب في العودة الى وطنه فكلم في ذلك ابن كلس وزير نزار في الأمر ، وكان هذان الأخيران أحبا الراحة منه ومن أهله والتخفيف من نفقاتهم لذلك فان سرّح حسنا إلى المغرب بأمر من الخليفة وكتب إلى بلكين بإنفاذه إلى المناطق الغربية وإعانته على المغرب ما يحاوله(مؤلف مجهول: ص 19 وتذكر مصادر أخرى أن نزار بعث حسنا بعدما كتب له بعهده (مؤلف مجهول : ص : 58 ، اعمال الاعلام ، 3 ، 223 ، الاستقصا ، 1 ، 88) دون اشارة الى الكلام السابق ، حسب ابن خلدون فان نزاربعث الحسن لاسترجاع ملكه بالمغرب (المغرب ، 2 ، 41) (ط . دوسلان) .

2) اختلفت المصادر في نوع المساعدة التي طلبها نزار من ابي الفتوح وفيما قدمه هذا الأخير الى الحسن ، فبعضهم تذكر أن نزارا طلب من بلكين تقوية ابن كنون بالجيوش فاعطاه ثلاثة آلاف فارس (القرطاس ، 58 . الاستقصا ، 1 ، 88 ، قارن بأعمال الاعلام ، 3 ، 223) ، وبعضها يذكر أنه طلب منه اعانته هو ومن معه على ما يحاولونه (مفاخر البربر ، ص : 19) أو أنه طلب منه أن يمده بالمال والسلاح (العبر ، 2 ، 27 (ط . دوسلان) ، فأمضاه لسبيله بعد أن أعطاه مالا ووعده باضعافه له بعد ظهور الدعوة (مفاخر البربر ، 19 ، العبر ، 2) ط . دوسلان) .

3) العبر ، 2 ، 27 (ط . دوسلان) ، مفاخر البربر ، ص : 19 .

4) العبر ، 2 ، 27 (ط . دوسلان) ، مفاخر البربر ، ص : 19 .

5) العبر ، 2 ، 14 ، (ط . دوسلان) ، انظر الاستقصا ، 1، 90 .

6) مفاخر البربر ، ص : 18 ، حسب ابن خلدون فان المغرب بقي بعد رجوع جعفر غفلا من الولاية (العبر ، 2 ، 4 (ط . دوسلان) .

7) العبر ، 2 ، 40 (ط . دوسلان) ، مفاخر البربر ، ص : 16.

أبا الحكم عمرو بن عبد الله بن أبي عامر الملقب بعسكلاجة (1) على رأس « جيش كثيف » (2) وولاه على المغرب كله (3) وذلك سنة 375 هـ (4) / 985 ـ 986 م ، فلما صار بأرض المغرب انضم « اليه ملوك آل خزر محمد بن الخير (5) ومقاتل وزيري ابنا عطية وخزرون بن فلفول (6) في جموع مغراوة ... وزحف بهم ... الى الحسن بن كنون » (7) فحاصره .

وكان ابن أبي عامر قد خرج الى الجزيرة الخضراء « في ربيع الأول سنة 375 هـ (8) / 985 ـ 986 م ليراقب عن كثب تطور الأحداث (9) فأمد ابن عمه بجيش آخر (10) واضطر ابن كنون في النهاية الى الاستسلام ، بعدما اشترط على عسكلاجة أن يؤمنه ويلتحق بالأندلس (11) وقد وَفَّى أبو الحكم بعهده لكن ابن عمه المنصور بعث الى الحسن من يقتله وهو في طريقه اليه (12) في جمادي

---

1) العبر ، 2 ، 27 وهنا وهناك (ط . دوسلان) ، الحلة السيراء ، 1 ، 277 ،القرطاس ، ص : 57 ، الاستقصا ، 1 ، 88 ، يسميه صاحب كتاب مفاخر البربر عمر (مؤلف مجهول ، ص : 19) لاعمرو.

2) القرطاس ، ص : 58 ، أعمال الأعمال ، 3 ، 223 ، الاستقصا ، 1 ، 88 .

3) القرطاس ، ص : 58.

4) العبر ، 2 ، 27 (ط . دوسلان) ، البيان ، 2 ، 281.

5) يسميه السلاوي محمد بن الخير الاصغر (الاستقصا ، 1 ، 90).

6) يذكر ابن خلدون في مكان آخر أن بلكين بن زيري قد قتله (أنظر : ما قبل ، ص : 249 ـ 250) .

7) العبر ، 2 ، 41 (ط . دوسلان) ، الاستقصا ، 1 ، 90 .

8) مفاخر البربر ، ص ، 19 ـ 20 .

9) نفسه ، العبر ، 2 ، 27 (ط . دوسلان).

10) حسب ابن الخطيب فان عسكلاجة طلب امدادات من ابن أبي عامر فأمده بابنه عبد الله (أعمال الاعلام 3 ، 223) ويؤيده في هذا صاحب كتاب مفاخر البربر مضيفا بأنه أرسل معه محمدا بن أحمد بن جابر بالأموال ، وصهره الوزير عبد الرحمن بن محمد التجيبي وغيره ... (مؤلف مجهول : ص : 20) أما ابن أبي زرع فيقول بأن المنصور أمده بابنه عبد الملك (القرطاس ، ص : 59) ويؤيده السلاوي (الاستقصا ، 1 ، 88) ويرى محققا أعمال الاعلام أن المنصور يكون قد أرسل ولده عبد الله وليس عبد الملك لان هذا الاخير كان صبيا في الثانية عشر من عمره (اعمال الأعلام ، 3 ، 223 ، هامش 5)

11) القرطاس ، 58 ، أعمال الأعلام ، 223 ـ 224 ، الاستقصا ، 1 ، 88 .

12) القرطاس ، ص : 58 ، أعمال الأعلام ، 3 ، 224 ، الاستقصا ، 1 ، 89 ، وقد فعل المنصور ذلك لأنه رأى الا ذمة له لكثرة نكثه (العبر ،2، 27(ط. دوسلان) ، مفاخر البربر ، ص : 20) .

الأولى سنة 375 هـ (1)/سبتمبر ـ أكتوبر 985م ، مما أثار غضب عسكلاجة حتى أنه « استراح الى الجند بأقوال نميت عنه الى المنصور فاستدعاه من العدوة وألحقه بمقتوله » (2) ثم ولي بدلا منه ، على المغرب ، الوزير حسن بن أحمد بن عبد الودود السلمي وأنفذه اليه سنة 375هـ (3) / 985 ـ 986م .

وقد ذكر ابن خلدون أنه بعدما قتل بلكين بن زيري الخير (بن محمد بن الخير ابن محمد بن خزر) قام بأمر زناتة ابنه محمد وعمه يعلى بن محمد وغلبهما مقاتل وزيري ابنا عطية بن عبد الله بن خزر على رئاسة مغراوة (4) ، وعندما أنفذ المنصور حسنا بن أحمد الى عمله « أستوصاه بملوك مغراوة من زناتة واستبلغ بمقاتل وزيري من بينهم لحسن انحياشهم وصاغيتهم » (5) فخص العامل الأموي « مقاتلا وزيري ... بمزيد من التكرمة ولحق نظراءهما من أهل بيتهما الغيرة من ذلك فنزع سعيد بن خزرون بن فلفول بن خزر الى صنهاجة سنة سبع وسبعين (377هـ/987 ـ 988م) منحرفا عن طاعة الأموية » (6).

فعند وصول حسن الى مقر عمله بالمغرب اذا ، كان أمراء قبيلة مغراوة الزناتية يتنافسون على رئاستها فأيد الأخوين مقاتلا وزيري بني عطية على غيرهما. بأمر من المنصور بن أبي عامر ، مما كان السبب في تخلي سعيد بن خزرون بن فلفول عن تأييد الأمويين ولجوئه الى أبي الفتح بن بلكين ، فوفد عليه وهو بأشير

---

1) القرطاس ، ص : 58 ـ 59 ، أعمال الأعلام ، 3 ، 324 ، مفاخر البربر ، ص : 20 ، الاستقصا ، 1 ، 89 .

2) العبر ، 2 ، 27 (ط . دوسلان) ، حسب ابن الأبار فان المنصور قتل عسكلاجة في جمادي الاخرة أكتوبر ـ نوفمبر لتنقصه أياه وغضه منه وتسخيه عليه واحتجاز الأموال دونه (الحلة السيراء ، 1 ، 277 ـ 278) ، انظر : القرطاس ، ص : 63 ـ 64 ، الاستقصا ، 1 ، 90 .

3) العبر ، 2 ، 27 ـ 28 وهنا وهناك (ط . دوسلان) مفاخر البربر ، ص : 21.

4) ابن خلدون : العبر ، 2 ، 61 (ط . دوسلان).

5) نفسه ، ص : 41 .

6) ابن خلدون : العبر ، 2 ، ص : 54 (ط . دوسلان) ، في مكان آخر يتفق ابن خلدون مع كل من ابن الأثير وابن عذاري على أنّ لجوء سعيد بن خزرون الى صنهاجة كان سنة 379 هـ / 989 ـ 990 م (العبر ، 2 ، (ط . دوسلان ، البيان . 1 ، 244 ، *Annales du Maghreb et de l'Espagne*, p. 398).

فأحسن استقباله وولاه على عمل طبنة (1) مما شجع الكثير من الزناتيين على الالتحاق به (2) وبقي سعيد على وفائه لبني زيري الصنهاجيين حتى مات سنة 381 هـ (3) / 991 ـ 992 أو 382 هـ (4) / 992 ـ 993 م ، أثناء قيامه بزيارة الى المنصورية . وقدم ابنه فلفول (5) ، بعد ذلك ، على أبي الفتح المنصور ، وهو بعاصمته ، فبالغ في إكرامه وزف اليه إحدى بناته (6) ثم عينه خلفا لأبيه ، فعاد الى طبنة (7) واستقرت أحواله بها ولما توفي المنصور سنة 385 هـ (8)/995 ـ 996 م أو 386 هـ (9) / 996 م وولى ابنه أبو مناد باديس الملقب بنصير الدولة (10) تركه في منصبه (11) .

وقد انفرد زيري بن عطية برئاسة مغراوة بعد وفاة أخيه مقاتل (12) سنة 378 هـ (13) 988 ـ 989 م ، إلا أن المصادر تختلف في عرض تفاصيل الأحداث التي عرفها المغرب الأقصى في عهده ، خاصة ، فيما يتعلق بتحديد تاريخها :

1) العبر ، 2 ، 54 (ط . دوسلان) ، البيان ، 1 ، 246 *Annales du Maghreb et de l'Esp*, p. 398;246

2) العبر ، 2 ، 202 ، البيان ، 1 ، 246 .

3) العبر ، 2 ، 54 (ط . دوسلان) *Annales*, p. 399

4) البيان ، 1 ، 246 .

5) هكذا يكتب اسمه ابن خلدون (العبر ، 2 ، 54 وهنا وهناك (ط . دوسلان) لكن ابن الأثير وابن عذاري يكتبانه فلفل (بدون واو) انظر (الكامل ، 7 ، 199 ، البيان ، 1 ، 250 ـ 251) .

6) العبر ، 2 ، 54 (ط . دوسلان) ، يتفق ابن خلدون مع ابن عذاري أيضا على أن المنصور عقد لفلفول على احدى بناته ، عندما اتصل به أبوه لأول مرة (العبر ، 2 ، 54 ، البيان 1 ، 244) .

7) العبر ، 2 ، 54 ، البيان ، 1 ، 246، *Annales*, p. 399.

8) ابن خلدون : العبر ، 2 ، 54 (ط . دوسلان) ، حسب ابن الخطيب فانه مات سنة 395 هـ / 1004 ـ 1005 م (أعمال الأعلام ، 3 ، 68) .

9) يتفق ابن عذاري وابن أبي دينار على أنه مات يوم الخميس 4 ربيع الأول 386 هـ / مارس ـ أبريل 996 م (البيان ، 1 ، 247 ، المؤنس ، ص 79).

10) مؤلف مجهول : مفاخر البربر ، ص : 23 ، عنه انظر: E.I. (*Art.* Bàdis. B. Al-Mansùr), t. I., p. 884, Nelle édition.

11) العبر ، 2 ، 55 (ط . دوسلان) .

12) العبر ، 2 ، 41 (ط دوسلان) ، حسب صاحب كتاب مفاخر البربر فان زيري انفرد برئاسة زناتة (مؤلف مجهول : ص : 22).

13) العبر ، 2 ، 41 (ط . دوسلان) .

فبعضها يذكر أن ابن أبي عامر أراد أن «يختبر طاعته» (1) كما فعل قبل ذلك مع الحسن بن أحمد بن عبد الودود (2) وأن يغري يدو بن يعلى اليفرني بمنافسته (3) فاستدعاه الى قرطبة فاستجاب زيري لدعوته وسافر اليه (4) بعدما عين ابنه المعز لينوب عنه في تسيير شؤون الحكم بالمغرب أثناء غيابه ، وأنزله مدينة تلمسان (5) .

ورغم أن الزيارة تمت في ظروف جد حسنة (6) إلا أن نتيجتها كانت سلبية على العلاقة بين ابن أبي عامر وزيري لأن هذا الأخير ، حسب أغلب المصادر ، استقلَّ ما وصله به المنصور (7) « واستقبح اسم الوزارة الذي سماه بها » (8) ولم يخف استياءه عندما عاد الى المغرب ، بل إنه بمجرد نزوله بطنجة وضع

1) مفاخر البربر ، ص : 22 ، حسب ابن خلدون فانه استدعاه اشادة بتكريمه (العبر ، 2 ، 41 (ط . دوسلان) .

2) يتفق ابن خلدون وصاحب كتاب مفاخر البربر على أن ابن أبي عامر لما رأى ابن عبد الودود نجح في تنظيم المغرب وتقوية نفسه بعد انضمام القبائل اليه ، خشي أن يدفعه ذلك الى التمرد عليه فبعث يستدعيه في السر فأسرع بالمجيء اليه فازداد ثقة به ورده الى عمله (العبر ، 2 ، 28 (ط . دوسلان)، مؤلف مجهول : ص : 21 _ 22) .

3) العبر ، 2 ، 41 (ط . دوسلان) ، مفاخر البربر ، ص : 21 .

4) تختلف المصادر في تحديد تاريخ هذا السفر فتجعله سنة 379هـ / 989 - 990م (العبر ، 2 ، 28 ، البيان ، 1 ، 252 أو قبل 380 هـ / 990 _ 991 م (مفاخر البربر ، ص :22) أوسنة 381 هـ / 991 _ 992 م (العبر ، 2 ، 41 (ط . دوسلان) ، أوسنة382 هـ / 992 م - 993 م (القرطاس، ص : 64 ، أعمال الأعلام ، 3 ، 157 ، الاستقصا ، 1 ، 91) أو383هـ/ 993- 994 (العبر ، 2 ، 43 (ط . دوسلان) .

5) ابن خلدون : العبر ، 2 ، 41 (ط . دوسلان) ، ابن أبي زرع ، القرطاس ،ص : 64 ، السلاوي : الاستقصا ، 1 ، 91 ، حسب ابن الخطيب فقد استخلفه على فاس (أعمال الأعلام ، 3 ، 157) وتذكر المصادر الثلاثة السابقة لهذا الاخير ، في نفس الصفحات أن زيري قبل سفره ولى على عدوة القرويين من فاس علي بن محمد بن أبي علي بن قشوش ، وعلى عدوة الاندلسيين عبد الرحمن بن عبد الكريم بن ثعلبة .

6) عن هذا الموضوع انظر : العبر ، 2 ، 41 (ط . دوسلان) ، مفاخر البربر ، ص : 22 ، القرطاس ص : 64 ، أعمال الأعلام ، 3 ، 157 ، الاستقصا ، 1 ، 91 _ 92.

7) وكان المنصور قد توسع له في الجرايات والإكرام وأعطاه أموالا جسيمة وخلعا نفيسة (القرطاس ، ص: 65 . الاستقصا ، 1 ، 925) أوأنه وصله بقيمة هديته وأعظم جائزة وفده (العبر ، 2 ، 41) ، وكانت هديته للمنصور خيلا كثيرة وسلاحا (مفاخر البربر ، ص : 22) .

8) القرطاس ، ص : 65 ، الاستقصا ، 1 ، 92 ، قارن مع العبر ، 2 ، 41، مفاخر البربر ، ص : 22

يده على رأسه وقال « الآن علمت أنك لي » (1) ، ولما دعاه أحد أصحابه بلقب الوزارة رفض بشدّة وقال «... لا والله أمير ابن أمير »(2) وأخذ يتهجم على ابن أبي عامر ويتوعده (3) .

وكانت أخبار تصرفات زيري وأقواله تصل الى الحاجب الأندلسي ، ومع ذلك فانه لم يفقد السيطرة على أعصابه : إذ صر أذنيه على ماسمعه وزاد في اصطناعه (4) لكنه حاول في نفس الوقت أن يضربه بعدوه يَدّوبن يعلى اليفرني . فعمل على اجتذابه إليه باستدعائه لزيارته (5) إلا أن الأمير اليفرني رفض دعوته وقال لمبعوثه : « قل لابن أبي عامر : متى عهد حمر الوحش تنقاد للبياطرة » (6) ولم يكتف بذلك بل أخذ رجاله يزعجون ممثلي السلطة الأندلسية (7) فأعطى ابن أبي عامر أوامره لعامله على المغرب حسن بن أحمد بن عبد الودود لـ « مظاهرة عدوه زيري بن عطية عليه » (8) ففعل وجمع الرجلان قواتهما وسارا الى يدو فاشتبكا معه بملوية ، يوم الثلاثاء 18 أو 19 (لاثني عشرة ليلة بقيت) من محرم 381 هـ ، (9) / أبريل 991م ، لكنه انتصر عليهما وقتل حسنا بن أحمد في المعركة وما أن علم ابن أبي عامر بذلك حتى بعث الى ابن عطية قراره بتعيينه عاملا على المغرب خلفا لحسن ، في حين ضاعف يدو نشاطه الحربي ضده ، واشتد الصراع بينهما خاصة حول مدينة فاس التي تسقط تارة في يد هذا وطورا تسقط في

---

1) القرطاس ، ص : 65 ، الاستقصا ، 1 ، 92 ، قارن بالعبر ، 2 ، 41 ، مفاخر البربر ، ص :22 .

2) العبر ، 2 ، 41 ، قارن بالقرطاس ، ص : 65 ، الاستقصا ، 1 ، 92.

3) نفسه ، القرطاس ، ص : 65 ، مفاخر البربر ، ص : 22 ، الاستقصا ، 1 ، 92 .

4) العبر ، 2 ، 41 (ط . دوسلان) ، مفاخر البربر ، ص : 22 ، الاستقصا ، 1 ، 92 .

5) العبر ، 2 ، 41 فما بعدها ط . دوسلان ، مفاخر البربر ، ص : 23 فما بعدها ، حسب السلاوي فان المنصور استدعى يدوليمكر به (الاستقصا ، 1 ، 92).

6) مؤلف مجهول : مفاخر البربر ، ص : 23 ، قارن مع ابن خلدون : العبر ، 2 ، 41(ط . دوسلان) السلاوي : الاستقصا ، 1 ، 92 .

7) العبر ، 2 ، 41 ، مفاخر البربر ، ص : 23 .

8) العبر ، 2 ، 41 ــ 32 (ط . دوسلان) ، حسب صاحب كتاب مفاخر البربر فان زيري هو الذي ظاهر حسن على يدّو (مؤلف مجهول : ص : 23) ولم يقل ما اذا فعل ذلك من تلقاء نفسه أم بأمر من المنصور ابن أبي علي .

9) مفاخر البربر ، ص : 23 ، قارن بالعبر ، 2 ، 41ـ 42ـ (ط. دوسلان)

يد ذاك ولم تمل الكفة لصالح زيري إلا بعد انضمام أبي البهار بن زيري بن مناد الصنهاجي اليه (1) .

وكان أبو البهار هذا قد تمرد على ابن أخيه المنصور بن بلكين وانحاز إليه أيضا صهره خلوف بن أبي بكر (2) وأقام الدعوة للخليفة الأندلسي هشام المؤيد بالله في المناطق الخاضعة له (3) وكاتب ابن أبي عامر في ذلك ثم أرسل اليه أبا بكر ابن أخيه حبوس بن زيري على رأس وفد هام « من أهل بيته ووجوه قومه » فأحسن المنصور بن أبي عامر استقباله (4) سنة 381 هـ (5) / 991 ـ 992 م ثم رده الى عمِّه بخمسة وعشرين ألف دينار وخمسمائة قطعة من ثياب الخز وما قيمته عشرة آلاف درهم من الآنيّة والحلي والالفاف (6) كما بعث يطلب منه« مظاهرة زيري ابن عطية على يدو بن يعلى وقسم بينهما عمل المغرب شق الأنملة حتى لقد اقتسما مدينة فاس عدوة بعدوة (7) فلما نال أبو البهار كل ذلك دخل الحرب الى جانب زيري ضد يدّو غير أن خلوفا راجع طاعة المنصور بن بلكين ، ولم يرد صهره أن

---

1) العبر ، 2 ، 42 (ط . دوسلان) ، مفاخر البربر ، ص : 23 فما بعدها.

2) هكذا يسميه صاحب كتاب مفاخر البربر (مؤلف مجهول : ص : 25) مع الاشارة الى وجود خطأ في كتابته بنفس المصدر ، ص : 24 حيث كتب « ألوف» أما ابن خلدون فيسميه خلوق (بالقاف) ويقول بأنه انضم الى أبي البهار مع أخيه عطية (العبر ، 2 ، 42 (ط . دوسلان)وكان خلوف هذا ، حسب صاحب كتاب مفاخر البربر ، من أكبر قواد المنصور بن بلكين بالمغرب (مؤلف مجهول : ص : 24) لكن ابن خلدون يقول من جهة بأنه كان صاحب تاهرت (العبر ، 2 ، 42 (ط. دوسلان)ولم يشر الى عزله عنها .

3) تقع هذه المناطق ، حسب ابن خلدون ، في المغرب الأوسط ، ما بين الزاب وانشريس ووهران (العبر ، 2 ، 42 (ط . دوسلان) ، أوهي أعمال تلمسان ووهران وشلف وغيرها (مفاخر البربر ، ص : 24) ، انظر : HADY ROGER IDRIS : *La Berbérie orientale*, pp. 79-80.

4) ابن خلدون : العبر ، 2 ، 42 (ط . دوسلان) ، مؤلف مجهول : مفاخر البربر ، ص : 24 ، حسب ابن عذاري فان أبا البهار وجه إلى ابن أبي عامر قبل ذلك ابنه رهينه ، مع كاتبه ، في مركب ، فغرق المركب ومات جميع من كانوا فيه ، فوجه اليه أبو البهار ولده الآخر فوصل اليه (البيان ، 1 ، 244) .

5) مفاخر البربر ، ص : 24 .

6) مفاخر البربر ، ص : 24 ، يضيف ابن خلدون الى هذه القائمة كلمة العبيد (العبر ، 2 ، 42 ، (ط دوسلان) ، قارن بالبيان ، 1 ، 244 ـ 245 .

7) العبر ، 2 ، 42 (ط . دوسلان) ، حسب صاحب كتاب مفاخر البربر فان ابن أبي عامر طمع في أبي البهار وأعده لزيري بن عطية قبل الحاجة في سبيله في الاستظهار أيام الصداقة من عداوة (مؤلف مجهول : ص : 24) ، أما ابن عذاري فيقول بأن ابن أبي عامر كاتب ابن عطية في حق أبي البهار : أن ينصره ويكون معه (البيان ، 1 ، 245) .

يعين ابن عطية على حربه ، لكن الأمير المغراوي لاحقه وخاض ضده معركة في رمضان 381هـ/ نوفمبر ديسمبر 991م ، قتله فيها وهزم جيشه ثم التفت الى يدو بن يعلى وقاتله حتى هزمه (1) وشرده الى الصحراء حيث لقي حتفه (2) .

ولم يمض وقت طويل على هزيمة يدو ، حتى وقع نزاع مسلح بين الأميرين أبي البهار وابن عطية (3) انتهى بهزيمة الأول وفراره الى سبتة متظاهرا بالعبور الى الأندلس ، وما أن علم ابن أبي عامر بالأمر ، حتى سارع بارسال كاتبه عيسى بن سعيد على رأس قطعة من الجيش لاستقباله ، لكن أبا البهار حول طريقه الى قلعة جراوة (4) ومن هناك بعث رسوله الى ابن أخيه يطلب مصالحته ، ولما نجحت مساعيه تخلى عن الدعوة الأموية وعاد كما كان قبل اعتناقها فلم يبق لابن أبي عامر سوى أن « جمع ... لزيري بن عطية أعمال المغرب ... وعهد اليه بمناجزة أبي البهار وزحف اليه زيري في أمم عديدة من قبائل زناتة وحشود البربر وفرّ أمامه ولحق بالقيروان واستولى زيري على تلمسان وسائر أعمال أبي البهار وملك ما بين السوس الأقصى والزاب » (5) ثم بعث بآخر الاخبار وبهدية ثمينة (6) الى ابن أبي عامر ، ولم يعد هناك من ينازعه السلطة بعد ذلك ، فاستقر بفاس (7) .

---

1) العبر ، 2 ، 42 ـ 43 ، مفاخر البربر ، ص : 25 ، يحدد ابن خلدون تاريخ هذه المعركة في مكان آخر بسنة 383 هـ / 993 ـ 994 م (العبر ، 2 ، 29 (ط . دوسلان) ويذكر في مكان آخر أيضا بأن أبا البهار شارك في هزيمة يدو بن يعلى (العبر ، 2 ، 202 (ط . دوسلان) .

2) مفاخر البربر . ص : 26 ، العبر ، 2 ، 43 (ط . دوسلان) .

3) يرد صاحب كتاب مفاخر البربر سبب هذا الخلاف الى عدم مؤازرة أبي البهار لزيري على صهره عندما حاربه (مؤلف مجهول : ص : 25) ويقول بأن خبر الخلاف بينهما بلغ ابن أبي عامر سنة 382 هـ / 993 ـ 994 م (نفسه ، ص : 26) ويحدد ابن خلدون ذلك بسنة 381 هـ / 992 م ـ 993 م (العبر ، 2 ، 43 ـ 44 (ط . دوسلان) .

4) ابن خلدون : العبر ، 2 ، 43 ، يسميها صاحب كتاب مفاخر البربر قلعة جارت (مؤلف مجهول :ص : 26) .

5) العبر ، 2 ، 43 ـ 44 (ط . دوسلان) ، قارن بمفاخر البربر ، ص : 26 .

6) تشتمل هذه الهدية ، حسب ابن خلدون على « مائتين من عتاق الخيل وخمسين جملا من المهارى السبق والف درقة من جلود اللمط وأحمال من قسي الزان وقطوط الغالية والزرافة وأصناف من الوحوش الصحراوية كاللمط وغيره وألف حمل من التمر وأحمال كثيرة من ثياب الصوف الرفيعة ويضيف بأن ابن ابي عامر تلقاها وجدد لزيري عهده على المغرب سنة 381هـ / 991 ـ 992م (العبر ، 2 ، 44) ، أما صاحب كتاب مفاخر البربر فيقول بأن هذه الهدية وصلت الحضرة في شوال 384 هـ / نوفمبر ـ ديسمبر 994 م (مؤلف مجهول : ص : 26) .

7) العبر ، 2 ، 44 (ط . دوسلان) .

وتذكر مصادر أخرى (1) ، ومن بينها ابن خلدون (2) أن يدو انتهز فرصة سفر زيري بن عطية الى الأندلس ، فاستولى على فاس (3) بعدما قتل عددا كبيرا من مغراوة ، ولما علم زيري بذلك ، وهو بطنجة عائد من رحلته ، عجل بالتوجه إليه وحاربه حتى قتله وبعث برأسه الى ابن أبي عامر وذلك سنة 383 هـ / 993 ـ 994 م (4) ولم يبق له منازع ، بعدئذ ، في أمر المغرب (5) .

ومما يلاحظ أن النوع الأخير من المصادر يختلف عن النوع الأول في كونه لم يشر الى وجود حسن بن أحمد بن عبد الودود بالمغرب آنذاك ، كما أنه يجعل وقوع تمرد أبي البهار على ابن أخيه وتمسكه بالدعوة الأموية ثم مراجعة موقفه قبل دعوة ابن أبي عامر لزيري (6) ولم يشر أيضا الى دخوله الحرب الى جانب زيري بن عطية ضد يدو اليفرني .

---

1) القرطاس ، 65 ، أعمال الأعلام ، 3 ، 157 ـ 158 ، الاستقصا ، 1 ، 92 .

2) العبر ، 2 ، 43 ، ص : 29 (ط . دوسلان .

3) العبر ، 2 ، 43 ، أعمال الاعلام ، 3 ، 58 ، أو أنه استولى على عدوة الأندلس من فاس في ذي القعدة سنة 382 هـ / يناير ـ فبراير 993 م (القرطاس ، ص : 65 ، الاستقصا ، 1 ، 92) .

4) العبر ، 2 ، 43 ، القرطاس ، 65 ، الاستقصا ، 1 ، 92 ، يتفق ابن الخطيب مع هذه المصادر في رواية الأحداث لكنه لا يحدد تاريخ قتل يدو (أعمال الأعلام ، 3 ، 158) .

5) القرطاس ، ص : 65 ، الاستقصا ، 1 ، 92 .

6) حسب هذه المصادر فان أبا البهار خالف على المنصور بن بلكين وتغلب على تلمسان وتنس ووهران وشلف وشلشل وجبال ونشريس والمهدية وكثير من بلاد الزاب (القرطاس ، 64 ، الاستقصا ، 1 ، 91) أو أنه تغلب على تلمسان ووهران وهنين وشلف وونشريس وتنس (أعمال الأعلام ، 3 ، 155 ـ 156) وذلك سنة 377 هـ / 987 ـ 988 م (القرطاس ، 64 ، الاستقصا ، 1 ، 91) أو سنة 381 هـ / 991 ـ 992م (أعمال الأعلام ، 3 ، 157) وبعث ببيعته الى ابن أبي عامر فولاه على ما بيده من أرض المغرب وأرسل اليه هدية وخلعا وأربعين ألف دينار فلما قبض المال والهدية بقي على ولائه حوالي شهرين ثم عاد الى قومه فكتب المنصور الى زيري بعهده على بلاد أبي البهار وأمره بقتاله عليها ، ولما خرج زيري من فاس ، على رأس قبائل زناتة وغيرها فر أمامه أبو البهار والتحق بالمنصور بن أخيه ، وملك زيري تلمسان وسائر أعماله وانبسط سلطانه من السوس الأقصى الى الزاب فكتب بالفتح الى ابن أبي عامر وبعث له هدية عظيمة سر بها وكافأه عليها وذلك سنة 381هـ / 991 ـ 992م ، وفي سنة 382هـ / 992 ـ 993م استدعى المنصور بن أبي عامر زيري الى قرطبة (القرطاس ، ص : 64 ، الاستقصا ، 1 ، 91 ، أعمال الأعلام ، 3 ، 156 ـ 157) .

ومن المقارنة بين المعلومات السابقة يتبين أنه من الصعب ترجيح هذا الرأي أوذاك فيما يتعلق بتاريخ تمرد أبي البهار على ابن أخيه المنصور ونشاطه ضده ، ثم تراجعه في النهاية نظرا لعدم وجود نصوص تبرهن على ذلك (1) وكل ما يمكن استنتاجه هو أن أحداث أبي البهار تكون قد وقعت بعد موت حسن بن عبد الودود بدليل أن المصادر لم تشر الى وجود هذا الأخير أثناء حديثها عن الأول ، ولا يستبعد أن يكون الحسن قد قتل قبل قيام زيري بن عطية بزيارة الأندلس ، بدليل أن زيري استخلف على المغرب ولده المعز قبل سفره ، كما أنه لم يتردد في توجيه انتقاداته الى ابن أبي عامر والتهجم عليه بمجرد أن عاد الى بلاده : لأنه من غير المقبول أن يعين زيري ولده على المغرب وابن عبد الودود عاملا لابن أبي عامر به ، كما أن ما ذكر من أن الأمير المغراوي شرع في تهجماته على صاحب الحل والربط في الأندلس الذي علم بالأمر فزاد « في اصطناعة» ثم كاتب عامله على المغرب ، حسن بن عبد الودود وأمره بمظاهرة ابن عطية على عدوه يدو ، ولما قتل حسن ، عين زيري في منصبه ، يشك في صحته والا لكان دليلا على أن ابن أبي عامر وصل الى درجة من العجز جعلته يسلم بالأمر الواقع ، غير أن التطور الذي حدث في العلاقة بينه وبين زيري بعدئذ لا يدل على ذلك .

وبالتالي يمكن القول بأنه عندما قتل حسن بن أحمد بن عبد الودود في إحدى المعارك التي خاضها ضد يلدو بن يعلي اليفرني ، عين ابن أبي عامر زيري ابن عطية خلفا له ثم استدعاه اليه ورده الى عمله ، وهنا بدأت العلاقة تتدهور بينهما : فحاول الحاجب الأموي أن يجذب اليه عدوه يلدو بن يعلى ليضربه به غير أن الأمير اليفرني لم يرد أن يغير موقفه من الجانبين فقرر « المنصور بن أبي عامر أن يضرب بينه وبين ... زيري نن عطية (2)» أو يقف على الأقل

---

1) كان تمرد أبي البهار سنة 376 هـ 986 ـ 987م (المؤنس ، 78) أو 377 هـ 987 ـ 988م القرطاس ، 64 ، الاستقصا ، 1 ، 91) أو 379 هـ 989 ـ990 م (البيان ، 1 ، 244 ، العبر ، 2 ، 202) أو 381 هـ 991 ـ 992 م (أعمال الأعلام ، 3 ، 156 ـ 157 ، مفاخر البربر ، ص : 24) وترجع سنة 382 هـ 992 ـ 993 م (العبر ، 2 ، 202 ، مفاخر البربر ، ص : 26) أوسنة 383 هـ 993 ـ 994م (البيان ، 1 ، 246 ـ 247) .

2) العبر ، 2 ، 28 (ط . دوسلان) .

موقف المتفرج في الحرب التي تدور بينهما ، وهي أحسن سياسة يمكن اتباعها لاضعاف الطرفين بدون أية تكاليف ، لكن الصراع بينهما سرعان ما انتهى لصالح الأمير المغراوي .

وتتفق المصادر على أن ابن عطية سيطر على الوضع بعد ذلك « وأنزل أحياءه بأنحاء فاس (1) ثم اختط مدينة وجدة (2) سنة 384هـ(3)/994 ـ 995م ولما تم بناؤها جعلها عاصمة له ، وفي سنة 386هـ/996 ـ 997م أعلن معارضته لاستبداد الحاجب المنصور بن أبي عامر بالخليفة هشام المؤيد (4) فأرسل اليه الحاجب كاتبه عيسى بن سعيد (5) على رأس جيش ، في محاولة لاقناعه بالتخلي

---

1) العبر ، 2 ، ص : 44 .

2) مدينة تقع في شرق المغرب الأقصى ، على بعد 14 كلم من الحدود الجزائرية المغربية الحالية ، في القسم الجنوبي من سهل أنقاد الواسع ، عنها انظر : E.I. (*art.* Oujda) t. 3, pp. 1085-1086.

3) العبر ، 2 ، 44 (ط . دوسلان) ، أسست في شهر رجب 384 هـ / ديسمبر 994 ـ يناير 995 م (القرطاس ، 65 ، الاستقصا ، 1 ، 92) ويرى ابراهيم حركات أن عدم رغبته في البقاء بفاس التي سببت له مصاعب جمة بالاضافة الى بعدها النسبي عن الاطراف الشرقية لمملكته ، هو الذي جعله يختط وجدة ليظل بها قريبا من موطنه الاصلي كما يتوسط مملكته الواسعة (المغرب عبر التاريخ ، مجلد 1 ، ص : 152) .

4) ابن خلدون : العبر ، 2 ، 44 (ط . دوسلان) ، مؤلف مجهول : مفاخر البربر ، ص : 27 ، السلاوي : الاستقصا ، 1 ، 92 ، حسب ابن أبي زرع فقد اتصل بالمنصور سنة 386 هـ / 996 ـ 997 م ، أن زيري ينتقصه ويعرض في شأنه ويتكلم فيه بالقبيح (القرطاس ، ص : 65) ، ويرى MERCIER (E.) أن نشوة الانتصارات التي حققها زيري بالمنطقة المحصورة ما بين تاهرت والمحيط (الاطلسي) عندما كان المنصور مشغولاً بحروبه وبثورات أفراد عائلته جعلته يعتقد أنه في مستوى اعلان استقلاله له .
l'Etablissement des Arabes dans l'Afrique septentrionale, p. 123 أما DOZY (R.) فيري أن زيري اتخذ موقفه هذا بتأثير من أورور (Aurore) النافارية (ويعنى بها صبح أم هشام المؤيد) التي تحول حبها لابن ابي عامر بعد موت زوجها الحكم الى كره فصارت تحرض عليه كل الناس ، وطلبت من ابنها أن يعمل على التخلص من سيطرته عليه وأخذ رسلها يقولون ، في كل مكان بأن الخليفة يريد أن يكون حرا ويمارس السلطة بنفسه وأنه يعتمد على تأييد شعبه له كي يتخلص من سيطرة ابن أبي عامر . وقد عبر هؤلاء الرسل مضيق جبل طارق ، وفي الوقت الذي أخذت تتكون فيه جماعات متمردة بقرطبة . رفع زيري بن عطية راية الثورة معلنا أنه لم يعد يحتمل أن يرى الخليفة الشرعي أسيرا لوزير قوي ، مستسلما (أي زيري) لإغراء صبح ، بما وعدته به من مال وما خصصته له من دور فروسي *Histoire des Musulmans d'Espagne*, t. 2, p. 252 Sqq).

5) يسميه ابن خلدون عيسى بن سعيد بن القطاع (العبر ، 2 ، 43 (ط . بيروت) ، ويسميه صاحب كتاب مفاخر البربر عيسى بن سعيد اليحصبي (مؤلف مجهول : ص : 28) ومن ثم قد يكون اسمه الكامل عيسى بن سعيد بن القطاع اليحصبي ..

عن موقفه لكن ذلك لم يزده الا تمسكا به (1) واشتد الخلاف بينهما : فاتخذ المنصور قرارا بقطع رزق الوزارة عليه ومحو اسمه من ديوانه ونادى بالبراءة منه (2) واقتصر زيري من جهته على ذكر اسم هشام المؤيد في الخطبة وألغى منها اسم المنصور وطرد عماله الى سبتة (3) .

ولما وصل الأمر الى هذا الحد « استقدم ابن أبـي عامر غلامه واضحا ... من مدينة سالم (4) » حيث كان مرابطا وعقد له على المغرب ثم أنفذه على رأس جيش سنة 387 هـ (5)/997 ـ 998 م لحرب زيري بن عطية وبعث معه مجموعة من «ملوك العدوة كانوا بالحضرة منهم محمد بن الخير بن محمد بن الخير وزيري بن خزر وابن عمهما بكساس بن سيد الناس ، ومن بني يفرن نوبخت بن عبد الله بن بكار ومن مكناسة اسماعيل البوري ومحمد بن عبد الله بن مدين ومن أزداجة خزرون بن محمد » (6). فنزل واضح بطنجة وبقي بها حتى أتم استعداداته ثم تحرك في اتجاه زيري الذي كان قد استعد بدوره وخرج للقائه ، وتوقف الطرفان في وادي زادات (7) حيث اندلعت بينهما حرب دامت ثلاثة أشهر ، وانتهت حسب

1) العبر ، 2 ، 44 (ط . دوسلان) ، مفاخر البربر ، ص : 27 ـ 28 .
2) العبر ، 2 ، 44 ، الاستقصا ، 1 ، 92 ، حسب صاحب كتاب مفاخر البربر فان ذلك كان في شوال 387 هـ / أكتوبر ـ نوفمبر 977 (مؤلف مجهول : ص : 28) .
3) ابن أبي زرع : القرطاس ، ص : 66 ، السلاوي : الاستقصا ، 1 ، 92 ـ 93 ، قارن مع ابن خلدون : العبر ، 2 ، 44 (ط . دوسلان) ، مؤلف مجهول : مفاخر البربر ، ص : 28 ، أعمال الأعلام ، 3 ، 158 .
4) مفاخر البربر ، ص : 28 ، قارن بالقرطاس ، ص : 66 ، الاستقصا ، 1 ، 93 ، عن مدينة سالم انظر معجم البلدان ، 3 ، 13).
5) العبر ، 2 ، 45 ، حسب صاحب مفاخر البربر فان ذلك كان في آخر شوال ـ أكتوبر ـ نوفمبر 997 م (مؤلف مجهول : ص : 28) .
6) العبر ، 2 ، 44 ـ 45 ، قارن بمفاخر البربر ، ص : 28 ، أعمال الأعلام ، 3 ، 158 ، حسب ابن أبي زرع فان واضحا عبر البحر واستقر بطنجة فأتاه بعض قبائل البربر من غمارة وصنهاجة وغيرهم فبايعوه ، على قتال زيري وأعطاهم الخلع والأموال وبعث المنصور من كان عنده من أجناد البربر بالأندلس (القرطاس ، 66 ، انظر : الاستقصا ، 1، 93) .
7) القرطاس ، ص : 66 ، الاستقصا ، 1 ، 93 ، يسميه ابن الخطيب رأدات (أعمال الأعلام ، 3 ، 158) يكتبها ابن خلدون مرة ردات ومرة أخرى ركاب (العبر ، 2 ، 45 (ط . دوسلان ، حسب صاحب كتاب مفاخر البربر فانهما توقفا في جبل حبيب (مؤلف مجهول ، ص : 28) .

بعض المصادر بهزيمة واضح ولجوئه الى طنجة ومنها بعث يستنجد بابن أبي عامر فاستجاب له وخرج من قرطبة الى الجزيرة الخضراء لامداده (1) أو أن واضحا ، حسب مصادر أخرى ، اتهم وجوه بني برزال بالخداع فبعث بهم الى المنصور بن أبي عامر (2) ، ثم استولى على حصن أصيلا ونكور واستمر يقاتل عدوه وفي رجب 388 هـ/ جويلية ـ أغسطس 998 م ، تمكن من مفاجأة مجموعة من جيشه بهجوم ، في موضع يعرف بمضيق الحية ، وعددها ثلاثة آلاف فارس ، كان يقودهم خليفة زيري (3) ، فقتل الكثير منهم وأسر حوالي ألفين ثم أطلق سراحهم فانضموا إليه ، **ولما علم ابن أبي عامر بما جرى خرج من مسجله الجامع بالزاهـرة الى الجزيرة** الخضراء يوم 10 شعبان 388هـ/ أغسطس ـ سبتمبر 998م ، فيمن بقي معه من الجند لامداد قائده (4) .

فابن أبي عامر توجه ، اذا ، من قرطبة الى الجزيرة الخضراء وأمد قائده ، كما **طلب منه ، أو بمبادرته الشخصية ، بما تبقى معه من الجيش (5) وعلى رأسه ابنه عبد** الملك المظفر (6) الذي تتفق المصادر على أنه عبر البحر الى سبتة ثم تختلف بعد ذلك ، فيذهب بعضها الى القول بأنه لما أنتشر خبر وصوله وفد عليه بعض أصحاب زيري (7)

---

1) القرطاس ، ص : 66 ، أعمال الاعلام ، 3 ، 158 ، الاستقصا ، 1 ، 93 .

2) وعندما وصلوا اليه وبخهم فتنصلوا مما نسب اليهم فعفا عنهم واخرجهم خلف ولديه عبد الملك وعبد الرحمن الى غليسة (مفاخر البربر ، ص : 29 ، قارن بالعبر ، 2 ، 45 (ط . دوسلان) .

3) لم تذكر هذه المصادر اسم هذا الخليفة أو النائب .

4) مفاخر البربر ، ص : 29 ، قارن بالعبر ، 2 ، 45 (ط . دوسلان) .

5) القرطاس ، ص : 66 ، الاستقصا ، 1 ، 93 ، مفاخر البربر ، ص : 29 ـ 30 ، العبر ، 2 ، 45 .

6) هكذا تجمع المصادر على تسميته (القرطاس ، ص : 66 ، أعمال الأعلام ، 3 ، 158 ، العبر ، 2 ، 45 ، مفاخر البربر ، ص : 29 ، حسب صاحب كتاب مفاخر البربر فان ابن أبي عامر كان ينوي إمداده بابنه عبد الرحمن ثم اختار انفاذ عبد الملك لبأسه وبعد صيته فاستدعاه اليه وبعث أخاه لينوب عنه في خدمة الخليفة (مؤلف مجهول ، ص : 29) .

7) يذكر ابن خلدون أنه عندما انتشر خبر وصول عبد الملك الى المغرب « رجع اليه عامة أصحاب زيري من ملوك العدوة ... » (العبر ، 2 ، 45 (ط . دوسلان) ، ويذكر صاحب كتاب مفاخر البربر أنه عندما انتشر خبر وصوله الى العدوة « رجع أكثر من كان مع زيري الى طاعته ولحقوا بعسكره من ملوك وقبائل ورؤساء البربر .. وتواردت كتب من تخلف عنه ورسلهم وانتشر أمر زيري (مؤلف مجهول ، ص : 30) ويلاحظ في كلام هذين المصدرين عن انضمام أصحاب زيري الى عبد الملك مبالغة واضحة ، فلو كان ذلك صحيحا لما تجرأ زيري على مواجهة عبد الملك بعد ذلك.

ثم انضم بعدها الى واضح بطنجة ولما استراح جنوده وتمت استعداداته نهض الى القتال (1) بينما يذهب البعض الآخر منها الى القول بأنه عندما علم زيري بوصوله الى سبتة أخذ يستعد لملاقاته : فبعث هو الآخر يطلب الامدادات من جميع قبائل زناتة فأتته جموعها « من بلاد الزاب وبلاد تلمسان وملوية وسجلماسة وسائر بوادي زناتة **فنهض بهم الى قتال عبد الملك ... وخرج عبد الملك من طنجة ومعه** واضح » (2) .

ومهما يكن من أمر فان الطرفين التقيا بوادي منا (3) من ضواحي طنجة في شوال 388(4)/ أكتوبر ـ نوفمبر 998م، واندلع بينهما قتال دام نهارا كاملا « من طلوع الشمس الى غروبها » (5) وانتهى بهزيمة أصحاب زيري واستيلاء أعدائهم على ماكان في « محلتهم » أي معسكرهم من مال أو سلاح (6) ولم يخلص زيري ومن تبقى معه من أصحابه سوى الفرار الى الصحراء (7) .

---

1) العبر ، 2 ، 45 ، مفاخر البربر ، ص : 30 .
2) ابن أبي زرع : القرطاس ، ص : 66 ، السلاوي ، الاستقصا ، 1 ، 93 ، قارن مع ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، 3 ، 158 .
3) القرطاس ، ص : 66 ، الاستقصا ، 1 ، 93 ، ويكتب أيضا وادي منى « بالالف المقصورة ، (العبر ، 2 ، 45 (ط . دوسلان) ، حسب صاحب كتاب مفاخر البربر فقد التقيا بجبل حبيب (مؤلف مجهول : ص : 29) وفي مكان آخر يقول بأن زيري بن عطية هزم بغاي غاي (مؤلف مجهول : ص : 37) .
4) العبر ، 2 ، 45 (ط . دوسلان) ، مفاخر البربر ، ص : 23 ، يحدد ابن خلدون تاريخ هذه المعركة في مكان آخر بسنة 386 هـ / 996 ـ 997 م (العبر ، 4 ، 320 (ط . بيروت) .
5) القرطاس ، ص : 66 ، قارن بأعمال الأعلام ، 3 ، 158 .
6) مفاخر البربر ، ص : 29 ـ 30 ، ترد معظم المصادر سبب هذه الهزيمة الى كون المسمى سلام (القرطاس ، 66 ، الاستقصا ، 1 ، 93) أو كافور بن سلام (مفاخر البربر ، ص : 32) وهو غلام أسود كان زيري قد قتل أخاه ، وجد فرصة مكنته من الوصول الى زيري فوجه اليه ثلاث طعنات بسكينه ثم انطلق الى عبد الملك وأخبره بما فعله فلما تأكد عبد الملك من ذلك قرر استغلال فرصة الفوضى الناتجة عنه وقام بهجوم شامل على زناتة فهزمها (القرطاس ، 66 ، اعمال الأعلام ، 3 ، 158 ـ 159 ، الاستقصا ، 1 ، 93 ، قارن بالعبر ، 2 ، 45 ، مفاخر البربر ، ص : 32 .
7) العبر ، 2 ، 45 (ط . دوسلان) ، مفاخر البربر ، ص : 31 ، قارن بالقرطاس ، ص : 67 ، أعمال الاعلام ، 3 ، 159 ، الاستقصا ، 1 ، 93 .

عودة النزاع بين زناتة وصنهاجة :

لم يلبث ابن عطية أن نظم صفوفه من جديد في الصحراء ، وراح يحاصر تاهرت سنة 389هـ (1) ° 998 ـ 999م ، فأرسل عاملها بطوفت بن بلكين في طلب النجدة من ابن أخيه أبي مناد نصير الدولة باديس فأمده بجيش وضع على رأسه عامل افريقية ، محمد بن أبي العرب الكاتب (2) الذي مر على أشير حيث انضم اليه عاملها حماد بن بلكين ، وهو عم آخر لأبي مناد (3) ، وسارا معا حتى وصلا الى يطوفت في جمادي الأولى (4) ° أبريل ـ مايو 999م ، وقصد الجميع زيري بن عطية فناشبوه القتال بمكان يقع على بعد مرحلتين من المدينة (5) ويسمى آسار (6) لكن الهزيمة كانت عليهم (7) ، يوم السبت 5 جمادى

---

1) البيان ، 1 ، 249 ، تذهب بعض المصادر الى القول بأن ما جعله يقدم على هذا الحصار هو ما بلغه من معلومات مفادها : أن صنهاجة اختلفت على أميرها باديس بن المنصور بعد موت أبيه (العبر ، 2 ، 46 ، أعمال الاعلام ، 3 ، 160 ، القرطاس ، ص : 67 ، الاستقصا ، 1 ، 94) ولعل هذا الاختلاف يمكن تلخيصه فيما ذكره ابن عذاري من أنه لما صارت الأمور الى باديس «أتاه الناس .. للعزاء والتهنئة ، وكان بنو زيري وبنو حمامة قد هموا بأمور ، وخالفوا على من كان معهم على ما عقدوه ، فما تركهم عبيد باديس وعبيد أبيه الى شيء مما أرادوه» (البيان ، 1 ، 247) ، كما يتفق ابن خلدون مع صاحب كتاب مفاخر البربر على أن عمومة باديس خرجوا عليه آنذاك (العبر ، 2 ، 46 (ط . دوسلان) مؤلف مجهول ص : 34 ـ 35) ، ويبدو ، من خلال ما سوف يلي من أحداث ، أن هؤلاء العمومة عارضوا باديس في ذلك الوقت معارضة خفيفة ، لم تصل الى حد رفع السلاح .

2) الكامل ، 7 ، 198 ، البيان ، 1 ، 249 ، العبر ، 2 ، 55 (ط . دوسلان) ، المؤنس ، 80

3) أولاه على أشير سنة 387 هـ 996ـ 998م (أبو الفداء : المختصر ، 4 ، 24) .

4) البيان ، 1 ، 249 ، الكامل ، 7 ، 129 ، العبر ، 2 ، 55 (ط . دوسلان) ، في مكان آخر يقول ابن خلدون بأن باديس خرج بنفسه لامداد أبي البهار لكنه عندما مر بطبنة وامتنع عليه فلفول بن خزرون شغل بحربه وكلف عمه حمادا بقيادة الجيش الى تاهرت (العبر ، 2 ، 46 (ط . دوسلان) .

5) الكامل ، 7 ، 199 ، البيان ، 1 ، 250 ، حسب صاحب كتاب مفاخر البربر فان حمادا هو الذي كان يقود هذا الجيش (مؤلف مجهول ، ص : 35) .

6) ابن عذاري : البيان ، 1 ، 249 ، أو أنهما التقيا بوادي منا (العبر ، 2 ، 46 ، مفاخر البربر ، ص : 35)

7) يرد بعض المؤرخين سبب هذه الهزيمة الى كون بعض جنود حماد كانوا يكرهونه لقلة عطائه (الكامل ، 7 ، 199) أو لانه أساء معاملتهم (البيان ، 1 ، 250) فلما اشتد القتال انسحبوا من المعركة وتبعهم بقية الجيش .

الأولى (1)/ أبريل ـ مايو 999م ، فاضطروا أن ينسحبوا الى أشير ، في حين كتب زيري بن عطية الى المنصور بن أبي عامر بخبر ذلك (2) واستولى على مدن تاهرت وتلمسان وشلف وتنس والمسيلة (3) وأقام الدعوة فيها لهشام المؤيد ولحاجبه المنصور من بعده (4).

ولم يضيع الأمير باديس وقته عندما بلغه خبر هزيمة جيشه ، بل استعد وخرج الى ابن عطية (5) ولما مر بطبنة أرسل يستدعي عامله عليها فلفولا بن سعيد الزناتي « ليستظهر به على حربه » (6) غير أن فلفولا خاف (7) فبعث يعتذر عن الحضور ويسأل تجديد العهد له ، ثم زاد خوفه فارتحل عن المدينة هو « ومن معه من مغراوة » (8) فما كان على باديس سوى أن لبى له طلبه (9) ثم استمر في طريقة الى زيري الذي لاذ بالفرار (10).

---

1) البيان ، 1 ، 250 .

2) مفاخر البربر ، ص : 35 .

3) العبر ، 2 ، 46 (ط ، دوسلان) ، القرطاس ، ص : 67 ، أعمال الاعلام ، 3 ، 160 ، الاستقصا ، 1 ، 94 ، مع ملاحظة أن ابن أبي زرع والسلاوي لايذكران تنس كما أن ابن الخطيب لا يذكر المسيلة ، ويرى LÉVI-PROVENÇAL أن ابن عطية استولى على هذه المدن بفضل مساندة أعمام باديس له ، وخاصة منهم عمّاه الكبيران ماكسن وزاوي (*Histoire de l'Espagne musulmane*, T, 2, p. 271. أما ابن عذاري فيقول بأن زيري بن عطية استولى على تاهرت وبقي بها (البيان ، 1 ، 25) .

4) العبر ، 2 ، 46 ، مفاخر البربر ، ص : 35 ، تذكر مصادر أخرى أنه أقام الدعوة للخليفة هشام ولا تشير الى الحاجب (القرطاس ، ص : 67 ، أعمال الاعلام ، 3 ، 160 ، الاستقصا ، 1 ، 94) .

5) المؤنس ، ص : 80 .

6) العبر ، 2 ، 55 (ط . دوسلان) .

7) البيان ، 1 ، 250 ، الكامل ، 7 ، حسب ابن خلدون فان صنهاجة عندما علمت بهزيمة زيري لجيشها تنكرت لمن كان بجهاتها من قبائل زناتة ومن هنا كان خوف فلفول (العبر ، 2 ، 55 (ط. دوسلان) .

8) العبر ، 2 ، 55 ، (ط . دوسلان) .

9) يتساءل HADY. ROGER IDRIS ما اذا كان تصرف باديس هذا راجعا الى كونه رأى أن هذا الزناتي لا يمثل خطورة كبيرة وأنه سيكتفي بما منحه أم أن باديسا فعل ذلك لانه كان يريد أن يحتفظ بكل قواته لمواجهة خطر زيري بن عطية مع احتمال القضاء على فلفول عند الرجوع *La Berbérie orientale sous les Zirides*, pp. 92-93.

10) يذكر ابن عذاري أن زيري بن عطية عندما استولى على تاهرت بقي بها ، ولما وصل باديس الى المسيلة رحل عنها الى فاس ، ولما علم نصير الدولة بذلك رجع الى تاهرت وأشير واستخلف يطوفت على تاهرت ابنه=

وبمجرد أن ابتعد باديس رجع فلفول « ى طبنة فعاث في نواحيها ثم فعل في تيجس كذلك ثم حاصر باغايا (باغاية)» (1) وعلم باديس بأمره فوجه إليه جيشا من أشير ثم تحرك هو وعمه أبو البهار الى المسيلة (2) بعد أن ترك على أشير عمه يطوفت (3) « ومعه أعمامه وأولاد أعمامه » (4) ولما صار بالمسيلة ، وصلته أخبار تشير الى أن أعمامه هؤلاء ، وهم : زاوي وعزم وماكسن ومغنين (5) قد خالفوا عليه وأنهم قد ألقوا القبض على يطوفت (6) ، أخيهم فـ « بعث ... في أثرهم عمه حماد بن بلكين ورحل هو الى فلفول بن سعيد » (7) الذي كان قد قتل قائده أبا زعبل (8) وهزم جيشه ، عندما زحف عليه من أشير ، وهو محاصر لباغاية (9) ولما وصل باديس الى هذه المدينة الأخيرة ، كان فلفول قد غادرها

= أيوبا في أربعة آلاف فارس (البيان ، 1 ، 250) ، ويقول ابن أبي دينار بأن بن عطية كان يحاصر أشير عندما قصده باديس ، فلما قرب منه فر وسار باديس وراءه حتى أدخله المغرب ثم عاد (المؤنس ، ص : 80) ، أما ابن الأثير فيتردد في ذكر المكان الذي وصل اليه زيري بعد استيلائه على تاهرت ويقول فقط ، بان زيري بن عطية ، باقتراب باديس منه ، رحل الى تاهرت ولما تبعه باديس سار الى المغرب (الكامل ، 7 ، 99) وكذلك ابن خلدون الذي يقول بأنه عندما وصل باديس الى أشير فر زيري الى صحراء المغرب ورجع باديس بعد أن ولى على تاهرت وأشير عمه يطوفت بن بلكين (العبر ، 2 ، 55 (ط . دوسلان) ، عن هذا الموضوع انظر : HADY-ROGER-IDRIS *La Berbérie orientale sous les Zirides*, p. 92).

1) العبر ، 2 ، 55 (ط . دوسلان) ، قارن بالكامل ، 7 ، 199 ، البيان ، 1 ، 250 .

2) البيان ، 1 ، 250 ـ 251 .

3) الكامل ، 7 ، 199 ، قارن بالعبر ، 2 ، 55 (ط . دوسلان) ، البيان ، 1 ، 250

4) الكامل ، 7 ، 199 .

5) العبر ، 2 ، 55 (ط . دوسلان) ، يضيف ابن خلدون في مكان آخر حلال وعنين (العبر ، 2 ، 203) ولا يشير الى مغنين ، ويذكر منهم ابن عذاري ماكسن وزاوي ومغنين (البيان ، 1 ، 25) ويذكر ابن الأثير ماكسن وزاوي (الكامل ، 7 ، 199) .

6) البيان ، 1 ، 251 ، الكامل ، 7 ، 199 .

7) العبر ، ، 2 ، 55 (ط . دوسلان) ، قارن بالبيان ، 1 ، 251 ، يرى HADY ROGER IDRIS أن دور حماد في تلك الحرب غامض وأن تولية يطوفت بدلا منه على ولاية أشير التي كانت له حتى ذلك الوقت لشيء يدعو للاستغراب *La Berbérie orientale sous les Zirides*. P. 93.)

8) يسميه ابن خلدون هنا أبوزعيل (العبر، 2 ، 55(ط . دوسلان)؛عنه انظر : HADY ROGER IDRIS : *Ibid*, p. 95).

9) العبر، 2 ، 55 (ط. دوسلان) ، قارن بالكامل ، 7 ، 199 ، حسب ابن عذاري فان هذا الحصار دام خمسة وأربعين يوما (البيان ، 1 ، 251) .

وراح يقصد القيروان (1) فتعقبه الى أن التقى معه بمرماجنه (2) يوم 11 ذي الحجة 389هـ(3)/ نوفمبر - ديسمبر 999م وتقاتل جيشاهما فانهزم فلفول الى جبل الحناش(4) وبعث باديس بخبر انتصاره الى القيروان (5) ليطمئن أهلها الذين سيطر عليهم الخوف عندما علموا بمقتل أبي زعبل وهزيمة جيشه ، ثم انصرف اليهم (6) فبلغه هناك أن عمومته (7) « أولاد زيري » (8) قد أنضموا الى فلفول بن سعيد ونزل الجميع حصن تبسه (9) فتحرك اليهم لكنهم لم ينتظروه، اذ « افترقوا ولحق العمومة بزيري بن عطية »(10)ولم يبق منهم مع فلفول ورجاله ، سوى ماكسن وابنه محسن (11) فلاحقهم لكنه عاد دون أن يتمكن منهم (12) .

---

1) ابن خلدون : العبر ، 2 ، 55 (ط . دوسلان) ؛ ابن الاثير : الكامل ، 7 ، 199؛ ابن عذاري : البيان ، 1 ، 251 .

2) العبر ، 2 ، 55 (ط . دوسلان) ، حسب ابن الاثير فقد كان لقاءهما بوادي أغلان من مرماجنة (الكامل ، 7 ، 199) .

3) البيان ، 1 ، 25 ، قارن بالعبر ، 2 ، 56 ، (ط . دوسلان) .

4) العبر، 2، 55 (ط . دوسلان) ؛ البيان ، 1 ، 251 ؛ حسب ابن الأثير فقد قتل في هذه المعركة من زويلة تسعة الآف قتيل سوى من قتل من البربر (الكامل ، 7 ، 199) مع العلم أنه يتفق مع بقية المصادر بأن أغلب جيشه كان من زناتة ، أما ابن عذاري فيقول بأنه قتل حوالي سبعة الآف من زناتة (البيان، 2511)، ويذكر ابن أبي دينار أن هذه المعركة كانت بين باديس وأعمامه وأنه قد قتل سبعة الآف من زناتة الذين كانوا مع أعمامه (المؤنس ، ص : 80) .

5) البيان ، 1 ، 251 ، العبر ، 2 ، 55 (ط . دوسلان) .

6) العبر ، 2 ، 56 (ط . دوسلان) .

7) الكامل ، 7 ، 199 .

8) العبر ، 2 ، 56 ، (ط . دوسلان) .

9) ابن خلدون : العبر 2 ، 56 ، قارن بالكامل ، 7 ، 199 .

10) العبر ، 2 ، 56 (ط . دوسلان) .

11) نفسه ، حسب ابن الاثير فانه لم يبق معه سوى ماكسن بن زيري (الكامل ، 7 ، 199) .

12) حسب ابن خلدون فان باديس لاحق فلفولا سنة 391هـ/1000- 1001م حتى بسكرة فلما اختفى عليه في الرمال ، عاد (العبر ، 2 ، 56 (ط . دوسلان) ، أما ابن الأثير فيقول بأن باديسا وصل وراء فلفول ، الى القصر الإفريقي في أوائل سنة 390هـ/ 999 - 1000 م فعلم أن عمومته فارقوه ، ولم يبق معه سوى ماكسن بن زيري (الكامل ، 7 ، 199) في حين يبدو أن ابن عذارى جمع بين الروايتين السابقتين بقوله أن نصير الدولة خرج سنة 390هـ / 999 - 1000 م في طلب فلفول ولما افترق جمعه وهرب أمامه الى الرمال رجع الى أفريقية ومعه أبو البهار الذي اعتذر له عما فعله إخوانه ، ثم رجع فلفول الى طرابلس =

وكان قد سبق لعمه أبي البهار أن غادره بالمسيلة ليلتحق باخوته ، عندما علم أنهم ثاروا بأشير (1) ولازمهم الى أن انضموا الى زيري بن عطية (2) أثناء حصاره لها ، فأقام الدعوة للخليفة هشام وحاجبه المنصور (3) ثم أنفذ رسله الى هذا الأخير للاستئذان في القدوم اليه (4) أو لطلب معونته (5) الا أن ابن أبي عامر لم يجبه الى طلبه لأنه لم يعد يثق به « لما سبق من نكثه » (6) بل أخذ يسوفه (7) وعندئذ راجع أبو البهار طاعة باديس فاتصل به ، وهو عائد من مطاردة فلفول ، وسار معه الى القيروان (8) .

أما زيري بن عطية الذي ضرب حصارا على أشير لمدة شهر (9) ، فقد كاتب المنصور بن أبي عامر يطلب منه الصلح واعادة تعيينه على ولاية المغرب

= فسار اليه نصير الدولة حتى وصل القصر الافريقي وبلغه هناك : أن بني زيري رجعوا الى المغرب ، خوفا منه ، ولم يبق مع فلفول سوى ماكسن وأبنه محسن فعاد الى المنصورية (البيان ، 1 ، 251) .

1) البيان ، 1 ، 250 ، حسب ابن خلدون فانه فعل ذلك خوفا من باديس (العبر ، 2 ، 55 (ط . دوسلان).

2) العبر ، 2 ، 56 (ط . دوسلان) .

3) مؤلف مجهول : مفاخر البربر ، ص : 35 ، يستنتج مما ذكره ابن خلدون من أن زيري بن عطية «كان ... محاصرا لأشير ... فأفرج عنها ورجع عنه أبوالبهار بن زيري الى باديس» العبر ، 2 ، 56) أن أبا البهار قد انضم مع إخوته الى ابن عطية ، لكن ابن خلدون يذكر في مكان آخر أن أبا البهار أنفذ رسله الى ابن أبي عامر للاستئذان في القدوم عليه فلم يجبه الى طلبه ، في حين بعث زيري بن عطية يستأذنه في أرسال زاوي وأخيه خلال اليه فلم يرمانعا لذلك فقدما عليه سنة 390هـ/ 999 ـ1000م (العبر ، 2 ، 47) وهذه المعلومات ان صحت تكون دليلا على عدم انضمام أبي البهار الى زيري بن عطية مع إخوته والاّ لتولى ابن عطية أمره وكاتب ابن أبي عامر في شأنه كما فعل مع زاوي وخلال .

4) العبر ، 2 ، 47 (ط . دوسلان) .

5) مؤلف مجهول : مفاخر البربر ، ص : 35 .

6) العبر ، 2 ، 47 (ط . دوسلان) .

7) نفسه ، مفاخر البربر ، ص : 35 .

8) العبر ، 2 ، 56 (ط . دوسلان) ، حسب ابن عذاري فان مراجعة أبي البهار لطاعة باديس كانت قبل تخلي بني زيري (اخوته ، أعمام باديس) عن فلفول ورجوعهم الى المغرب حيث انضموا الى ابن عطية (البيان ، 1 ، 251) .

9) مفاخر البربر ، ص 37 .

في مقابل رهينة يدفعها (1) ... ويخبره أنهأقام الدعوة له ولابنه عبد الملك المظفر بعد الخليفة هشام المؤيد (2) ويستأذنه في ارسال زاوي وأخيه خلال ، من بني زيري (الصنهاجيين) إليه فلم ير ابن أبي عامر مانعا من قبول العرض فقدما عليه سنة 390 هـ (3) / 999 - 1000 م كما أنه لم ير ما يمنعه من الموافقة على طلبه بعدما تأكد من صدق نواياه عن طريق بعض ثقافة (4) ، غير أن المرض اضطر زيري بن عطية الى فك حصاره (5) ثم توفي قبل أن يحقق هدفه (6) سنة 391 هـ /1000 - 1001 م واجتمعت كلمة قومه من بعد ذلك على ابنه المعز.

زناتة المغرب الأقصى بعد توقف صراعها مع صنهاجة :

بعدما تولى المعز أمر قومه بالكف عن منازعة صنهاجة (7)« واقتصر على ما بيده » (8) من البلاد وصالح المنصور بن أبي عامر (9) الذي مات في رمضان

1) العبر ، 2 ، 46 - 47 (ط . دوسلان) ، حسب صاحب كتاب مفاخر البربر فان الرهينة التي اشترطها على نفسه هي انفاذ ابنه وابن أخيه الى الأندلس وأن تلك المراسلة كانت بعدما حقق زيري انتصاره الأول(أي بعد استيلائه على تاهرت مباشرة) (مفاخر البربر ، ص : 34) .

2) مفاخر البربر ، ص : 34 وهنا وهناك .

3) ابن خلدون : العبر ، 2 ، 47 (ط . دوسلان) .

4) مفاخر البربر ، ص : 37 _ 38 .

5) نفسه ، ص : 35 _ 36 وهنا وهناك ، العبر ، 2 ، 43 (ط . دوسلان) ، حسب ابن عذاري فان نصير الدولة باديسا خرج الى رقادة في 1 رجب 390هـ/ يونيو - يوليو 1000م ، متوجها لقتال زيري بن عطية الزناتي ، لما بلغه أنه أتى الى أشير ، ثم جاء الخبر برحيل زيري الى المغرب فعاد الى المنصورية (البيان، 1 ، 251) .

6) ترد بعض المصادر سبب وفاته الى انتقاض جراحة التي كان قد أصيب بها في حربه مع عبد الملك ابن محمد بن أبي عامر (القرطاس ، 67 ، أعمال الأعلام ، 3 ، 160 ، الاستقصا ، 1 ، 94).

7) العبر ، 2 ، 47 (ط . دوسلان) ، مفاخر البربر ، ص : 36 ، 39 الاستقصا ، 1 ، 94) يرى ابراهيم حركات أنه قد عنّ للمعز أن يتخلى عن محاربة صنهاجة ليتصدى لحرب بني واندين أصحاب سجلماسة فهزموه سنة 457هـ / 1016 _ 1017م (المغرب عبر التاريخ ، المجلد 1 ، ص : 153) غير أنه يستبعد أن تكون هناك علاقة بين تخلي المعز عن محاربة صنهاجة منذ 391هـ / 1000 _ 1001 م وتصديه لواندين سنة 407هـ / 1016 _ 1017م (بعد ستة عشر سنة) .

8) مفاخر البربر ، ص : 39 .

9) نفسه ، ص 36 ، القرطاس ، ص : 68 ، العبر ، 2 ، 47 ،(ط . دوسلان) ، الاستقصا ، 1 ، 94 .

392هـ(1)/ يوليو ـ أغسطس 1002م ولما تولى ابنه عبد الملك المظفر لم يغير موقفه منه ، بل توصل معه الى اتفاق يقضي : أن يوليه على جميع أعمال المغرب التابعة له « ماعدا كورة سجلماسة » (2) وكان عبد الملك المظفر عقد عليها لحميد بن يصل الكتامي (3) ، عندما كان واليا على المغرب (4) ، ولما انتقلت تلك الولاية الى واضح الفتى (5) رد عليها صاحبها الأسبق واندين بن خزرون بن فلفول (6) ، وفي مقابل ذلك تعهد المعز أن يدفع اليه سنويا مبلغا من المال

---

1) البيان ، 2 ، 301 ، حسب النويري فقد توفي في أول سنة 393 هـ/ 1002 ـ 1003 م (نهاية الارب ، ج 22 ، ص 66 (ط . غرناطة) .

2) العبر ، 2 ، 49 (ط . دوسلان) ، الاستقصا ، 1 ، 95) .

3) العبر ، 2 ، 46 (ط . دوسلان) ، مفاخر البربر ، ص : 33 .

4) كان ذلك بعد انتصاره على زيري بن عطية ، وتذكر بعض المصادر أنه بقي على ولاية المغرب ستة أشهر (القرطاس ، ص : 67 ، أعمال الاعلام ، 3 ، 160 : الاستقصا ، 1 ، 94) وقد رده أبوه الى الاندلس في جمادى سنة 389هـ/ أبريل ـ مايو ـ يونيو 999 م (العبر ، 2 ، 46 (ط . دوسلان) أو في ربيع الأول من نفس السنة / افبراير مارس (مفاخر البربر ، ص : 34) .

5) تجعل بعض المصادر ولاية واضح على المغرب بعد ولاية عبد الملك المظفر أي سنة 389هـ / 998 ـ 999م وتقول بأنه انصرف في نفس السنة ، وأن تلك الولاية انتقلت ، على التوالي ، الى عبيد الله أو عبد الله ابن يحي بن أبي عامر (ابن أخي المنصور) ثم الى اسماعيل البوري ثم الى أبي الأحوص معن بن عبد العزيز التجيبي ، ثم الى المعز بن زيري بن عطية (العبر ، 2 ، 46 (ط . دوسلان) ، البيان ، 1 ، 253 ، مفاخر البربر ، ص : 36) : وهناك مصادر أخرى تذكر أن الذي تولى المغرب بعد عبد الملك هو صاحب الشرطة عيسى بن سعيد ثم واضح الفتى 389هـ/ 998 ـ 999م وبقي حتى سنة 393هـ/ 1002 ـ1003م ثم تولى المعز بن زيري بن عطية (القرطاس ، ص : 67 ، الاستقصا ، 1 ، 93 ـ94) ، قارن بالاعمال الاعلام 3 ، 159 ـ 160 ، جذوة الأقتباس ، ص : 124) .

6) تولى واندين هذا أمر سجلماسة في الفترة الواقعة ما بين 369هـ ـ 373هـ / 979م ـ 984م (أنظر العبر ، 2 ، 52 (ط . دوسلان) ، الكامل ، 7 ، 121) وبقي بها الى أن هزم عبد الملك المظفر زيري بن عطية ففر واندين عن سجلماسة ، وعقد عبد الملك عليها لحميد بن يصل ، ولما عاد واضح الى عمله بفاس استأمن اليه كثير من بني خزر ، من بينهم واندين بن خزرون وابن عمه فلفول بن سعيد ، فأمنهم ورجع واندين الى عمله بعد أن تعهد هو وفلفول بن سعيد بإعطاء واضح ضريبة سنوية كما أعطياه ابنيهما رهنا في أول سنة 390هـ/929م 1000م العبر ، 2 ، 52 ـ 53(ط . دوسلان) ، قارن بالبيان ، 1 ، 254 ، مفاخر البربر ، ص : 34) .

«وعدة من الخيل وأحمالا من السلاح والدرق (1) وغير ذلك مما تدعوه الضرورة الى احتياجه» (2) وأن يكون ابنه معنصر رهينة في قرطبة (3).

وما أن تم التفاهم بينهما حتى كتب له المظفر «عهده وأنفذ به وزيره أبا علي بن جذلم» (4) وذلك سنة 397هـ(5) 1006 ـ 1007م، وبقي هذا الاتفاق ساري المفعول حتى قيام الفتنة بالأندلس (6)، حينئذ انصرف معنصر الى أبيه (7) الذي حاول «التغلب على سجلماسة وانتزعها من أيدي بني واندين بن

---

1) الدرق: ضرب من الترسة والواحدة درقة وتتخذ من الجلود (لسان العرب، 10، ص: 95).

2) مفاخر البربر، ص 39، قارن بأعمال الاعلام، 3، 160، القرطاس، ص 68، البيان، 1، 253، العبر، 2، 47 (ط. دوسلان).

3) العبر، 2، 47، القرطاس، ص: 67، أعمال الأعلام، 3، 160، ويتفق ابن عذاري مع صاحب كتاب مفاخر البربر على أن المعز اتفق مع عبد الملك على أن يكون ولداه حمامة ومعنصر رهينة عنده بقرطبة (البيان، 1، 253، مفاخر البربر، ص: 39).

4) العبر، 2، 47 (ط. دوسلان)، يسميه صاحب كتاب مفاخر البربر أبو محمد بن علي بن جذلم (مؤلف مجهول ص: 39).

5) تختلف المصادر في تحديد التاريخ الذي تم فيه هذا الاتفاق الخاص بتولية المظفر للمعز بن زيري اذ حدث ذلك سنة 393هـ / 1002 ـ 1003م (القرطاس، 68، الاستقصا، 1، 94) أو في ذي القعدة سنة 396هـ / أغسطس ـ سبتمبر 1006م (العبر، 2، 48 (ط. دوسلان)، أو في ذي القعدة سنة 397هـ يونيو ـ يوليو 1007 م (مفاخر البربر، ص: 41) أو 397هـ/ 1006 ـ 1007م (البيان، 1، 253، أعمال الاعلام، 3، 160) أوسنة 399هـ/ 1008 ـ 1009م (مفاخر البربر، ص: 37).

6) قامت هذه الفتنة بعد وفاة المظفر وتولية أخيه عبد الرحمن الحجابة في أول سنة 399/ 1008م (مفاخر البربر، ص 41) أو 398هـ / 1007 ـ 1008م (العبر، 4، 323 فما قبلها (ط. بيروت)، ذلك أن عبد الرحمن تلقب بالناصر لدين الله واستقل بالملك دون الخليفة ثم طالبه أن يوليه عهده فأجابه وتم ذلك في ربيع الأول 419هـ / مارس ـ ابريل 1028م وأصبح يسمى ولي العهد فنقم عليه الأمويون والقرشيون ذلك واتفقوا على تحويل الأمر من المضرية الى اليمنية فانتهزوا فرصة غيابه في احدى الغزوات ببلاد الجلالقة للانقضاض على صاحب شرطته فقتلوه وخلعوا هشاما المؤيد وبايعوا محمدا بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر لدين الله ولقبوه المهدي، ولما علم ولي العهد بالأمر عاد الى قرطبة، وعندما اقترب منها تسلل عنه الجند ووجوه البربر اليها وبايعوا المهدي، ثم اعترض بعضهم عبد الرحمن فاحتز رأسه وحمله الى المهدي وهكذا بدأت الفتنة بالاندلس (عن هذا الموضوع أنظر: العبر، 4، 320 فما بعدها من عدة صفحات (ط. بيروت).

7) البيان،، 1، 253، أعمال الاعلام، 3، 160 ـ 161، ذكر ابن عذاري رواية للرقيق مفادها أن المعز بن زيري، عندما علم بموت المظفر وتقديم أخيه عبد الرحمن لحجابة هشام المؤيد، بعث له هدية مع فتيان من بني عمه وجملة من شيوخ القبائل ووجوه فاس، فسر عبد الرحمن بذلك وشكر المعز وسرح اليه ابنيه، بعد أن كتب له عهده بتجديد الولاية على المغرب كله الا سجلماسة (البيان، 1، 252ـ

خزرون ... سنة سبع وأربعمائة (407هـ/1016 ـ 1017م) وبرزوا اليه في جموعهم فهزموه ورجع الى فاس » (1) وبقي مع ذلك «على رأيه في موالاة من ظهر بالأندلس من المروانية ، الى أن هلك» (2) غير أن استمرار تدهور الأوضاع السياسية في الأندلس شغل حكامها عن الاهتمام بشؤون المغرب فبقي لحاله ، وقد تولى مكان المعز ، بعد موته ، ابن عمه حمامة بن المعز بن عطية (3) فتميز عهده بقيام حرب أخرى بين مغراوة وبني يفرن .

ذلك أن بني يفرن ، بعدما هزمهم زيري بن عطية ، ومات رئيسهم يدو ، واجتمعوا على ابن أخيه حبوس بن زيري بن يعلى (4) وقد قتله ابن عمه أبو يدّاس بن دوناس للاستيلاء على الحكم لكن قومه ثاروا عليه ، فاضطر أن ينجو بأنصاره الى الأندلس وانتقلت رئاستهم الى حمامة بن زيري بن يعلى أخي حبوس (5) ف «تحيز بهم الى ناحية شالة (6) (سلا) ... فملكوها وما اليها من

---

1) العبر ، 2 ، 48 (ط . دوسلان) .

2) البيان ، 1 ، 254 ، مفاخر البربر ، ص : 37 ، تختلف المصادر في تحديد تاريخ موته ، فبعضها يحدده سنة 426هـ 1025 ـ 1026م (البيان ، 1 ، 254) ، وبعضها يحدده بسنة 417هـ/1026 ـ 1027م (العبر 2 ، 48 (ط . دوسلان) ، مفاخر البربر ، ص : 42 ، الاستقصا ، 1 ، 95) وبعضها يحدده بسنة 22هـ 1030 ـ 1031م (القرطاس ، ص : 68 ، أعمال الأعلام ، 3 ، 161) .

3) حسب ابن عذاري فهو ابنه ويلقب أبو العطاف حمامة (البيان ، 1 ، 254) لكن المصادر الأخرى تنفي ذلك وتؤكد بأنه ابن عمه (العبر ، 2 ، 48 (ط . دوسلان) ، القرطاس ، ص : 67 ، الاستقصا ، 1 ، 95 ، قارن بأعمال الأعلام ، 3 ، 161) .

4) مؤلف مجهول : مفاخر البربر ، ص : 22 ، يسميه ابن خلدون جبوس (بالجيم) (العبر ، 2 ، 29 (ط . دوسلان)

5) العبر ، 2 ، 29 ، مفاخر البربر ، ص : 26 .

6) تكتبها بعض المصادر كما هي هنا (شالة) (القرطاس ، ص : 68 ، الأستقصا ، 1 ، 95) ويكتبها البعض الآخر سلا (العبر ، 2 ، 44 (ط . دوسلان) ، القرطاس ، ص : 69 ، الاستقصا ، 1 ، معجم البلدان ، 3 ، 109 ، الأدريسي : صفة المغرب ، ص : 70) وتقع عند مصب وادي بورقرق ، في مكان مدينة الرباط الحالية (*Le Passé de l'Afrique du Nord*, p. 375
عنها أنظر : E.I. (*Art.* Salà), t. 4, p. 86

تادلة (1) » ولما مات قام بأمر بني يفرن أخوه الأمير أبو الكمال تميم بن زيري (2) فسالم مغراوة في بداية عهده (3) غير أنه قام بحملة على فاس سنة 424هـ/ 1032ـ1033م واستولى عليها، بعد أن هزم أميرها المغراوي حمامة بن المعز (4) ولجأ حمامة بعدهزيمته ، الى مدينة وجدة (5) « فأقام بها سنة وقد تفرقت عنه جيوشه (6) » ومع ذلك لم يسلم بالأمر الواقع : اذ راح يتجول في المغرب الأوسط ويجمع فروع مغراوة وزناتة الموالية لهاحتى وصل مدينة تنس ، ولما أتم استعداده هجم على أبي الكمال تميم ، وأجبره على الانسحاب من فاس والعودة الى مقر حكمه في سلا (7) .

وقد اقتصرت بعد ذلك ، كل امارة من الامارات الزناتية الثلاث ، على الاحتفاظ بما كان في حوزتها من الأراضي : إذ بقيت فاس والمناطق التابعة لها من نصيب أسرة زيري بن عطية الخزري المغراوي وسجلماسة والمناطق التابعة لها من نصيب بني خزرون بن فلفول الخزري المغراوي وسلا وتادلة لأسرة يعلي بن محمد بن صالح اليفرني . وباستثناء الفتن الداخلية التي كان يحدثها أفراد الأسرة الحاكمة بفاس (8) فان المصادر لا تشير الى أي حادث بين تلك الامارات التي استولى على

1) العبر ، 2 ، 29 (ط . دوسلان) ، حسب .TERRASSE فان بني يفرن أقاموا بسلا وتادلة بعيدا عن ميدان الصراع الدائر بين الفاطميين والامويين وأظهروا استقلالهم عن الأندلس بارتباطهم بالزيريين (الصنهاجيين إلا أنه لم تكن لهذه البادرة أهمية من الناحية العملية ، فقد تصالحوا في نهاية الأمر مع الأسرة الحاكمة في قرطبة وقدموا عدة وحدات عسكرية الى ابن أبي عامر *La Politique des califes de Cordoue au Maroc* p. 6).

2) العبر، 2، 29 (ط. دوسلان ؛ الاستقصا، 1، 95 ؛ يسميه ابن القاضي أبوكامل تميم (جذوة الاقتباس، ص: 105) ويسميه ابن أبي زرع تميم بن زمور بن يملي بن محمد بن صالح اليفرني (القرطاس، ص:68)؛ ويسميه ابن الخطيب تميم بن يعلى (أعمال الأعلام، 3، 161) .

3) العبر، 2، 30 (ط. دوسلان) .

4) نفسه ، القرطاس، ص: 68 ـ 69؛ الاستقصا، 1، 95 .

5) العبر ، 2، 30 ؛ القرطاس، ص : 69 ـ 95 ؛ جذوة الاقتباس، ص: 105 ؛ حسب ابـن الخطيب فقد فر الى تلمسان (أعمال الاعلام ، 3 ، 161)

6) ابن أبي زرع : القرطاس ، ص : 69 .

7) تحدد بعض المصادر التاريخية وقوع هذا الحدث بسنة 429هـ / 1037 ـ 038م (العبر ، 2 ، 30 ، (ط . دوسلان) ، القرطاس ، ص : 69 ، الاستقصا ، 1 95 ؛ ويحدده البعض الآخر بسنة 431هـ/ 1039 ـ 1040م (أعمال الاعلام ، 3 ، 161 ، القرطاس ، ص : 69 ، جذوة الاقتباس ، ص : 105) .

8) عن هذه الفتن انظر : العبر، 2 ، 49ـ50 (ط . دوسلان) ، القرطاس ، ص : 69فما بعدها ، أعمال الاعلام ، 3 ، 161 ـ 162 ؛ البيان ، 1 ، 254 ، الاستقصا ، 1، 254 ، الاستقصا ، 1، 96ـ97 .

جميعها المرابطون في مطلع النصف الثاني من القرن الخامس الهجري (1) (النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي) .

ومما يلفت النظر ، عند دراسة تاريخ هذه الامارات الزناتية الثلاث ، منذ موت زيري بن عطية المغراوي سنة 391 هـ/ 1000 ـ 1001 م ، هو انهاء حالة الحرب بينها وبين آل زيري ابن مناد الصنهاجي ، فما عدا ما ذكره ابن خلدون من أن الأمير القائد بن حماد ، صاحب قلعة بني حماد ، زحف على فاس سنة 430 هـ/ 1038 ـ 1039 م ، ولما خرج حمامة لحربه استطاع أن يرشي أصحابه فتفرقوا عنه مما جعل حمامة يسالمه ويطيعه وانتهى الأمر برجوع كل واحد من حيث أتى (2) .

ولا يعني انهاء حالة الحرب هذه أن العلاقات قد تحسنت بين الطرفين : الزناتي والصنهاجي ، اذ لا يوجد في هذا المجال أيضا سوى ما ذكره ابن خلدون من أن حمامة بن زيري أمير بني يفرن (3) بسلا بعث الى المنصور (ويعني به باديس) صاحب القيروان هدية مع أخيه زاوي بن زيري سنة 406هـ/1015 ـ 1016م فوافاه بها وهو محاصر لعمه حماد بالقلعة ، فاستقبله بالبنود والطبول (4)

وبمعنى آخر يمكن القول أنه كان هناك ركود في العلاقات بين بني زيري ابن مناد الصنهاجيين والامارات الزناتية بالمغرب الأقصى لكن ذلك لا يعني أن الصراع الزناتي الصنهاجي قد أنتهى ، فهناك مجموعة زناتية أخرى سببت أتعابا كبيرة لبني زيري هؤلاء في المناطق الشرقية من امارتهم ، خاصة منها منطقة طرابلس التي كانت محل خلاف بينهم وبين حكام مصر.

---

1) عن هذا الموضوع انظر: العبر ، 2 ، 53 وهنا وهناك ، القرطاس ، ص : 70 فما بعدها ، الاستقصا ، 1 ـ 95 فما بعدها ، انظر : الخريطة رقم (8)

2) العبر، 2، 50(ط. دوسلان)، حسب ابن الخطيب فإن حمامة بن زيري هو الذي تحرك لحرب القائد ودارت بينهما عدة معارك وانتهى الامر بابرام صلح بينهما (أعمال الأعلام ، 3 ، 186) ، ويلاحظ Golvin ان مدة ملك حماد لم تعرف حربا مع زناتة ولا يرجع ذلك الى عقد صلح أوهدنة بين الطرفين ، بل هو نتيجة للفتن الداخلية التي عرفتها زناتة (*Le Maghreb central à l'époque des Zirides*, p. 110).

3) عنه أنظر : ما قبل ، ص : 278 .

4) ابن خلدون : العبر ، 2 ، 29 (ط . دوسلان) .

زناتة وصنهاجة في المناطق الشرقية من بلاد المغرب :

بعث عامل باديس على طرابلس ، تمصولت بن بكار (1) ، استقالته الى الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله (2) فقبلها وعين يانسا الصقلي في منصبه سنة 390هـ (3) /999 ـ 1000م، ولما علم باديس بالأمر أرسل يطلب منه توضيحات عما حدث وأن يبعث له « السجل بالولاية » أي قرار تعيينه ان كان في حوزته (4) على اعتبار أن ولاية طرابلس تابعة له منذ 367 هـ (5) / 977 ـ 978 م ، وبالتالي يكون هو المسؤول عن عزل وتولية عمالها ، غير أن يانسا أساء الرد عليه بقوله « إنما بعثت نائبا عن أمير المؤمنين ومثلي يكبر عن أن يولى بسجل » (6) مما دعاه الى أن يُخْرِجَ إليه قائده جعفراً بن حبيب فقتله ، وهزم جيشه (7) بمكان يقال له زنزور من ضواحي طرابلس(8)ولجأ « فتوح بن علي من قواده » (9) ببقية أصحابه الى المدينة وحاصره بها جعفر بن حبيب الى أن وصلته رسالة من يوسف ابن عامر،عامل قابس ، يذكر له فيها أن فلفولا بن سعيد قد نزل على قابس ، وأنه قاصد الى طرابلس ، فرحل جعفر الى ناحية الجبل أي جبل نفوسة (10) وقصد

---

1) العبر ، 2 ، 56 (ط . دوسلان) .
2) هوأبو علي المنصور ، الحاكم بأمر الله ، سادس الخلفاء الفاطميين ، ولد سنة 375هـ / 985م وبويع بالخلافة في رمضان 386هـ / 14 أكتوبر 996م ومات في 27 شوال 411هـ / 13 فبراير 1021م ، عنه انظر :
E.I. (*art.* Al-Hàkim Bi-Amr-Allàh), t. I, p. 79 SQQ, Nouvelle édition).
3) العبر ، 2 ، 56 (ط . دوسلان) ، الكامل ، 7 ، 199 ، يرجع سبب تقديم العامل لاستقالته الى أنه كون ثروة طائلة من اغتصاب أموال الناس ، وعلم باديس بذلك فاستدعاه الى القيروان لتوضيح الامور فخاف على نفسه وماله ومن ثم عرض على الحاكم الفاطمي طرابلس وأستأذن في القدوم عليه فأذن له بتأثير من الأستاذ أبي الفتح برجوان الصقلي ، صاحب النفوذ في القصر الذي وجد في ذلك فرصة للتخلص من منافسة يانس له بتعيينه عاملا على طرابلس
La Berbérie orientale sous les Zirides, p. 100).
4) رحلة التجاني ، ص : 182 ، الكامل ، 7 ، 199 .
5) ابن عذاري : البيان ، 1 ، 230 ، العبر ، 2 ، 200 (ط . دوسلان) ، المؤنس ، 76 .
6) رحلة التجاني ، ص 182 .
7) نفسه ، ص : 182 ـ 183 ، العبر ، 2 ، 56 ، الكامل ، 7 ، 199 ، أنظر *La Berbérie orientale sous les Zirides*. pp. 99-100.
8) رحلة التجاني ، ص : 182 .
9) العبر ، 2 ، 56 (ط . دوسلان) ، وهو فتوح بن على بن غفيانان (العبر ، 2 ، 57 (ط . دوسلان) .
10) لجأ الى يحي بن محمد أمير نفوسه ، أنظر : HADY ROGER IDRIS (*Op.Cit*, p. 101.)

فلفول طرابلس فتلقاه أهلها وتنازل له فتوح بن علي عن امارتها (1) وذلك سنة 390هـ (2)/999 ـ 1000 م أو 391هـ (3) /1000 ـ 1001م ، وسار جيش باديس بعدئذ الى قابس (4) .

وبهذا يكون المطاف قد انتهى بفلفول بن سعيد الى طرابلس ، بعد فراره الى الصحراء ، أمام باديس ، وأتاح له الخلاف الذي وقع بشأنها فرصة ثمينة مكنته منها بدون أية تكاليف ، وكان المحاصرون بها قد بعثوا يطلبون النجدة من الحاكم بأمر الله (5) فعقد لِيَحيَ بن علي بن حمدون الأندلسي (6) على أعمال طرابلس وقابس (7) وأمدهم به ، لكن هذا الأخير وصل اليهم في أسوء حال ، لأن الخليفة ، حسب رواية ابن الأثير ، أطلق له حرية التصرف فيما

---

1) العبر ، 2 ، 56 ـ 57 (ط. دوسلان) ، قارن بالكامل ، 7 ، 199 ـ 200 ، رحلة التجاني ، 182 ـ 183 ، البيان ، 1 ، 251ـ252 .

2) رحلة التجاني ، ص82 فما بعدها ، الكامل ، 7 ، 199 ـ 200 .

3) العبر ، 2 ، 57 ، البيان ، 1 ، 151 ـ 152 ، يرى العبادي أن الخليفة الحاكم هوالذي لجأ الى قبيلة زناتة وأطمعها في الاستقرار بطرابلس لاستغلالها في ميدان المنافسة ضد أطماع صنهاجة (سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس ، ص : 215) .

4) العبر ، 2 ، 57 (ط . دوسلان) ، حسب HADY-ROGER IDRIS أن العذاب الذي قاساه الصنهاجيون بنفوسه جعل قائدهم يخاطر بمعركة لفتح طريق قابس ، غير أن فلفولا تركه يدخل الى القيروان ولم يحاول أن يعترض سبيله إما بسبب الضعف إما مسألة تكتيكية (Op.cit, p. 101.)

5) الكامل ، 7 ، 199 ـ 200 ، حسب ابن خلدون فان فلفول هو الذي استنجد بالحاكم لاسترجاع طرابلس من صنهاجة المتغلبين عليه (العبر ، 4 ، 180 (ط . بيروت) ، يرى HADY-ROGER IDRIS أن فلفول هو الذي طلب من الحاكم ارسال عامل طرابلس وأما تأكيد ابن الأثير بأن سكانها هم الذين استنجدوا به ، فهو عبارة عن تأويل للمؤلف ، تستبعد صحته ، لأن جعفر بن حبيب غادر طرابلس واستولى عليها فلفول ، الشيء الذي لم يتعرض ابن الاثير للحديث عنه ، .Op.cit, p. 101 الا أن هذا الرأي ، لم يأخذ بعين الاعتبار على ما يبدو ، المدة التي تعرضت فيها طرابلس لحصار جعفر بن حبيب ، قبل وصول فلفول والتي يمكن خلالها لأهل طرابلس أن يستنجدوا فيها بالحاكم بأمر الله .

6) هو أخو جعفر بن علي الاندلسي ، وكان قد لجأ الى مصر بعدما قتل المنصور بن أبي عامر أخاه جعفرا (العبر ، 4 ، 179 (ط . بيروت) .

7) العبر ، 2 ، 57 (ط . دوسلان) .

يجده من مال ببرقة ، ولم يجد شيئا (1) ومعنى هذا فان الخليفة لم يزود حملته بما تحتاجه من مال ، ورغم ذلك لم يتوقف يحي عند حد طرابلس بل زحف منها و « معه فلفول بن سعيد وفتوح بن علي بن غفيانان في عساكر زناتة الى حصار قابس فحاصروها مدة ورجعوا » (2) ولا يستبعد أن يكون يحي أراد ، من وراء هذا الحصار أن يستولى على قابس لإنجاز المهمة التي كلفه بها الخليفة ، وهي السيطرة عليها وعلى طرابلس وأن يزود جيشه بما عساه أن يحصل عليه من غنائم ، بعد إلحاق الهزيمة بأنصار باديس فيها ، غير أنه فشل في تحقيق هدفه ورجع الى طرابلس .

وبالرغم من أن فلفولا كان « بعث بطاعته الى الحاكم » (3) بعدما دخلها ، وتنازل له فتوح بن على عن امارتها الا أنه ، على ما يظهر ، لم يكتف بعدم التنازل عن حكمها ليحي بن علي فحسب بل انه استغل ضعفه الناتج عن ظروفه المادية الصعبة ، لمعاملته معاملة سيئة حتى اضطره أن يعود الى مصر ، وهو ما يستنتج من قول ابن الأثير « ولما رأى يحي بن على ما هو عليه من قلة المال واختلال حاله وسوء مجاورة فلفل (فلفول) وأصحابه له رجع الى مصر... بعد أن أخذ فلفل وأصحابه خيولهم وما اختاروه من عددهم بين الشراء والغصب » (4) .

ويتفق كل من ابن خلدون وابن الأثير على أن فلفولا بقي يسيطر على طرابلس الى أن توفى سنة 400هـ(5)/1009 ـ 1010م ، لكن الأول يضيف أن الفتنة

---

1) الكامل ، 7 ، 200 ، لا يتعرض ابن خلدون ، في حديثه عن يحي ، الى الناحية المالية لكنه يذكر وصوله الى طرابلس(العبر ، 2 ، 57 (ط . دوسلان) ، ويقول في مكان آخر بأنه عندما توجه من مصر لامداد فلفول اعترضه بنو قرة ببرقة فهزموه وأخذوا ما معه ، فعاد الى مصر وبقي بها الى أن مات (العبر ، 4 ، 180 (ط . بيروت) ، حسب HADY-ROGER IDRIS فان الجيش الذي رافق يحي كان يتكون أساسا من بني قرة *La Berbérie orientale*, p. 101.

2) العبر ، 2 ، 57 ، قارن بالكامل ، 7 ، 218 . (ط . دوسلان) .

3) ابن خلدون : العبر ، 2 ، 57 (ط . دوسلان).

4) ابن الأثير : الكامل ، 7 ، 218 ، قارن بالعبر ، 2،57 (ط . دوسلان) ، حسب HADY-ROGER IDRIS. فان فلفولا استخف بيحي لأنه أعطى صورة سيئة عن نفسه ، فهو قائد ضعيف ذو ذكاء محدود *La Berbérie orientale sous les Zirides*, pp. 101-102.)

5) العبر ، 2 ، 57 (ط . دوسلان) ، الكامل ، 7 ، 218 .

طالت « بينه وبين باديس ويئس من صريخ مصر فبعث بطاعته الى المهدي محمد ابن عبد الجبار بقرطبة وأوفد عليه رسله في الصريخ والمدد وهلك... قبل رجوعهم اليه » (1) وهذا يعني أن فلفولا ، بعدما رفض الحاكم الفاطمي طاعته ، بعث بها الى الخليفة الأندلسي رغبة منه في الحصول على مساعدة تمكنه من التصدي لباديس . لكنه مات قبل عودة رسله ، مع العلم أنه ، باستثناء اشارة ابن خلدون المبهمة هذه ، ليس هناك ما يدل على وقوع حرب بينه وبين جيوش باديس منذ حصار قابس وأسباب ذلك واضحة .

فمن ناحية فلفول ، لم تكن لديه إمكانيات كافية يستطيع أن يضمن بها الإنتصار في حالة قيامه بهجوم ، بدليل أنه لم يستطع الاستيلاء على قابس مع أن يحي وفتوحا كانا معه بجيشيهما في هجومه عليها ، ومن ثم لم يكن من مصلحته القيام بمحاولات أخرى قد تؤدي الى هزيمته .

ولم يكن في استطاعة باديس من جهته أن يتحرك اليه ، عندما استولى على طرابلس وحاصر قابس ، لأنه في نفس ذلك الوقت انضم أعمامهُ الى زيري ابن عطية الزناتي الذي كان يضرب حصارا على عمه وقائده حماد بأشير ، في الجهة الغربية من إمارته ، فكان لابد له من البقاء بالقرب من ميدان الأحداث حتى يراقب تطورها ويتفادى ما يمكن أن ينجم عنها من أخطار .

وقد تطورت الأحداث لصالحه ، بعبور بعض أعمامه الى الأندلس سنة 390هـ/999 ـ 1000 م وانسحاب ابن عطية من حصار أشير ثم تصدّى عمه حماد لأعمامه الآخرين « فهزمهم وتقبض على ماكسن منهم فأطعمه الكلاب وقتل أولاده محسن وباديس ... ونجافلهم الى جبل شنوة (2) فنازلهم ... أيام وعقد لهم السلم على الإجازة الى الأندلس فلحقوا بابن أبي عامر سنةاحدى وتسعين وثلاثمائة (391هـ/1000 ـ 1001م) وهلك زيري بن عطية المغراوي

---

1) العبر ، 2 ، 57 (ط . دوسلان)، أنظر : HADY ROGER IDRIS : *Op-Cit.*, p. 103.

2) تقع في المنطقة الواقعة غرب شرشال وشمال مليانة HADY ROGER IDRIS : *La Berbérie orientale sous les Zirides*. p. 97).

لتسعة أيام من مهلك ماكسن » (1) وهنا حاول باديس أن يلتفت الى شرق إمارته لمواجهة فلفول بن سعيد بها فاستقدم عمه حماد «ليستعين به» (2) عليه لكن غياب حماد ترك فراغا تسبب في قيام اضطرابات بالمغرب الأوسط ، اذ **(أظهرت زناتة الفساد وأضروا بالسابلة وحاصروا المسيلة وأشيرا» (3) ويـرى** Hady Roger Idris أن المعز بن زيري بن عطية بدأ عهده بالالتفات نحو المغرب الأوسط مثل والده ، وكان الوقت مناسبا لأنه لم يكن يخشى ملاقاة حمّاد الذي استدعي الى القيروان ولا ملاقاة باديس الذي كان في صراع مع فلفول في شمال المغرب الأدنى (4) ، أي أن زناتة التي تسببت في الاضطرابات التي قامت في المغرب الأوسط آنذاك حسب رأيه ، كانت تابعة للمعز بن زيري بن عطية ، لكن ما يلاحظ هو أن ليس هناك ، في أغلب الظن ، أية علاقة بينها وبين المعز بن زيري ، أي أنها لم تكن تدين له بالطاعة : لأن المصادر تتفق على أن المعز عندما تولى الأمر سالم صنهاجة(5) من ناحية ولا تشير الى وجود أية علاقة للمعز بباديس .

والمهم أن باديسا أضطر الى رد عمه الى مكان عمله «وجعل له تملك كل ما يفتحه ، وأعفاه من الوصول الى افريقية ...» (6) واستمرت الأحوال في طرابلس على ما كنت عليه ، أي أن السيطرة فيها بقيت لفلفول حتى مات سنة 400 هـ / 1009 ـ 1010 م ، وتولى مكانه أخوه ورّو بن سعيد ، عندئذ توجه

---

1) العبر، 2، 203(ط.دوسلان)، قارن بالبيان ، 1، 252، حسب ابن الأثير فان أولاد زيري بن مناد وهم زاوي وجلالة وماكسن اخوة بلكين ، انتقلوا الى الأندلس لأن أخاهم حماد هزمهم فتوجهوا الى طنجة ثم الى قرطبة ...(الكامل ، 7 ، 120) .

2) العبر، 2، 203(ط.دوسلان)، حسب Hady Roger Idris فان قرار باديس هذا يعني أنه كان يرى بأن سلطته قد توطدت في المغرب الأوسط وأنه في حاجة الى كل قواته لتعزيزها شمال المغرب الأدنى، ومن جهة أخرى الا تكون قوة حماد بن بلكين بالمغرب الأوسط تشكل خطرا عليه ؟ من المؤكد أن ما تعلمه باديس من خيانات أعمامه جعلته يحذر من طموح هذا العم (*Op.Cit.*, p. 97-98)

3) العبر، 2، 203 (ط. دوسلان) ، قارن بأعمال الأعلام، 3، 69 ـ 70 .

4) Hady Roger Idris : *La Berbérie orientale sous les Zirides*, p. 28.

5) العبر ، 2 ، 47 (ط. دوسلان) ، مفاخر البربر ، ص : 36 ، 39 ، الاستقصا ، 1 ، 94 .

6) ابن الخطيب : أعمال الأعلام، 3، 69، أنظر : Hady, Roger, Idris : *La Berbérie orientale sous les Zirides*, p. 98).

باديس بنفسه ، على رأس جيش اليه ، لكن وَرَّو لم يجرؤ على مجابهته ، بل انسحب من المدينة قبل وصوله ، ولمّا دخلها باديس بدون قتال ، بعث اليه ورّو وفدا يقترح عليه «أن يكون هو ومن معه من زناتة في أمانه ويدخلون في طاعته ويجعلهم عمالا كسائر عماله» (1) فقبل باديس اقتراحه وولاه هو «على نفزاوة (2) والنعيم بن كانون على قسطيلية» (3) واشترط عليهما أن يرحلا بقومهما عن أعمال طرابلس ، ولما تم ذلك رجع باديس الى القيروان بعد أن ولى على طرابلس محمد بن حسن (4) الا أنه لم تمض مدة طويلة عن تطبيق هذا الاتفاق حتى بدأت الاوضاع تتدهور من جديد .

ففي سنة 401هـ/1010ـ 1011م ، أعلن ورّو عصيانه وقصد جبال إيدمر (5) ، حيث انضم اليه أهلها (6) ، ثم مضى الى طرابلس فخرج اليه عاملها محمد بن حسن وهزمه ، لكنه كر عليها مرة أخرى وحاصرها (7) مما جعل باديسا يصدر

---

1) الكامل ،7، 218، قارن بالعبر، 2، 57 (ط. دوسلان) ، البيان، 1، 258، أنظر HADY ROGER IDRIS *Op.Cit.*, pp. 103-104.

2) مدينة من أعمال افريقية تقع على بعد ستة أيام الى الغرب من القيروان ، وتبعد عن قابس بثلاثة أيام وعن قفصة بمرحلتين وعن قيطون بثلاث مراحل (معجم البلدان، 4، 799) ونفزاوة أيضا عدة مدن والمدينة الكبرى التي ينزلها العمال يقال لها بشرة وتحيط بمدنها الجنوبية الرمال ومن مدائن نفزاوة الى مدائن قسطيلية ثلاث مراحل (اليعقوبي : وصف افريقية الشمالية ، ص : 10) .

3) العبر، 2، 57 (ط. دوسلان) ، قارن بالكامل، 7، 218، أنظر HADY ROGER IDRIS : *Op.Cit.*, p. 104.

4) العبر ، 2 ، 57 (ط . دوسلان) ، قارن بالكامل ، 7 ، 218 ، يرى HADY ROGER IDRIS أنه يحتمل أن يكون باديس ولي على قابس في ذلك الوقت أخاه إبراهيم بن المنصور ، وكان يتولاها ، حتى ذلك الوقت بنو عامر (*La Berbérie orientale sous les Zirides*, p. 104).

5) يقع جبل إيدمر على بعد ثلاث مراحل من جبل قزول ، ومرحلتين من سلكايا وهو صحراء بلا ماء (الادريسي : وصف المغرب ، ص 63) .

6) حسب HADY ROGER IDRIS فان ورو قصد جبال نفوسة التي يسكنها «آيت دمر» (*Ibid*, p. 104))

7) ابن خلدون : العبر ، 2 ، 57 ـ 58 (ط . دوسلان) .

أوامره « الى خزرون أخيه (1) والى النعيم بن كنون أمراء الجريد (2) من زناتة بأن يخرجوا لحرب صاحبهم فخرجوا اليه وتواقفوا بصبرة ما بين قابس وطرابلس ثم اتفقوا ولحق أصحاب خزرون بأخيه » (3) وعاد هو الى مقر عمله فاتهم بالتواطؤ مع ورّو واستدعى الى القيروان فخاف و « أظهر الخلاف » ولما توجه اليه القائد فتوح بن أحمد على رأس جيش فر الى أخيه ، والتحق به النعيم ومن معه من زناتة سنة 404 هـ/ 1013 ـ 1014 م ، ولم يبق في استطاعة باديس بعدئذ أكثر من أن ينتقم من الزناتيين الذين كانوا بحضرته ، سواء منهم الرهائن أو اللاجئون ، لانشغاله آنذاك ، بمشكل عمه حماد (4) .

فهذا الأخير ، بعد أن سيطر على الوضع في المغرب الأوسط (5) ، أسس مدينة القلعة المنسوبة اليه « قلعة حماد » (6) واستقر بها ، ثم أخذت بعض

1) يذكر ابن خلدون بأن خزرون بن سعيد خالف أخاه ورو سنة 402هـ / 1011 ـ 1012م وقدم على باديس بالقيروان فولاه عمل أخيه« نفزاوة » وولى بني مجلية من قومه قفصة (العبر ، 2 ، 57 ـ 58 (ط . دوسلان) ، ويتفق معه ابن عذاري في تاريخ وصوله الى باديس ، مضيفا أنه كان معه سبعين فارسا من زناتة ، لكنه لا يسمى المدينة التي ولاه عليها ولا يشير الى بني مجلية أنظر (البيان ، 1 ، 259) ، أما أبن الاثير فيقول : «ثم ان خزرون ... جاء الى باديس ودخل في طاعته وفارق أخاه فأكرمه باديس وأحسن اليه ثم أن أخاه خالف على باديس وسار الى طرابلس »(الكامل ، 7 ، 218) وهو ما يستنتج منه أن دخول خزرون طاعة باديس سبق ثورة أخيه عليه واذا صح هذا فقد يكون السبب في خلاف ورو على باديس .

2) بلاد الجريد : منطقة صحراوية ، تقع جنوب غرب القطر التونسي ، وبها واحات نفطة وتوزر والوديان والحامة (وهي غير حامة قابس) ، وكان الجريد في العصر الوسيط يسمى عادة قسطيلية ، لكن هذه التسمية كانت أحيانا مرادفة لاسم توزر (...) وكثيرا ما تشمل مع الجريد الحالي قفصة ونفزاوة (...) وحتى منطقة قابس في بعض الاحيان (...) ، عنها أنظر : E.I. (*Art.* Djarid), t. II., p. 474. SQQ. Nelle Edition.

3) العبر ، 2 ، 58 (ط . دوسلان) ، حسب ابن الأثير فانه عندما خالف ورو على باديس وسار الى طرابلس سار اليه خزرون ليمنعه وذلك سنة 403هـ/1012ـ1013م(الكامل ، 7، 218).

4) العبر ، 2 ، 58(ط .دوسلان)، أنظر : Hady Roger Idris : *Op.Cit.*, p. 105.

5) يرى Hady R. Idris. أنه لا توجد تفاصيل أخبار العمليات التي يبدو أنها تمت بحزم ، وبنجاح سريع ، إذ يكون الصنهاجيون الحضر قد تعطشوا شئاما للأمن وللدخول تحت راية أمير منهم قادر على ايقاف زحف عدوهم التقليدي ، المتمثل في زناتة البدو ، وقد كان مؤسس القلعة ، فيما بعد ، هو الرجل المنتظر وبدون شك فإن زناتة ، بعدما طردت من المغرب الأوسط يئست من قدرتها على مواجهة حماد وصنهاجة في وقت مبكر ، لاسيما وأن الضغط الزناتي الذي كان يقوده فلفول . في أقصى شرق المغرب ، قد أجهض تقريبا بالإضافة إلى كونها ، في المقابل ، استردت بسرعة نفوذا كبيرا بالمغرب الأقصى (*Ibid.* pp. 98-99)

6) العبر ، 2، 58(ط .دوسلان)، أعمال الاعلام ، 3، 69 ـ 70 ، عن هذا الموضوع أنظر :
E.I. (*art.* Hammadides), t.III., p. 139, Nouvelle édition.

الأشاعات تصل الى باديس في شـأنه فتغـاضى عنها في البـداية لكنهـا كثرت (1) فأصدر اليه أمرا بالتنازل عن بعض المقاطعات من أعماله (2) «اختيارا لطاعته» (3) وبعث اليه القائد هاشما بن جعفر لاستيلامها منه ، ومعه عمه ابراهيم لاقناع أخيه بالامتثال لأمره لكن ابراهيم ، عندما تقدم اليه ، لم يكتف بتشجيعه على الخلاف ، بل انضم اليه حين خرج على رأس جيش يقدر بثلاثين ألف رجل لقتال هاشم الذي بقي بقلعة شقبانارية (الكاف) ينتظر نتائج لقائهما ، فهزماه الى باجة (4) سنة 405 هـ (5) / 1014 ـ 1015 م .

عندما وصل الامر الى هذا الحد ، جهز باديس نفسه وزحف على العم المنشق فهزمه ، في معركة وقعت بينهما في أول جمادي الأولى سنة 406 هـ (6) / أكتوبر ـ 1015 ، ومع ذلك كان الحظ بجانب حماد لأن باديسا عندما لاحقه

---

1) ابن الأثير : الكامل ، 7 ، 276 .

2) تختلف المصادر في تحديد هذه المقاطعات ، فابن الأثير يذكر أنه طلب منه أن يتنازل عن مدن تيجس وقصر الافريقي وقسنطينة (الكامل ، 7 ، 276) ويقول ابن خلدون بأنه طلب منه أن يتنازل له عن عمل تبجس وقسنطينة (العبر ، 2 ، 203) أما ابن الخطيب فيقول بأنه طالبه أن يرفع يده عما حازه من الأعمال (أعمال الأعلام ، 3 ، 71) .

3) العبر ، 3 203 (ط . دوسلان) .

4) الكامل ، 7 ، 276 ، قارن بالعبر ، 2 ، 203 (ط. دوسلان) .

5) يستنتج ذلك مما ذكره أبو الفداء وابن الخطيب من أن خلاف حماد على باديس كان سنة 405هـ/ 1014 ـ 015كم (المختصر، 4، 24، أعمال الأعلام، 3، 71 ـ72) غير أن هذين المصدرين لا يشيران الى هزيمة حماد لهاشم .

6) المختصر، 4، 24، الكامل، 7، 276 ـ 277 ، يذكر إبن خلدون أن السلطان باديسا « شغل بحرب عمه حماد ولما غلبه بشلف وانصرف الى القيروان بعث اليه وَرُّو بطاعته عنه ثم كان مهلك ورّو سنة خمس وأربعمائة » (العبر، 2، 58) مما يستنتج منه أن هذه المعركه وقعت بشلف سنة 405هـ/ 1014 ـ 1015م .

وحاصره بقلعته (1) توفي فجأة في ذي القعدة سنة 406هـ (2) / أبريل ـ مايو 1016م ، وعاد أصحابه الى المنصورية لمبايعة ابنه المعز(3) .

وكان عمر المعز ، عندما بويع بالامارة ، في 14 ذي الحجة 406 هـ (4) / مايو ـ يونيو 1016 م ، ثمان سنوات ، وكانت جدته هي التي « تباشر الامور وتصرف الأحوال من رأيها » (5) وقد تحرك الى باغاية سنة 408 هـ / 1017 ـ 1018 م ، وكان حماد بن بلكين يحاصرها (6) ، فلما علم باقترابه منه تركها وراح يعترض طريقه فالتقيا « بموضع يقال له تنني » (7) في آخر ربيع الأول (8) / (جويلية) ودار بينهما قتال انتهى بانتصار المعز لكنه بدلا من أن يلاحق المنهزمين ويحاصرهم بالقلعة التي لجأوا اليها ، كما فعل أبوه ، اكتفى بتلك النتيجة المحدودة ورجع الى عاصمته (9) حيث استقبل القائد بن حماد وعقد معه صلحا اعترف له فيه باستقلال المناطق التي شملتها الدولة الحمادية بعد ذلك(10).

---

1) الكامل ، 7 ، 277 ، العبر ، 2 ، 203 (ط. دوسلان) ، يسميها أبوالفداء قلعة مغيلة (المختصر ، 3 ، 24)

2) الكامل ، 7 ، 277 ؛ نزهة الأنظار ، ص : 139 ؛ المختصر ، 4 ، 24 ، أعمال الأعلام ، 3 ، 72 ؛ حسب ابن أبي دينار فإنه مات عندما خرج لقتال زناتة في طريق المحمدية في آخر ذي القعدة (مايو) (المؤنس ، ص : 31) ؛ ويلاحظ (JULIEN (CH-A.),) أن باديسا خضع للفاطميين أكثر من أبيه بدون أية فائدة ، ففي الوقت الذي انشق عنه حماد ، لم يتلق أدنى مساعدة من مصر ، مع أن الثائر اعترف بالسيادة العباسية (*Histoire de l'Afrique du Nord*, t. II, p. 69)) لكن هذا الرأي يحتاج إلى نظر لأنه لم يأخذ بالاعتبار ، على ما يبدو ، الخلاف الذي وقع حول طرابلس ، كما أن المصادر المستخدمة في هذا البحث لا تشير إلى أي اتصال بين حماد والخليفة العباسي .

3) ابن الأثير : الكامل ، 7 ، 277 ، أعمال الأعلام ، 3 ، 72 ـ 73 ؛ قارن بالمؤنس ، ص : 81 .

أعمال الأعلام ، 3 ، 73 ؛ المؤنس ، 81 ، نزهة الأنظار ، 139 ؛ حسب ابن عذاري فقد بويع يوم 22 أو 23 (لتسع بقين) ذو الحجة (مايو ـ يونيو) (البيان ، 1 ، 267) ؛ أما ابن خلدون فيقول بأن ملك صنهاجة انساق إلى المعز سنة 408 هـ/1017 ـ 1018 م (العبر ،1 ، 16 (ط . دوسلان) .

5) ابن أبي دينار : المؤنس ، ص : 81 .

6) حاصرها بعدما استولى على أشير (الكامل ، 7 ، 278) ؛ أو أشير والمسيلة (العبر ، 2 ، 204 (ط . دوسلان) ؛ حسب ابن أبي دينار فقد خرج إليه عندما حاصر أشير (المؤنس ، ص : 82) .

7) المختصر ، 4 ، 24 .

8) الكامل ، 7 ، 278 .

9) العبر ، 2 ، 204 (ط. دوسلان) ، الكامل 7 ، 278 ، قارن بالمختصر ، 4 ، 24 .

10) يذكر ابن خلدون أن حمادا استقل بعمل المسيلة وطبنة والزاب وأشير وتاهرت وما يفتحه من بلاد المغرب ، وعقد المعز للقائد على طبنة والمسيلة ومقره ومرسى الدجاج وسوق حمزة وزواوة (العبر ، =

وهكذا قسمت دولة بني زيري الصنهاجية الى « دولة آل المنصور بن بلكين أصحاب القيروان ودولة آل حماد بن بلكين أصحاب القلعة » (1) ، ولم يعد هناك ما يقلق المعز من الجهة الغربية لامارته لان حمادا وابنه القائد (2) من بعده أصبحا ملزمين بقتال زناتة (3) أما ورّو بن سعيد الذي كان يضايق طرابلس بالحصار ، فقد ذكر ابن خلدون أنه عندما حارب باديس عمه حمادا و « غلبه بشلف وانصرف الى القيروان بعث اليه ورو بطاعته » (4) فورّو حسب هذا النص راجع طاعة باديس ، عندما هزم حمادا بشلف وعاد الى القيروان ، غير أن خبر هذه العودة مشكوك فيه ، نظرا لكون المصادر التي تتحدث عن تفاصيل هذه الحرب (5) بما في ذلك ابن خلدون (6) ، لا تشير اليها ، وبالتالي يبقى الخبر المتعلق بمراجعة ورّو لطاعته محل شك هو الاخر ، وقد يكون صحيحا لكنه وقع قبل انطلاق حملة باديس الوحيدة ضد عمه حماد والتي مات أثناء قيامه بها (7) .

ومهما كان الحال فان ورو توفي حسب ابن خلدون سنة 405 هـ/ 1014 م ، وانقسم قومه بعده على أخيه خزرون وابنه خليفة بن ورو ، ودخلا في نزاع

= 2 ، 204 (ط . دوسلان) ؛ أما ابن الأثير فيقول بأن المعز اقتطع القائد المسيلة وطبنة وغيرهما (الكامل 7 ، 279) ؛ ويقول أبو الفداء بأن المعز اتفق مع حماد على أن يقتصرعلى ما بيده ، وهو عمل ابن عي (ويعني به المسيلة) وما وراءه من أشير وتاهرت ، واستقر القائد بن حماد بالمسيلة وطبنة ومرسى الدجاج وزواوة ومقرة ودكمة (المختصر ، 4 ، ص 24 _ 25) .

1) العبر ، 2 ، 204 (ط . دوسلان) . أنظر : الخريطة رقم (8) .

2) تولى أمر بني حماد بعد أبيه في الفترة ما بين 419 هـ _ 446 هـ/1028 _ 1054 م ؛ أنظر : E.I. (*art.* Hammadides), t. III, p. 139 Sq, Nelle éd.

3) أنظر : Hady Roger Idris يرى L. Golvin أنه يحق للقائد أن يفخر بملكه عندما مات سنة 445 هـ/1054 م ، لقد ترك مملكة قوية مستقلة ، لأنه بالرغم من اعترافه بالسيادة الفاطمية فإنه لم يكن تابعا للفاطميين بأتم معنى الكلمة ، كما كان مستقبلا أيضا بالنسبة للقيروان .

4) العبر ، 2 ، 58 (ط . دوسلان) .

5) منها أبو الفداء : المختصر ، 4 ، 24_25 ، الكامل ، 7 ، 277 ، أعمال الاعلام ، 3 ، 71_72 .

6) يتحدث عن تفاصيل هذه الحرب في العبر ، 2 ، 203 ، أما خبر عودة باديس الى القيروان فيشير ليه

7) يرى Hady Roger Idris. أن خبر رجوع باديس الى عاصمته يبدو أنه غير صحيح لأنه غير مؤكد في مكان آخر ، فالمؤلف يكون قد وقع له التباس لخضوع ورو ، في وقت سابق لمعركة شلف أو بالأحرى مع خضوع خليفة بن ورو((*Ibid*, p. 105, Note, 322.)

مسلح من أجل السلطة ولما فاز خليفة على عمه ، سارع بارسال الطاعة الى باديس ، وهو يحاصر قلعة حماد ، فتقبلها منه ، وبعد موت نصير الدولة وتوليه ابنه المعز ، غيّر خليفة موقفه فصار أخوه حماد بن ورو يغير على أعمال طرابلس وقابس وينهبها (1) ، وقد ذكر ابن الاثير أنه في سنة 411 هـ / 1020 ـ 1021 م «أغارت زناتة على دواب المعز بن باديس صاحب البلاد ليأخذوها فخرج اليهم عامل مدينة قابس فقاتلهم فهزمهم » (2) وبمقارنة هذا النص بكلام ابن خلدون ، يتبين أن حمادا بن ورو يكون هو الذي قاد هذه الغارة على طرابلس (3) وفي سنة 413 هـ / 1022 ـ 1023 م مكن عامل مدينة طرابلس عبد الله بن حسن خليفة بن ورو منها ، انتقاما لأخيه محمد الذي قتله المعز بن باديس (4) .

كل هذا وقع ، دون أن تشير المصادر الى ردِ فعل للمعز الذي أكتفى بالاستعداد للقيام بحملة على طرابلس سنة 414 هـ (5) /1023 ـ 1024 م ، الا أنه لم يبق مكتوف الأيدي ، عندما خرج بافريقية سنة 415هـ/1024 ـ 1025 م «جَمْعٌ كثير من زناتة فقطعوا الطريق وأفسدوا بقسطيلية ونفزاوة» (6) إذ أخرج اليهم جنودا « أدركوهم وهم آمنون في الطلب ... فقتِل منهم خلق كثير»(7).

1) العبر ، 2 ، 58 (ط . دوسلان) .

2) الكامل ، 7 ، 308 ، أنظر : *Annales du Maghreb et de l'Espagne*, p. 448

3) أنظر : Hady Roger Idris : *Ibid*, p. 159.

4) ذلك أن المعز استدعى في بداية عهده عامل طرابلس لابيه ، محمد بن حسن فقدم عليه ، بعدما استخلف أخوه عبدالله على الولاية . وبقي المعز يعتمد عليه في تدبير شؤون الدولة ، مدة سبع سنوات، ثم كثرت السعاية فيه فقتله المعز . ولما علم أخوه عبد الله بالأمر غضب وسلم المدينة لخليفة بن ورو(العبر، 2، 58ـ 59(ط.دوسلان)، أو أن وزير المعز وصاحب جيشه أبا عبد الله محمد بن الحسن لم يدفع له شيئا من الأموال التي جباها طيلة السبع سنوات التي أقام فيها معه ، وحاول أن يسيطر عليه ، بكثرة أتباعه، فصار المعز لا يكاتب ملكا ولا يراسله الا ويكتب أبو عبد الله معه عن نفسه ، ثم أن أخاه عبد الله كان مجاورا لزناتة بطرابلس وهم أعداء الدولة ولذا قتله ولما علم أخوه أدخل زناتة الى طرابلس(الكامل، 7، 312).

5) يرد Hady Roger Idris عدم قيامه بهذه الحملة الى أسباب عائلية وسياسية واقتصادية . اذ ربما كان من واجبه أن يقف على رأس عمته ، الوصية عليه ، أمّ ملال ، التي توفيت على إثر مرض طويل في آخر رجب 414هـ / 18 أكتوبر 1023 م ، وقبل ذلك بشهرين يوم 25 جمادي الأولى 414هـ (أوت 1023) كان قد عثر على وزير ممتاز في شخص أبي البهار بن خلوف البسيط . ثم أن افريقية عرفت مجاعة سنة 413هـ / 1022 ـ 1023م (*La Berbérie orientale*, p. 161)

6) الكامل ، 7 ، 318 ، أنظر (*Annales du Maghreb et de l'Espagne*, p. 451.

7) نفسه .

ومما يلفت النظر هنا هو أن ابن الأثير الذي أورد هذا الخبر لم يذكر ما اذا كانت لهؤلاء الزناتيين علاقة بخليفة بن ورو أم لا (1) ، ونفس الشيء يمكن ملاحظته على قوله أنه في سنة 417هـ/ 1026 ـ 1027 م « وردت رسائل من زناتة وكتامه الى المعز ... يطلبون منه الصلح وأن يقبل منهم الطاعة والدخول تحت حكمه وشرطوا أنهم يحفظون ... فأجابهم الى ما سألوا وجاءت مشيخة زناتة وكتامة اليه فقبلهم وأنزلهم ووصلهم ... » (2) ويذكر ابن خلدون من جهته أن خليفة بن ورو الذي كان بطرابلس خاطب الخليفة الفاطمي الظاهر ابن الحاكم (3) سنة 417 هـ/1026 ـ 1027 م «بالطاعة وضمان السابلة وتشييع الرفاق. ويخطب عهده على طرابلس فأجابه الى ذلك وانضم في عمله وأوفد في هذه السنة أخاه حمادا على المعز بهدية فتقبلها وكافأه عليها » (4) .

فالنصان كما هو واضح ، تناولا العلاقة بين المعز بن باديس وزناتة سنة 417هـ/1026 ـ 1027م . غير أن الأول يقول بأنها دخلت طاعته ، ولا يقول ما اذا كان الأمر يتعلق بزناتة التي كانت تابعة لخليفة بن ورو. أما الثاني فيتحدث عن دخول هذا الأخير في طاعة الظاهر بن الحاكم الفاطمي من جهة ، وتحسين علاقته بالمعز من جهة أخرى . وهذا الاختلاف بينهما لا شك أنه يدل على أن كل واحد منهما تحدث عن علاقة المعز بمجموعةزناتية معينة . وبالتالي يمكن الجمع بين ما ورد فيهما . والقول بأن هناك قبيلة أو قبائل زناتيه دخلت طاعة المعز في نفس الوقت الذي حسن فيه أمير طرابلس خليفة بن وروعلاقته معه .

وتكون حينئذ هذه القبيلة أو القبائل الزناتيه التي لا تعرف مواقعها ، هي التي تجمعت سنة 420هـ/ 1029 ـ 1030م « وعاودت الخلاف على المعز بافريقية » (5) وبدأت تزحف على « حضرة القيروان » (6) فلما علم المعز بأمرها خرج بنفسه يعترض

1) أنظر .HADY ROGER IDRIS *La Berbérie orientale sous les Zirides*, P. 162).

2) ابن الاثير : الكامل ، 7 ، 326 .

3) تولى الخلافة في الفترة ما بين 411هـ ـ 427هـ/ 1021 ـ 1036م ، عنه أنظر:
E.I. (*art.* Fatimides), t. II., p. 870 Sqq, Nelle éd.

4) العبر، 2، 59، حسب Hady Roger Idris فانه لابد أن الاتفاق الذي أبرم بين خليفة ورووالمعز لم يكن يعجب المعز ، غير أن خليفة المهتم بزيادة أمنه سارع بارسال أخيه حماد اليه في نفس العام .
La Berbérie orientale sous les Zirides, p. 162.

5) الكامل ، 7 ، 337 ، أنظر : IBN-EL-ATHIR : *Annales*, p. 452.

6) البيان ، 1 ، 274 .

سبيلها وناشبها القتال «بموضع يعرف بحمديس الصابون» (1) فانهزمت الى المغرب (2) وعاد هو الى المنصورية (3) وتكون هي التي زحفت سنة 427 هـ / 1035 ـ 1036 م على المنصورية (4) وخاضت معركتين ضد جيش المعز بمكان قريب من القيروان يقال له الجفنة (5) فانتصرت عليه في الاولى لكنها هزمت في الثانية . وقد راح المعز يهاجمها بعد ذلك في عقر ديارها : اذ يتفق كل من ابن الاثير وابن عذاري على أنه زحف عليها سنة 428 هـ / 1036 ـ 1037 م فهزمها وأكثر القتال فيها وخرب مساكنها (6) ، كما يتفقان على انه سار الى الزاب سنة 429 هـ / 1037 ـ 1038 م وقتل عساكره من البربر خلقا كثيرا (7) «وفتحوا مدينة تسمى بورس ... وفتحوا من بلاد زناتة قلعة تسمى كروم ...» (8) ومن هنا يتضح أن التحركات التي قام بها المعز ، بعد معركة الجفنة تهدف الى إخضاع البربر بصفة عامة ، وزناتة بصفة خاصة في منطقتي افريقية والزاب (9) .

---

1) الكامل ، 7 ، 337 ، أنظر : *Annales*. يسميه HADY ROGER IDRIS غامونيس الصابون ويقول بأنه يقع بأرض قمودة جنوب القيروان (*La Berbérie orientale sous les Zirides*, p. 163).

2) البيان ، 1 ، 274 .

(3) ابن الأثير ، الكامل ، 7 ، أنظر : IBN-EL-ATHIR : *Annales*, p. 452

4) البيان ، 1 ، 275 ، يسميها ابن الاثير : المنصورة (الكامل ، 8 ، 12) أنظر : *Annales*, p. 453 ; HADY ROGER IDRIS : *La Berbérie orientale*, pp. 163-164.

5) الكامل ، 8 ، 12 ، أنظر : HADY. ROGER. IDRIS : *La Berbérie orientale*, pp. 163-164. IBN-ATHIR : *Annales*, p. 453. حسب ابن عذاري ، فقد انهزمت صنهاجة ووصلت الى ما بين المنصورية والقيروان ، ثم تلاقوا في الغد فهزمت زناتة (البيان ، 1 ، 275) ، وهوبهذا يختلف عن ابن الأثير في كونه يقول (ضمنيا) أن المعركة الثانية وقعت في مكان آخر، غير الذي وقعت فيه المعركه الأولى وأن المكان الثاني يقع بين المنصورية والقيروان .

6) لم يشر ابن عذاري الى مواطن زناتة ، أنظر : البيان ، 1 ، 275 ، بينما يكتفي ابن الأثير بالقول إن المعز خرج الى حرب زناتة بافريقية (الكامل ، 8 ، 15) .

7) البيان ، 1 ، 275، الكامل ، 8 ، 16 .

8) الكامل ، 8 ، 16 .

9) حسب GOLVIN (L.) فان هذه القبائل الزناتية التي كانت تزعج المعز هي زناتة التي كانت بالمغرب الأقصى ، ويلاحظ أن الزيريين بالقيروان هم الذين أخذوا على عاتقهم عبء مواجهتها ولم يكن الحماديون على ما يبدو ، يميلون الى مساعدتهم ، حتى عندما يقترب القتال من القلعة ، لأن حرب المعز لم تكن حرب القائد (ابن حماد) وان كان عدوهما مشتركا .... *Le Maghrib central à l'époque des Zirides*, pp. 110-111).

أما بنو خزرون بطرابلس فقد اختفت أخبارهم بعد سنة 417 هـ/ 1027 ـ 1028 م ، وكل ما يعرف عنهم هو أن أميرهم سعيد بن خزرون (1) الذي لا يعرف كيف ومتى استولى على الحكم قتل سنة 429 هـ (2) / 1037 ـ 1038 م ، وجاء خزرون بن خليفة فدخلها بمساعدة الفقيه الحسن المنمر ، رئيس الشورى بها (3) وتولى أمرها حتى ربيع الأول سنة 430 هـ/ 1038 ـ 1039 م ، وعندئذ قصدها المنتصر بن خرون بن سعيد ودخلها بعد فرار خزرون عنها (4) ، وهذا يعني أن الصراع على حكم طرابلس قد عاد بين أسرة خليفة بن وروبن سعيد وأسرة عمه خزرون بن سعيد ، وأن الثانية تفوقت على الأولى .

وقد زحف المعز في الثلاثينات من القرن الخامس « أعوام ثلاثين وأربعمائة » على زناتة بجهات طرابلس فبرزت اليه وهزمته مرتين متتاليتين لكنه في المرة الثالثة تغلب عليها ، وبعدها وقعت الهدنة بين الطرفين (5) « ولم تزل طرابلس بأيدي بني خزرون الزناتيين ولما وصل العرب الهلاليون وغلبوا المعز بن باديس على افريقية واقتسموها كانت قابس وطرابس في قسمة زغبة والبلد لبني خزرون » (6) .

القطيعة المذهبية والزحف الهلالي على بلاد المغرب :

كان مجيء الهلاليين الى المغرب الاسلامي نتيجة لتدهور العلاقات بين الخلافة الفاطمية في مصر ، وإمارة بني زيري الصنهاجية التي كانت تابعة لها ، وقد بدأ ذلك

---

1) هو سعيد بن خزرون بن سعيد ، وكان أبوه «خزرون» لجأ الى مصر ، بعدما غلبه ابن أخيه خليفة بن ورو على الحكم بطرابلس ، وأقام خزرون بمصر ومعه أبناؤه ، ومنهم سعيد هذا وأخوه المنتصر ، ولما تغلب الاتراك على المغاربة ، في الفتنة التي قامت بينهم وأجلوهم عن مصر . التحق سعيد وأخوه المنتصر بطرابلس وأقاما بنواحيها ثم ولي سعيد أمرها (العبر ، 2 59 ، ط . دوسلان) .

2) حسب التجاني فإن زغبة هي التي قتلته (رحلة التجاني ، ص : 267) وقد نقل عنه ابن خلدون هذا الخبر لكنه يقول عنه بأنه مشكلة ، لأن زغبة ، من العرب الهلاليين ، إنما جاؤا الى أفريقية بعد سنة 440 هـ/ 1048ـ1049م ، فلا يكون وجودهم في طرابلس سنة 429هـ/1037ـ1038م الا أن كان تقدم بعض أحيائهم الى افريقية قبل ذلك وقد كان بنو قرة ببرقة ، وبعثهم الحاكم مع يحي بن علي بن حمدون إلا أن ذلك لم ينقله أحد (العبر ، 2 ، 60 (ط . دوسلان) .

3) العبر ، 2 ، 60 (ط .دوسلان) .

4) رحلة التجاني ص : 267، العبر ، 2 ، 59 ـ 60 (ط . دوسلان) .

5) العبر ، 2 ، 59 (ط . دوسلان) .

6) نفسه ، ص : 60 .

التدهور ، على ما يبدو ، سنة 371 هـ / 981 ـ 982 م ، عندما بعث الخليفة العزيز بالله يطلب من الأمير أبي الفتوح أن يرسل اليه ألف فارس من أبطال صنهاجة ، فرد عليه بأنه خرج يحارب بني أمية بهم ، وان كان ولابد من ارسالهم فانه يضطر هو الآخر أن يترك المغرب ويسير في جملتهم (1) ، فلم يصر العزيز بالله على طلبه ولم يقم برد فعل ، ومع ذلك فان هذا الرفض لا شك أنه أثر فيه .

ولم تتوقف المسألة هنا ، فالمنصور بن بلكين قال لأهل القيروان الذين وفدوا عليه ، وهو بأشير ، لتعزيته في أبيه وتهنئته بالولاية ، بأنه ليس « ممن يولىّ بكتاب ويعزل بكتاب » (2) لانه ورث ملكه عن آبائه وأجداده (3) « يعني أن الخليفة بمصر لا يقدر على عزله بكتاب » (4) وهذا تمرد واضح على الخلافة الفاطمية ومع ذلك فان المنصور ، عندما وصل الى رقادة أرسل هدية الى العزيز بالله سنة 374هـ (5) / 984 ـ 985م ، فتقبلها منه لكنه أرسل داعيا الى كتامة يسمى أبا الفهم ليكسب له الرأي العام ، وبعد ذلك يمده بالجند ليقوم بحركة ضد الزيرين في افريقية ، الا أن المنصور اكتشف نشاطه في الوقت المناسب ، وانطلق اليه فتلقاه عند مدينة سطيف فهزمه وقتله هو ودعاة آخرين ، بحضور رسولين كان العزيز بالله قد أرسلهما اليه ، لتحذيره من التعرض لأبي الفهم وكتامة (6) ، ولم يجد العزيز ما يفعله عندما بلغته أخبار آخر التطورات سوى أن بعث الى الأمير الصنهاجي « يطيب قلبه وأرسل اليه هدية » (7) .

---

1) البيان ، 1 ، 238.

2) ابن عذاري : البيان ، 1 ، 240 ، الكامل ، 7 ، 121 .

3) البيان ، 1 ، 240 .

4) الكامل ، 7 ، 121 ، يعتبر بعض المؤرخين هذه التصريحات أول محاولة قام بها بنو زيري للتخلص من السيطرة الفاطمية (العبادي : سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس ، ص : 212 ،
JULIEN (CH-A.); *l'Histoire de l'Afrique du Nord*, t. 2, p.. 68.

5) الكامل ، 7 ، 121 ، المؤنس ، ص : 78 .

6) الكامل ، 7 ، 123 ، أنظر ؛ JULIEN (CH-A.). (*Op.Cit.*, p. 69. ، يرى ، MERCIER.E. أن ثورة كتامة كانت بسبب الغيرة التي أدركتها من النفوذ الذي أصبح لصنهاجة ، وقد نهى الخليفة المنصور عن استعمال العنف ضد قادة الثورة ، ومن ثم ارتفعت أول سحابة بين حاكم مصر وممثله ببلاد المغرب (*l'Histoise de l'établissement des Arabes dans* l'Afrique septentrionale, p. 123) .123).

7) الكامل ، 7 ، 127 ، حسب ابن أبي دينار فان نزار بعث هدية الى المنصور سنة 376هـ/986ـ987م (المؤنس ، ص : 78) ، ويعتبر العبادي تصرف العزيز بالله هذا دليلا على أن سياسة الفاطميين في المغرب كانت سياسة استعمارية ميكافيلية، تقوم على إثارة الفتن وتدبير المؤامرات من وراء الستار، وأن=

وفي عهد باديس وصل الوضع الى حد قيام نزاع مسلح بينه وبين الحاكم بأمر الله ، بسبب طرابلس ، الا أن ذلك لم يمنع الخليفة الفاطمي من أن يبعث بهدية ثمينة اليه سنة 403 هـ / 1012 ـ 1013 م « والى ولده منصور عزيز الدولة ، فتلقاها المنصور ... ووصلت سجلات منه الى نصير الدولة باضافة برقة وأعمالها اليه » (1) وبعث باديس من قبله هدية « مماثلة » الى الخليفة الفاطمي سنة 405 هـ / 1014 ـ 1015 م ، غير أن الأعراب أخذوها ببرقة من يعلى بن فرج الذي كان متوجها بها اليه (2) . وما تبادل الهدايا هذا واضافة برقة ، ان صح خبرهما ، سوى محاولة من الطرفين ، لتسوية الخلافات القائمة بينهما ، لكن الأمور تغيرت تماما أيام المعز بن باديس .

ذلك أن وزيره أبا الحسن بن أبي الرجال الذي كان مكلفا بتربيته استطاع أن يغرس في نفسه حب المذهب المالكي (3) لدرجة جعلته لا يخفى ميوله اليه منذ أول ولايته(4) ، مما أدى الى تحرش السنيين بالشيعة ، فأخذوا يضطهدونهم ويقتلونهم أينما وجدوهم (5) كما « أعلنوا بالمعتقد الحق ونادوا بشعار الايمان

= العزيز لم يرض بهذه الهزيمة التي منيت بها سياسته فعاد يعمل على إثارة كتامة من جديد ، فقامت بثورة سنة 379 هـ / 989 ـ 990 م ، بقيادة رجل يقال له أبو الفرج الخرساني الداعي رغم أن أباه من ولد الخليفة القائم وقامت بينه وبين نائب المنصور على مدينة ميلة حروب كثيرة ، انتصر فيها الداعي فسار اليه المنصور بنفسه فهزمه وقتله (سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس ص : 213) .

1) ابن عذاري : البيان ، 1 ، 259 ، قارن بالمؤنس ، ص : 81 .

2) البيان ، 1 ، 260 ـ 261 .

3) نفسه ، ص : 273 ـ 274 .

4) ذلك أنه عندما كبا به فرسه يوما نادى مستغيثا بالشيخين ، أبي بكر وعمر (العبر ، 1 ، 17 ، البيان ، 1 ، 274) أو أنه عندما مرّ بجماعة بالقيروان سأل عنهم فقيل له : هؤلاء رافضة ، يَسبّون أبا بكر وعمر ، فقال: رضي الله عن أبي بكر وعمر (الكامل ، 7 ، 29) ، يرى JULIEN (Ch.-A.), أنه قد يكون فعل ذلك رغبة منه في إرضاء الرأي العام بالقيروان الذي عرف بعدائه للشيعة في افريقية كلها (*Op.cit.*, p. 69.)
أما العبادي فيرى أن « فتك » المعز بالشعية سنة 408هـ/ 1017 ـ 1018م مسألة ترجع قبل كل شيء الى الروح الانفصالية عن مصر التي كانت هدف المعز وأبائه من قبل ، ولم يقتصر المعز على اضطهاد الشيعة بل أخذ يحمل الناس على اعتناق المذهب المالكي (سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس ، ص : 216 ـ 217).

5) عن هذا الموضوع أنظر : الكامل ، 7 ، 274 ـ 275 ، نزهة الانظار ، ص : 140 ، المؤنس ، ص : 82. العبر ، 1 ، 17 ، البيان ، 1 ، MARÇAIS (G.), *Les Arabes en Besbérie*, p. 247-274-269

وقطعوا من الأذان حيّ على خير العمل » (1) ولم يجد المعز من شرح يقدمه للخليفة بالقاهرة ، عندما سأله عما كان يجري من الأحداث في بلده سوى أن « اعتذر بالعامة » (2) فقبل عذره (3) وأرسل اليه الحاكم سنة 411 هـ / 1020 ـ 1021 م « رسولا ... بسيف مكلل بنفيس الجوهر ، وخلعة من لباس لم ير الناس متلها ، فلقيه شرف الدولة المعز في أجمل زي وأكمل هيئة فقرئ عليه سجل فيه من التشريف مالم يصل لأحد قبله ، فسر بذلك و ... ورد أيضا محمد بن عبد العزيز بن أبي كدية بسجل آخر ... ، جوابا للمعز عما كان فيه من أخبار الاندلس ، وانقراض الدولة الأموية منها ، ... فشكره على ذلك ، وبعث اليه خمسة عشر علما منسوجة بالذهب ... » (4) وهذا يعني أن العلاقة الرسمية بين القاهرة والمنصورية ، لم يطرأ عليها أي تغيير (5) في البداية لكنها سرعان مادخلت في مرحلة غموض .

ويلاحظ Marçais G. أنه خلال السنوات الخمس الأخيرة من خلافة الحاكم ، والست عشرة سنة لخلافة ابنه الطاهر ، والسنوات الأربع الأولى من خلافة المستنصر (6) لم يكن هناك أي عمل رسمي من شأنه أن يغير العلاقات القائمة بين هؤلاء الخلفاء وبين ممثليهم في بلاد المغرب إما لأن هذا الأخير خاف أن يعجل بالأمور ، وإما لانه لم يكن في وسع أولئك أن يرفعوا الاحتجاجات ويسندوها بالاعمال ، فسكتوا واكتفوا بالاعتراف بهم نظريا وبالحصول على دخل سنوي كبير ، ثم إن العمليات الحربية ضد فلسطين وسوريا والاضطرابات الداخلية ، والتغييرات الوزارية وما يليها من الثورات داخل القصر امتصت ، على ما يبدو، نشاط المستنصر بكامله ، فلم تترك هذه الأحداث المختلفة ، على ما يعتقد ، متسعا من الوقت للاهتمام ببلاد المغرب البعيدة (7) .

---

1) العبر ، 1 ، 17 (ط . دوسلان) .

2) ابن خلدون : العبر ، 1 ، 17 (ط . دوسلان) . أنظر : MARÇAIS (G.), *Les Arabes en Berbérie*, p. 52.

3) نفسه .

4) ابن عذاري : البيان ، 1 ، 169 .

5) أنظر : MARÇAIS (G.), *Les Arabes en Berbérie*, pp. 47-48.

6) هو المستنصر بالله ، أبو تميم معد ، بن علي الظاهر ، ثامن الخلفاء الفاطميين . تولى الخلافة في 15 شعبان 13/427 جوان 1036م ، وتوفي في 18ذي الحجة 487هـ/10 يناير 1094م، عنه أنظر :
E.I. (*art.* Al-Mustansir Bi-'Llah), t. 3, p. 820-Sqq, Nelle éd.

7) - *Les Arabes en Berbérie*, pp. 52-53.

وتذكر بعض المصادر أن المعز دخل في مراسلات مع الوزير أحمد بن علي الجرجرائي ، حاول فيها استمالته اليه وتحريضه على الفاطميين (1) ، دون أن تتعرض الى تاريخ شروعه فيها (2) ولا الى أسباب ذلك . ولم تكن لعمل المعز هذا أية نتيجة فأقدم على اتخاذ قرار يقضي بمبايعة الخليفة العباسي أبي جعفر القائم بأمر الله (3) واقامة الدعوة له (4) ثم قطع علاقاته السياسية مع الخليفة المستنصر الفاطمي سنة 440 هـ(5) / 1048 ـ 1049 م .

وكانت بطون قبيلتي هلال وسليم (6) العربيتين تنزل الصعيد (7) بمصر على الضفة الشرقية لنهر النيل (8) وتسبب أتعابا كبيرة للدولة الفاطمية (9) فرأى

---

1) ابن خلدون : العبر ، 1 ، 17 العبر ، 2 ، 205 (ط . دوسلان) ، رحلة التجاني ، ص : 19 .

2) يرى .MARÇAIS (G.) أن بداية هذه التمهيدات ، شبه الرسمية ، كان قبل سنة 433هـ/ 1042 ـ 1043م بقليل ويلاحظ أن هناك غموض حول تاريخ مراحل هذا الحدث الهام (*Les Arabes en berbérie*, p. 54.

3) هو الخليفة العباسي السادس والعشرين ، تولى الخلافة في الفترة ما بين 422ـ 467هـ/ 1031 ـ 1075م، عنه أنظر : E.I. (*art.* Al-Kaïm-Bi-Amr-Allah), t. 4, pp. 477-478, Nelle éd.

4) تختلف المصادر في تحديد تاريخ اتخاذه هذا القرار ، فقد كان ذلك سنة 433هـ/1042ـ1043م (البيان ، 1 ، 275 ـ 276) أو سنة 435 هـ/1043 ـ 1044 م (الكامل ، 8 ، 39 ، المؤنس ، ص : 83) أو سنة 337 هـ/1045 ـ 1046 م (العبر ، 1 ، 17 ط . دوسلان) ، أو 440 هـ/1048 1049 م (المختصر ، 4 ، 73 ، الكامل ، 8 ، 55) ، أنظر : MARÇAIS (G.) *Op.Cit.*, p. 55.

5) يذكر ابن خلدون مرة بأن ذلك تم سنة 437هـ/ 1045 ـ 1046م (أي في نفس السنة التي بايع فيها القائم بأمر الله ودعا له على منابره (العبر ، 1 ، 17 ـ 18) لكنه يحدد تاريخ ذلك في مكان آخر بسنة 440 هـ/1048 ـ 1049 م (العبر ، 2، 205 ط . دوسلان)، ويتفق معه في ذلك ابن عذاري البيان، 1، 274 ، 277 ، أبو الفداء : المختصر ، 4، 74 ، ابن أبي دينار : المؤنس ، 83) ، حسب ابن خلدون فان خلافه مع اليازوري هو الذي دفعه الى اتخاذ مثل هذا القرار (العبر ، 1 ، 17 ـ 18 ط . دوسلان) ، ويرى العبادي أن السياسة الفاطمية ظلت قائمة على مبدأ المنافسة بين القبائل ، ولما انتهت هذه المنافسات استطاع المعز أن يستقل نهائيا عن مصر (سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس ، 211 ـ 212).

6) عن هذه القبائل أنظر : (العبر ، 1 ، 16 ط . دوسلان) ، ويقسم .E. Mercier هذه القبائل الى ثلاثة أقسام هي :
   1) قبائل هلال بن عامر وهي : الأثبج ، وجشم ، ورياح ، وزغبة .
   2) قبائل تابعة لبني هلال : المعقل وعُدي .
   3) قبائل سُلَيْم بن منصور. (MERCIER (E.), *Op. cit.*, p. 141)

7) الصعيد : بلاد واسعة فيها عدة مدن كبار منها أسوان وهي أوله من ناحية الجنوب ثم قوص وقفط وأخميم والبهنسة وغير ذلك وهي تنقسم الى ثلاثة أقسام الصعيد الأعلى وحده أسوان وآخره قرب أخيم والثاني من أخيم الى البهنسة والأدنى من البهنسة الى قرب الفسطاط (معجم البلدان ، 3 ، 391 ـ 392) ، عنه أنظر : E.I. (*art.* Al-Saïd), t. 4, p. 71 Sq.

8) رحلة التجاني ، ص : 16 ، العبر ، 1 ، 16 (ط . دوسلان) .

9) العبر ، 1 ، 16 (ط . دوسلان) أنظر : MERCIER (E.), *Op.Cit.*, p. 141

أبو محمد الحسن بن علي اليازوري ، الذي تولى منصب الوزارة بعد وفاة الجرجرائي سنة 436 هـ (1) / 1044 ـ 1045 م ، أن رحيلهم الى المغرب يجعل الدولة تتخلص منهم وتنتقم بهم ، في نفس الوقت من المعز ، فأقنع الخليفة المستنصر بفكرته (2) . ثم راح ينفذها فاتصل بمشائخهم واتفق معهم على الرحيل الى بلاد المغرب (3) ولم تمض سنة 441 هـ / 1049 ـ 1050 م حتى كانوا في طريقهم اليها (4) وبذلك تمت القطيعة بين القاهرة والقيروان وكانت ضربة قاضية وجهت للتشيع في المغرب الاسلامي ، فلم يعد هذا المذهب « مرة أخرى الى هذه البلاد رغم بعض المحاولات ، التي تمت خصوصا في عهد الموحدين ... » (5) .

أسباب النزاع الزناتي الصنهاجي :

فبعد رحيل الخليفة المعز الى مصر اذا كانت بلاد المغرب ميدان صراع عنيف بين قبيلة صنهاجة التي كان يمثلها فرع تلكاتة ، وقبيلة زناتة التي كان يمثلها فرعا مغراوة وبني يفرن ، وقد حاول بعض المؤرخين أن يبحثوا عن الاسباب التي أدت الى قيام ذلك الصراع فتوصلوا الى عدة أراء منها :

أ) ان النزاعات بين القبيلتين كانت محلية حتى بداية القرن العاشر الميلادي (بداية القرن الثالث الهجري) . فصنهاجة التي يحتمل أنها كانت مستقرة بجبالها ، لم تذكر كثيرا ، أما زناتة فيبدو أنها كانت تشغل معظم أنحاء المغرب ، وبمجيء الفاطميين تغير كل شيء : ذلك أنه بعد استيلاء الكتاميين على افريقية ، دخلوا أعماق المغرب بقيادة مصالة بن حبوس فقضوا على إمارات الادارسة وفرضوا

---

1) العبر ، 1 ، 17 (ط . دوسلان) ، رحلة التجاني ، ص : 22 فما قبلها قارن بالبيان ، 1 ، 276 .

2) حسب ابن الأثير فان اليازوري لم يكن من أهل الوزارة وإنما كان من أهل التبانة والفلاحة فلم يخاطبه المعز ، كما كان يخاطب الوزراء من قبله «بعبده» بل خاطبه بـ «صنيعته» مما أثار غضبه عليه وأقنع المستنصر بإرسال العرب الى المغرب (الكامل ، 8 ، 55) ، أنظر : (MARÇAIS (G.), *Op.Cit.*, p. 59.

3) عن هذا الاتفاق أنظر : العبر ، 1 ، 18 (ط . دوسلان) ، رحلة التجاني ، ص : 19 ، المختصر ، 4 ، 73 ، الكامل ، 8 ، 55 .

4) العبر ، 1 ، 18 (ط . دوسلان) .

5) أ . بل الفرق الإسلامية في المغرب ، ص : 165 ـ 166 .

سيادة الخليفة الشيعي في كل مكان حلوا به ، لكن رد الفعل لم يُنتظر بالمرة اذ قام به محمد بن خزر الذي جمع أغلب الزناتيين وحارب المذهب الشيعي ، وبذلك اشتعلت نار الحرب وتواصلت حتى منتصف القرن الحادي عشر لميلادي وهي تبدو قبل كل شيء ، عبارة عن منعكس (réflexe) للدفاع الذاتي : فالزناتيون بصفة خاصة يغارون ، مثل سائر البدو ، على استقلالهم ويرفضون الخضوع للقانون الجديد المفروض بالقوة ، فضلا عن أن البدوي لا يحتمل أن يجد طرق تنقلاته محتلة ، فالمغراويون كانوا يريدون الاحتفاظ بالهيمنة التامة على السهول المرتفعة وسيكونون دوما في حرب ضد الدخلاء على « وطنهم » ، فالنزاع الكبير بدأ ، اذا ، بمقاومة الفاطميين وحلفائهم الكتاميين ثم أخذ مظهرا دينيا بسبب المساندة التي قدمها أمويو الاندلس لى الزناتيين ، وكان الطرفان يحاولان السيطرة على المغرب الاوسط : فالحضر كانوا يريدون ابعاد الخطر الدائم لانتشار البدو ، الذين يبحثون باستمرار عن الطعام والمراعي الجديدة ، أما الزناتيون فكانوا يريدون الاحتفاظ بحقهم في الحياة وبالأخص في الحرية (1) .

ب) إن الفاطميين ، باستيلائهم على تاهرت وسجلماسة ، أظهروا الاهمية التي أولوها للمغرب الأوسط ، لان هاتين المدينتين كانتا سوقين كبيرين يتحكمان في المحورين التجاريين الصحراوي والشرقي ، ولا شك أن سكان ضواحيهما كانوا يقومون بدور خاص في تنظيم تلك التجارة ويحصلون منها على فائدة كبيرة ، وكان أمويو الأندلس ، على ما يبدو، يعتمدون على الثروات المعدنية للمغرب الاقصى . وخاصة الذهب الصحراوي الذي كان يُحَوَّل الى عملة عند وصوله الى سجلماسة وأغمات وفاس ، ثم يرسل اليهم عن طريق سبتة أو تلمسان ، ومن ثم كان لابد لهم من حماية هذه الطرق التجارية وصاروا يتحالفون مع كل الذين كانت السياسة الفاطمية تهددهم ، وبالاخص مع المجموعات الزناتية ومع الادارسة . وبما أن الجيش الفاطمي ، كان في أغلبه ، يتكون من صنهاجة المنتشرين في شرق بلاد المغرب سيكون من السهل ، بطبيعة الحال ، اعتبار الحروب التي ستقع ، بعد

(1 GOLVIN (L.). *Le Maghrib central à l'époque des Zirides*. pp. 68-69

ذلك ، عبارة عن تصفية حسابات بين زناتة وصنهاجة ، مع نسيان أو التقليل من شأن السبب الرئيسي ، وهو السيطرة على الطرق التجارية (1) .

فمن المفروض أن اتفاقيات ضمنية ، تقريبا ، كانت قائمة بين الدول التي كانت موجودة في مدن المغرب الأوسط وبين المجموعات الزناتية المتحكمة في تلك التجارة ، وهذا التوازن السياسي الاقتصادي بين سادة المدن وسادة الطرق ، هو الذي اختل ، عند قيام الدولة الفاطمية التي كانت في حاجة الى ميزانية حرب لاستئناف سياستها الهجومية في بلاد المشرق ومن ثم حاولت إخضاع هذا الجزء من بلاد المغرب سياسيا واقتصاديا ، فادى ذلك إلى انقسام السكان بانضمام بعضهم إلى الحكام الجدد ، في محاولة لانقاذ امتيازاتهم ، أمّا البعض الآخر فثاروا وربطوا مصيرهم بمصير أعداء الفاطميين ، وطبيعي أن الحرب التي تطول مدتها تكثر فيها التناقضات وتتنوع أشكالها وقد يبدو أن الأمر يتعلق فقط بحرب قبلية بين زناتة وصنهاجةغير أنه يجب الاعتراف بأن مثل هذا التفسير نابع من فلسفة عنصرية للتاريخ وليس من العنى الذي تعبر عنه الأحداث بوضوح (2) .

ج) ان الصراع بين صنهاجة وزناتة لم يكن بين الافراد والقبائل والاسر الحاكمة فحسب ، بل كان بين مفاهيم متناقضة للحياة والمجتمع المميزين في منطقتين جعلتهما بنية الأرض والمناخ مختلفتين الى الأبد (3) .

ومهما يكن فان الصراع بين هاتين القبيلتين المغربيتين الكبيرتين بدأ منذ حصار أبي يزيد للمهدية في عهد الخليفة القائم بأمر الله الفاطمي ، وتواصل بعد رحيل المعز لدين الله الى مصر ، وتمكنت صنهاجة في مرحلته الأولىان تتفوق على زناتة وتكسر شوكتها في المغرب الاوسط ، فنزح معظم الزناتيين نتيجة ذلك الى المغرب الاقصى حيث لاحقهم أبو الفتوح بلكين وحاول إخضاعهم ، غير أن مساندة حكام الاندلس لهم حالت بينه وبين بلوغ هدفه فمات دون أن يحققه .

(1 LARAOUI ABDELLAH : *l'Histoire du Maghreb*, p. 127.

(2 LARAOUI ABDELLAH : *l'Histoire du Maghreb*, pp. 129-130

(3 GAUTIER (E.F.), *Le Passé de l'Afrique du Nosd*, pp. 378-379.

ولما تولى ابنه أبو الفتح المنصور أرسل حملة الى المغرب الاقصى مع أخيه يطوفت لكن صاحب فاس ، زيري بن عطية المغراوي ، هزمه ، فلم يجرب حظه مرة أخرى. ولم يساعد المنصور أيضا الحسن بن كنون الذي أرسله العزيز بالله من مصر ، فاستعان الحسن بقبيلة بني يفرن الزناتية وأعلن الحرب على الأمويين وأتباعهم من مغراوة لكنه اضطر الى الاستسلام أمام عسكلاجة الذي أرسله الى الأندلس حيث قتل .

وقد انفرد بحكم مغراوة آنذاك ، زيري بن عطية ، بفضل مساعدة حكام الاندلس له ثم أخذ يحارب يدو بن يعلى اليفرني الى جانب عاملهم حسن بن أحمد ابن عبد الودود ، ولما توفي هذا الأخير في إحدى المعارك عين المنصور بن أبي عامر زيري خلفا له فواصل الحرب ضد يدو حتى هزمه وأجبر قومه ، بني يفرن ، على اللجوء الى سَلاَ وتادلة ، وبعدما تمت سيطرته على المغرب الأقصى أسس مدينة وجدة وجعلها عاصمة له ، وفي سنة 386هـ/996 ـ 997م ، وصل الخلاف الذي بدأ بينه وبين ابن أبي عامر ، إثر عودته من الزيارة التي قام بها الى الأندلس ، الى القمة واندلعت بينهما حرب انتهت بهزيمة المغراوي وفراره الى الصحراء .

ولما كانت سنة 389هـ/998 ـ 999م عاد الى الشمال ، فهزم جيشا لصنهاجة وافتك منها تاهرت وتلمسان وشلف والمسيلة وأقام الدعوة للخليفة الاندلسي هشام المويد ولحاجبه المنصور بن أبي عامر ، لكنه جرؤ على انتظار أبي مناد باديس الذي خرج اليه من القيروان واستعاد منه كل ما استولى عليه ، ثم انتهز زيري فرصة انشغال باديس بحروبه مع عامله على طبنة ، فلفول بن سعيد الزناتي ، ومع أعمامه الذين ثاروا عليه بأشير فتقدم الى المدينة الأخيرة وحاصرها وأخذ يفاوض المنصور بن أبي عامر في الصلح ، وعندما أوشك أن يتوصل الى عقد صلح معه مات سنة 391هـ/ 1000 ـ 1001 م .

وتولى أمر قومه ابنه المعز فكف عن منازعة صنهاجة وصالح أبن أبي عامر الذي توفي هو الآخر سنة 392 هـ / 1002 ـ 1003 م ، وتولى ابنه عبد الملك المظفر الحجابة فعقد للمعز على أعمال المغرب ، باستثناء سجلماسة التي سبق لواضح الفتى أن عين عليها واندين ابن خزرون بن فلفول المغراوي وصار يتقاسم السلطة بالمغرب الأقصى منذ ذلك الوقت ، ثلاث إمارات زناتية هي : امارة بني زيري بن عطية

المغراوي بفاس والمناطق التابعة لها . وإمارة بني خزرون بن فلفول المغراوي بسجلماسة والمناطق التابعة لها . وامارة بني يعلى بن محمد ابن صالح اليفرني بسلا وتادلة ، وكان هناك ركود في العلاقات بين بني زيري بن مناد الصنهاجيين وبين هذه الامارات منذ موت زيري بن عطية الى أن استولى عليها المرابطون في مطلع القرن الخامس الهجري (النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي) لكن الصراع الزناتي-الصنهاجي بقي مستمرا في النواحي الشرقية من بلاد المغرب .

ذلك أن فلفولا بن سعيد المغراوي الذي كان عامل باديس على طبنة ثار عليه ، في نفس الوقت الذي نشط فيه زيري بن عطية ضده ، وتمكن من الاستيلاء على طرابلس ، سنة 390هـ أو 391 هـ / 999 ـ 1001م ، وكانت حينذاك محل خلاف بين نصير الدولة والحاكم بأمر الله الفاطمي ، ولم يحاول الامير الصنهاجي استردادها الا بعدما قضى على الاضطرابات التي سببها له أعمامه وزناتة في المغرب الاوسط ، وقد قام بأول حملة ضدها بعد وفاة فلفول سنة 400 هـ/ 1009 ـ 1010م ، وتولية أخيه ورّو مكانه . فعقد معه اتفاقا عينه بموجبه عاملا له على نفزاوة ، وعين زناتيا آخر ، هو النعيم بن كنون ، على قسطيلية ثم عاد الى القيروان بعدما ترك على طرابلس محمد بن حسن .

ولم يمض وقت طويل على هذا الاتفاق ، حتى أعلن ورّو عصيانه على الأمير الصنهاجي وتبعه زناتيو نفزاوة والجريد فأخذوا يضايقون طرابلس ويحاولون الاستيلاء عليها . وانشغل عنهم باديس مرة أخرى بمشاكل المغرب الأوسط التي سببها له آنذاك عمه حماد ، الذي اعتمد عليه في القضاء على الاضطرابات السابقة ، والذي حاول أن يستقل عنه بالمناطق التي كانت تحت سيطرته . وقد مات أبو مناد وهو محاصر له بالقلعة المنسوبة اليه « قلعة بني حماد » . لكن المعز بن باديس الدي تولى الحكم بعد أبيه اعترف باستقلاله فأسس دولة صنهاجية بالمغرب الاوسط ، هي الدولة الحمادية التي أصبحت تقف حاجزا بين امارة القيروان والامارات الزناتية بالمغرب الأقصى .

أما المناطق الشرقية لبلاد المغرب ، فقد آل حكم زناتة فيها ، بعد ورو ، الذي توفي سنة 405 هـ / 1014 م الى ابنه خليفة فسالم امارة افريقية الصنهاجية في بداية عهده . ثم راح يضايقها بعد تولية المعز . واستولى على طرابلس سنة 413 هـ /

1022 ـ 1023م في الوقت الذي أحدثت فيه مجموعة زناتية أخرى اضطرابات بافريقية ، ولم يقم المعز برد فعل ضدها الا في سنة 415 / 1024 ـ 1025م ، حيث أرسل حملة الى قسطيلية ونفزاوة كان من نتائجها ، على ما يبدو ، أن سيطر على زناتة المنتشرة بافريقية وطرابلس . غير أن سيطرته هذه كانت مؤقتة لأن زناتة كانت من حين لآخر ، تنشط ضده . اذ ثارت عليه بافريقية سنة 420 هـ / 1029 ـ 1230 م ، وهزمها كما هاجمت عاصمته سنة 427 هـ/1035 ـ 1036 م . وهزمها أيضا ثم عزم على إخضاعها فأخرج اليها حملة سنة 428 هـ/ 1036 ـ 1037 م وأخرى سنة 429 هـ/1037 ـ 1038 م واستطاع أن يخضعها بافريقية والزاب .

وفي الثلاثينات من القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) زحف على طرابلس فحارب أهلها ثم رجع عنهم بعد أن تصالح مع أميرها المنتصر بن خزرون بن سعيد وبقى بنو خزرون الزناتيون بطرابلس حتى قدوم الهلاليين الذين أرسلهم وزير المستنصر أبو محمد الحسن بن علي اليازوري من صعيد مصر ، انتقاما من المعز بن باديس الذي دخل في طاعة الخلافة العباسية ، وقطع علاقاته مع الدولة الفاطمية وبذلك حدثت القطيعة التي انمحى التشيع بعدها من بلاد المغرب الاسلامي تدريجيا وزالت معها الدوافع المذهبية لتحريك زناتة .

الخاتمة

يتضح مما سبق ، أن زناتة تنتسب الى قبيلة ضريسة البترية ، ويكثر انتشارها خاصة في المغرب الأوسط ، ومن أهم فروعها : بنو يفرن ومغراوة وجراوة وهم إما رحالة كبار أو أنصاف رحالة أو رحالة صغار . ومن الصفات التي يتميزون بها : اللهجات الزناتية والفروسية ورؤية الكتف وامتهان القصابة وكثرة استهلاك اللحم .

ولم تتحدث المصادر التاريخية عن نشاط زناتة الا في عهد البيزنطيين حيث كانت من بين القبائل الامازيغية التي اجتذبها جرجير (جريجوريوس) اليه ، واعتمد عليها لاعلان استقلاله بسبيطلة عن الامبراطورية البيزنطية ، وهو ما جعلها تساعده في مقاومة الفتح الاسلامي ، ولما هزم البيرنطيون استمرت تقاوم المسلمين الى جانب البرانس وأخيرا تزعمت هي المقاومة ،فتمكنت من تعطيل نشاطهم مدة خمس سنوات وبذلك يمكن اعتبارها أقوى حجر تعثر عليه المسلمون في فتح بلاد المغرب .

وفي المقابل فإن فروعا أخرى لزناتة كانت تقف الى جانب المسلمين ، خاصة منهم عقبة بن نافع الذي كان لها الفضل في انقاذه من حصار قبيلة مصمودة البرنسية بجبل درن . وبعد انتصار حسان بن النعمان على الكاهنة انتهت مقاومتها لهم ، بل أصبحت تؤيدهم بفضل من أسلم من أفرادها على يد ذلك القائد الذي ضمهم الى صفوفه وشاركوا في اتمام عملية فتح المغرب في عهده ، وفي عهد موسى بن نصير واعتنقوا الاسلام كما عملوا على نشره بين اخوانهم الامازيغيين الذين اندمجوا مع الفاتحين في ظل الدين ، خاصة بعدما عبروا البحر الى الاندلس ، مع طارق بن زياد

وموسى بن نصير ، لغرض الجهاد ، حيث أصبح الأمازيغيون ومن بينهم الزناتيون يشعرون أنهم أصحاب الدين الجديد ، ومغربهم هو مغرب كل مسلم ، ومن ثم زالت أسباب العداء بينهم وبين غيرهم من المسلمين . وساد الهدوء بعد ذلك المغرب الاسلامي الى أن هبت عليه ريح العصبية القبلية الشديدة من الشرق مع يزيد بن أبي مسلم في بداية القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) وحملت معها مظالم لتسلطها على «الموالي» الذين وجدوا في مباديء الخارجية أحسن وسيلة لتخليصهم من تلك المظالم ، فاعتنقوها وحاربتها فيهم جيوش الخلافة . ومن ثم نشأت صراعات بين العنصرين العربي والبربري استمرت طويلا .

وكانت أول حركة مذهبية عرفها المغرب هي حركة الخوارج الصفرية التي اعتمدت بالدرجة الأولى على البتر وخاصة زناتة التي شاركت الى جانب ميسرة المطغري ، وبعد قتله خلفه أحد أفرادها هو خالد بن حميد وهو الصفري الوحيد الذي تمكن من الحاق هزيمتين كبيرتين بجيوش الخلافة الأموية في معركتي الاشراف وبقدورة . وبعد معركتي القرن والاصنام الحاسمتين اللتين هزم فيهما الصفريون مرتين متتاليتين بقيت زناتة ملتفة حول أبي قرة الذي حاصر بها عمر بن حفص بطبنة لكنها هزمت على يد المهنأ بن المخارق بعد ذلك . وبعد ضعف الحركة الصفرية راحت زناتة تتفاعل مع الحركة الأباضية .

وقد أرتكزت هذه الحركة بمنطقة طرابلس على قبيلتي زناتة وهوارة فحققت نجاحا كبيرا بقيادة أبي الخطاب عبد الاعلى المعافري الذي لم يجرؤ القائد العباسي ابن الاشعث على مواجهته . ولما تخلت زناتة عن الأول بسبب ما دب بينها وبين هوارة من خلاف ، أقدم الثاني على مهاجمته وتمكن من القضاء عليه . وحاولت زناتة أن تتصدى لابن الأشعث بقيادة أبي هريرة الزناتي فهزمها هي الأخرى . وقد شاركت زناتة بعد ذلك في حصار عمر بن حفص بطبنة . وكان يقودها المسور الزناتي الاباضي الذي يكون قد انضم الى أبي حاتم مع من انضم اليه من الاباضية . في حصاره للقيروان ، وقد تكون أغلبية أصحاب أبي حاتم من هوارة وزناتة كما كان الامر بالنسبة لأبي الخطاب . وكانت زناتة من القبائل التي اعتنقت المذهب الاباضي في المغرب الأوسط لكن دورها لم يبرز في الدولة الرستمية ، التي تأسست به ، الا في عهد الامام عبد الوهاب بن عبد الرحمن ابن رستم ، عندما تزعم أحد

أفرادها ، وهويزيد بن فندين اليفرني حركة المعارضة المعروفة بالحركة النكارية التي تسببت في قيام حرب أهلية قضى فيها الوهبية على النكار الذين لا يستبعد أن تكون أغلبيتهم من زناتة في وقت بلغت فيه العصبية القبلية ذروتها . كما انحازت فروع هذه القبيلة المنتشرة غرب الدولة الرستمية الى الدولة الادريسية واعتنقت المذهب السني ، وحاولت عبثا حمل الرستميين على الدخول في طاعة الأدارسة ، وربما كانت زناتة التي قامت بهذه المحاولة واصلية المذهب .

أما فروعها التي كانت منتشرة في المناطق الواقعة الى الشرق من تاهرت فقد بقي أغلبها على مذهب الشراة لكنها كانت تمثل مصدر تهديد بالنسبة للتجارة الرستمية الآتية من الشرق ، مما يبعث على الاعتقاد بأن هؤلاء الشراة كانوا نكارا ، ومما يلفت النظر أن نشاط زناتة ضعف في الفترة الواقعة ما بين نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث الهجريين (القرن التاسع الميلادي) ، ولا شك أن ذلك راجع الى أن الحروب الكثيرة التي خاضت غمارها منذ بداية الفتح الاسلامي أنهكت قواها ، فكان لابد لها من راحة تستعيد فيها أنفاسها ، وهذا ما حدث آنذاك ، ولم تستأنف زناتة نشاطها العادي الا بعد قيام الدولة الفاطمية .

ولم تقم زناتة بأي دور في الحركة الشيعية قبل تأسيس الدولة الفاطمية . ومنذ تأسيسها أخذت تتفاعل معها وسببت لها أتعابا كبيرة خاصة في تاهرت والمناطق الواقعة الى الغرب منها حيث تمكن رئيس فرع مغراوة محمد بن خزر ، من قتل القائد الشيعي مصالة بن جبوس الذي كان قد سيطر على نكور وفاس وسجلماسة ، مما يبعث على الاعتقاد بأن ابن خزر كان يمثل أكبر قوة سياسية في تلك النواحي آنذاك بدليل أنه الحق بعد ذلك عدة هزائم بجيش الفاطميين ، مما دفع أمير الاندلس عبد الرحمن بن محمد الى الاتصال به والتحالف معه ضدهم ، لما كانوا يمثلونه من خطر على بلاده ، كما فعل مع الادارسة ومع موسى بن أبي العافية المكناسي ، بعدما نصب نفسه خليفة فاستجاب له الجميع وبايعوه وأخذوا يقاومون الشيعة باسمه .

وقد دخل تاريخ زناتة بالمناطق الغربية مرحلة غموض منذ أواخر أيام عبيد الله المهدي الى أواخر ثورة أبي يزيد اليفرني الزناتي

وقد قاد أبو يزيد حركة نكارية ضد الفاطميين اعتمد فيها ، خاصة في البداية على زناتة . وأخذ يحقق انتصارا تلو آخر حتى وصل الى المهدية وحاصرها ، وكانت القبائل ومن بينها زناتة تأتيه من كل مكان ، ولما فشل حصاره للمهدية كانت زناتة وهوارة آخر من تخلى عنه من أنصاره ، وبعدما هزم جيشه في سوسة وصار الخليفة المنصور الفاطمي يطارده ، لجأ الى بني برزال الزناتيين بجبل سالات وأخذ يتردد عليهم لكنهم ، **في نفس الوقت استقبلوا الخليفة الفاطمي ، عندما وصل اليهم من بعده .**

ولا يستبعد أن يكون عدد كبير من زناتة بقي يحارب الى جانب أبي يزيد في آخر أيامه . وبعد قتله ، حاول ابنه فضل استئناف الثورة ، وسانده في ذلك الامير المغراوي معبد بن خزر أخو محمد بن خزر ، الذي كان مواليا لابيه ، وسرعان ما قضى الفاطميون على فضل وتتبعوا بعد ذلك بني يفرن ثم قضوا على معبد بن خزر . ومما يلفت النظر أن زناتة لم تقف موقفا موحدا من حركة أبي يزيد النكارية ، خاصة في مرحلتها الاخيرة حيث أن محمد ابن خزر المغراوي اتصل بالخليفة المنصور ، وقدم له بعض المساعدات وكذلك ابنه الخير الذي كان أميرا بنواحي الأغواط ، ودخل طاعة المنصور وامتثل لامره القاضي بشن هجوم على سدراتة لأنها كانت تمون أبا يزيد بكيانة فتوقفت سدراتة عن تموينه ، بل ان بني زنداك المغراويين انضموا الى صفوف الجيش الشيعي .

ومما يلفت النظر أن زناتة التي وقفت ضد النكار تنتسب الى فرع مغراوة التي كانت علاقتها سيئة مع بني يفرن المنتشرين في المناطق الواقعة ما بين تلمسان وتاهرت ، فهل هذا ما جعلها تقف ضد أبي يزيد اليفرني ؟

المهم أنه بعد القضاء على ثورة أبي يزيد وعودة الخليفة الشيعي الى عاصمته ، راجعت مغراوة طاعة الناصر الاموي وحسنت علاقتها مع بني يفرن ، لكن ذلك لم يمنع رئيس هؤلاء ، يعلى بن محمد ، من الاستيلاء على وهران منها ، على مسمع ومرأى من الخليفة الاندلسي ، مما جعل محمد ابن خزر يتخلى نهائيا عن طاعته وينحاز الى أعدائه ، في حين اختفت أخبار ابنه الخير فجأة وبقيت السيطرة في المناطق الواقعة غرب وهران ليعلى اليفرني الذي كان على طاعة الناصر ، الى أن قتله القائد

جوهر الصقلي وشرد قومه فانكسرت شوكتهم في المغرب الاوسط ، وهاجروا الى المغرب الاقصى حيث اجتمعوا على يدو بن يعلى .

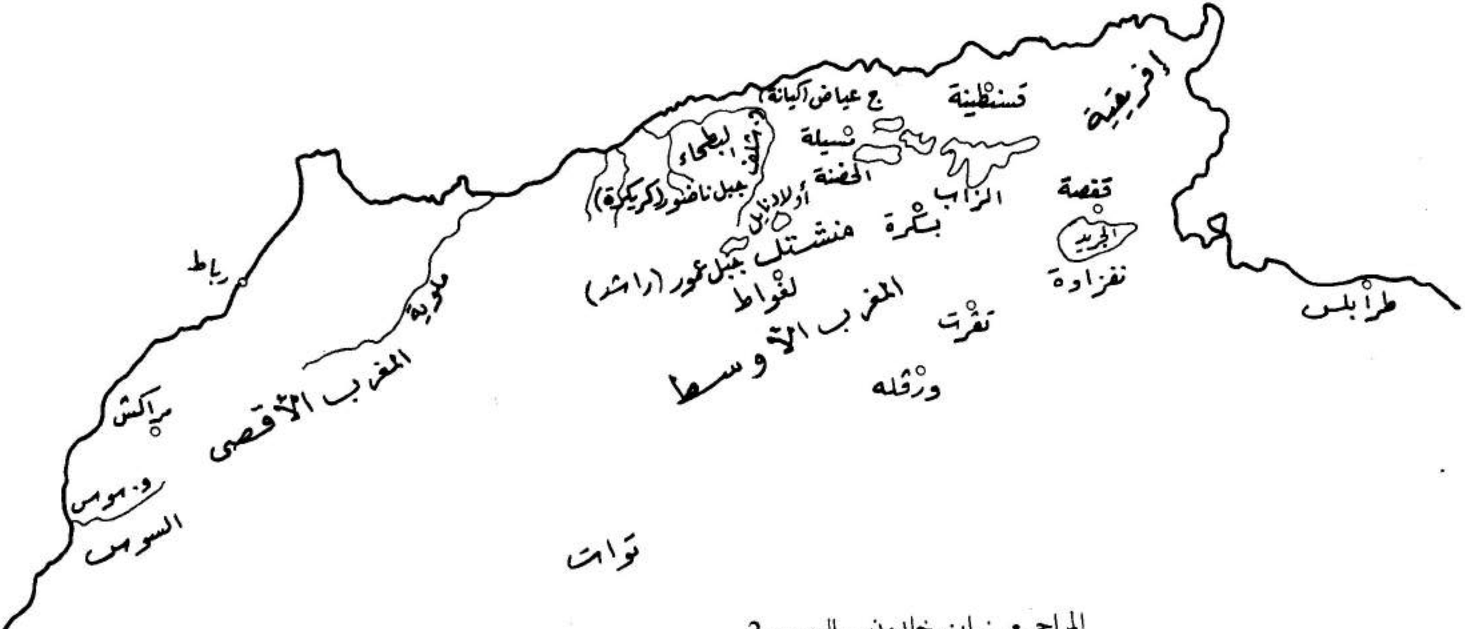
وقد ثارت قبيلة مزاتة الوهبية على الفاطميين في عهد خليفتهم المعز لدين الله بقيادة أبي خزر الزناتي ، فقضوا عليها بسرعة والتفتوا الى أتباع الأمويين الذين كان يتزعمهم محمد بن الخير المغراوي ، فرموه بزيري بن مناد الصنهاجي الذي فاجأه بهجوم اضطره فيه الى الانتحار وتمكن ابنه الخير أن يأخذ بثأره بقتل زيري بن مناد وهزيمة صنهاجة فكلف الخليفة المعز لدين الله بلكين بن زيري ، بحرب زناتة ، فقام بحملة على المغرب الاقصى قتل خلالها الخير بن محمد وبقي يطارد زناتة الى أن استدعاه الخليفة الشيعي لتوليته على الأمور ، قبل رحيله الى مصر ، وبذلك انتقل حكم المغرب الى أسرة بني زيري الصنهاجية .

وتواصل الصراع بينها وبين زناتة بعد رحيل الفاطميين ، وكان التفوق في مرحلته الأولى لصنهاجة التي أجبرت منافستها على النزوح الى المغرب الأقصى لكنها لم تستطع اخضاعها ، بسبب ما كانت تتلقاه من مساعدة حكام الأندلس ، وقد عرف عهد المنصور بن بلكين هدنة ، بين هاتين القبيلتين المغربيتين ، مكنت زيري بن عطية المغراوي من السيطرة على الحكم بالمغرب الاقصى ، لكنه هزم في حرب خاضها ضد المنصور بن أبي عامر ولم يخلصه سوى الفرار الى الصحراء حيث نظم صفوفه من جديد وعاد الى الشمال ثم شرع في شن سلسلة من الهجومات على إمارة صنهاجة التي كان حكمها قد انتقل الى باديس ، فتمكن من الاستيلاء على عدة مناطق منها ، ثم استغل بعض الاضطرابات الداخلية ، وجاء يحاصر أشير في الوقت الذي بعث يفاوض المنصور بن أبي عامر في الصلح ، لكنه مات أثناء ذلك وتولى أمر قومه ابنه المعز فهادن صنهاجة وعقد الصلح مع ابن أبي عامر ، ثم مع ابنه عبد الملك المظفر من بعده فولاه على المناطق الخاضعة للسيطرة الاندلسية باستثناء سجلماسة وبذلك أصبحت تقوم بالمغرب الاقصى ثلاث إمارات زناتية هي : إمارة بني زيري ابن عطية المغراوية بفاس ، وإمارة بني خزرون بن فلفول المغراوية بسجلماسة ، وإمارة بني يعلى بن محمد اليفرنية بسلا ، وتادلة ، وكان هناك ركود في العلاقات بين امارة بني زيري الصنهاجية وبين هذه الامارات ، منذ وفاة زيري بن عطية الى أن

استولى عليها المرابطون ، لكن المناطق الشرقية من بلاد المغرب كانت في نفس ذلك الوقت مسرحا للنزاع بين زناتة وصنهاجة منذ أن ثار فلفول بن سعيد المغراوي على باديس بطبنة ، في نفس الوقت الذي نشط فيه زيري بن عطية ، ثم استولى بعد ذلك على طرابلس وأسس إمارة زناتية صارت تزعج بني زيري في النواحي الشرقية من إماراتهم في الوقت الذي انشغل فيه باديس بتمرد عمه حماد الذي اعترف له المعز بن باديس ، فيما بعد ، باستقلاله على المغرب الاوسط ، وتأسست بذلك دولة بني حماد ، وآل أمر بني خزرون بطرابلس بعد وفاة ورو الى ابنه خليفة فتمكن من مدينتها ، واستمرت المناوشات بعد ذلك بين زناتة وصنهاجة في المغرب الأدنى وشرق المغرب الأوسط ، ولم يقع أي تغيير سياسي ملفت للنظر حتى قدوم العرب الهلاليين الذين أرسلهم وزير المنتصر الفاطمي ، أبومحمد الحسن بن علي اليازوري ، من صعيد مصر ، انتقاما من المعز بن باديس الذي دخل طاعة الخلافة العباسية وقطع علاقته بالدولة الفاطمية ، وهو ما أطلق عليه بالقطيعة الكبرى ، التي انمحى بعدها التشيع من البلاد المغرب وانمحت معه الحركات المذهبية ، ودخل المغرب الاسلامي في مرحلة فوضى استمرت حتى قيام دولة الموحدين .

خريطـــة رقم (1)

مناطق انتشار زناتة في عهد الفتح الإسلامي لبلاد المغرب حسب ابن خلدون



المراجـع : ابن خلدون ـ العبر ج 2

IBN KHALDOUN, *Histoire des Berbères*, trad. de Slane, t. 4, index.

ALBERTINI et autres, *L'Afrique du Nord française dans l'histoire*.

خريطة رقم (2) توغل بلاد زناتة بين جبال القبائل الجزائرية وبين جبال الأطلس المراكشي

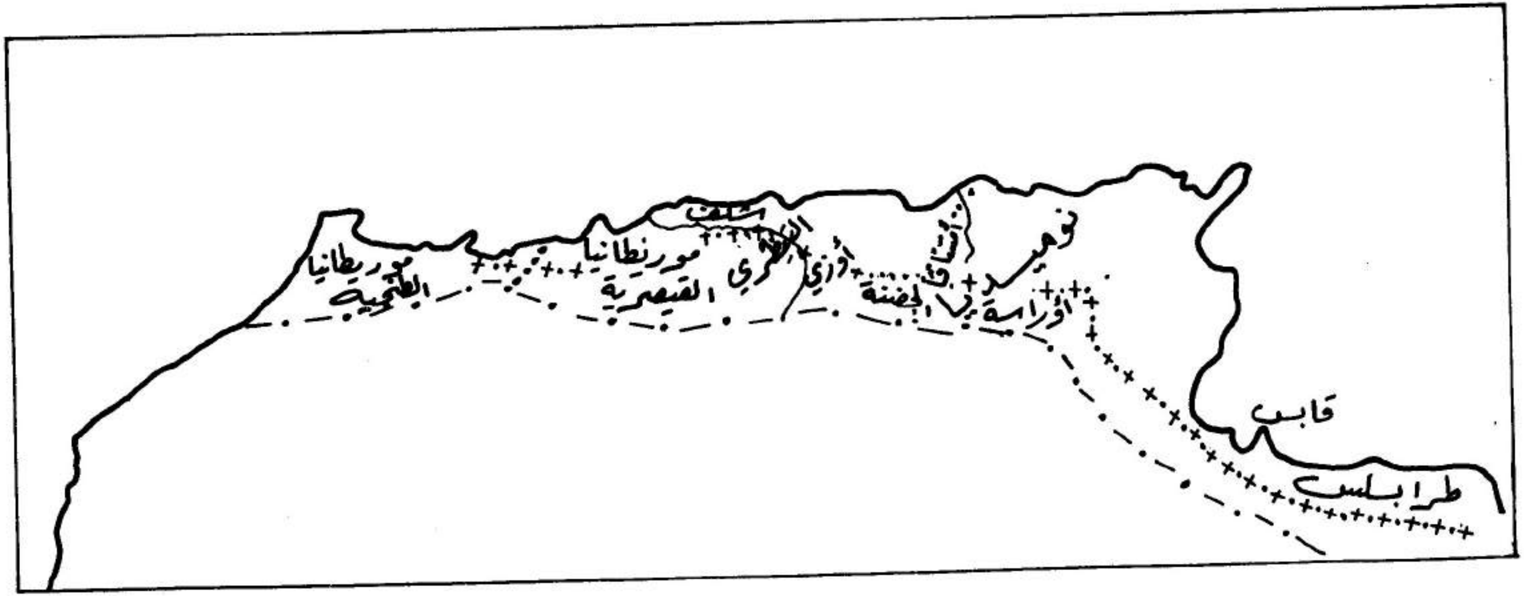


بلاد زناتة

الكتل الجبلية

انظر : DE. - F. GAUTIER, *Les siècles obscurs du Maghreb*, p. 219.

خريطـــة رقم (3) بلاد المغرب في العهد الرومـاني



يمثل الرمز [−.−.−] حسب Demougeot الحدود الجنوبية للاحتلال الروماني في القرن 3 الميلادي أما الرمز [+.+.+] فيمثل الحدود الجنوبية له في نهاية القرن الأول انظر :

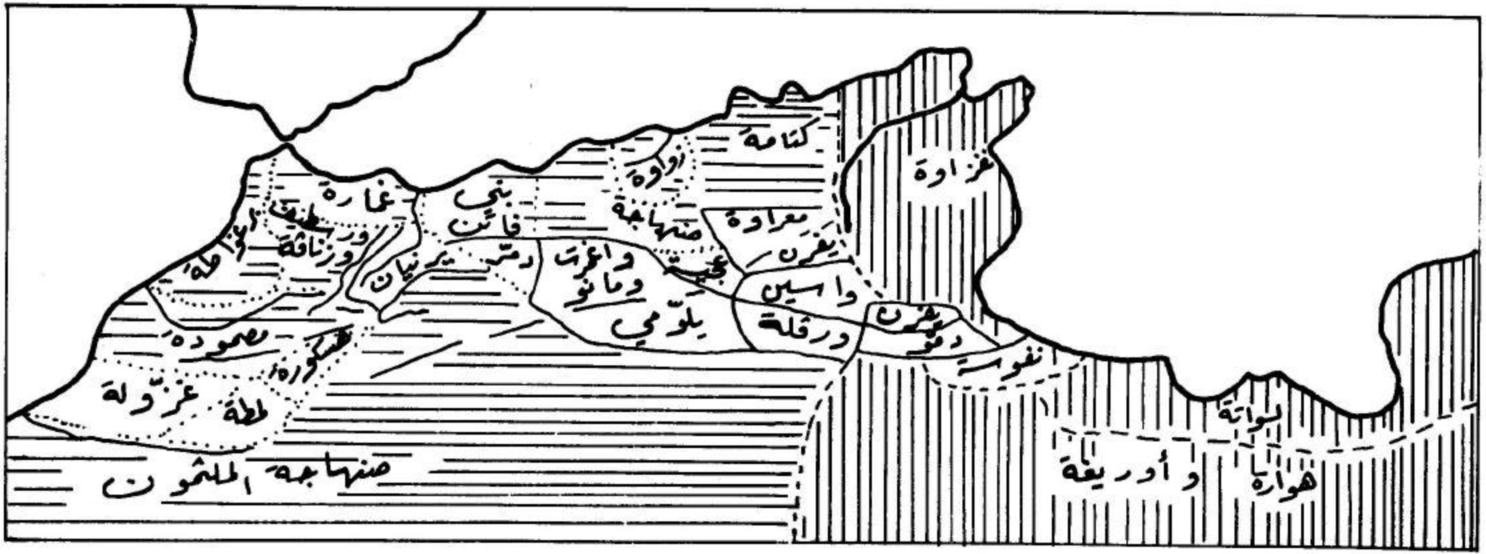
Bulletin de la société d'Alger d'Afrique du Nord, N° 98, 2ᵉ trimestre (1924, p. 143).

وعند مقارنة هذه الخريطة بما ذكره Xavier de Planhol عن تقهقر الاستعمار الروماني

خريطة عرقية تبين مواقع المجموعات البربرية الرئيسية حسب :

DEMOUGEOT. P, *Bulletin de la Société de géographie d'Alger et de l'Afrique du* Nord, N° 98, 2e *trimestre*, (1924).

خريطـــة رقم (4)



بلاد المغرب في القرن السابع الميلادي

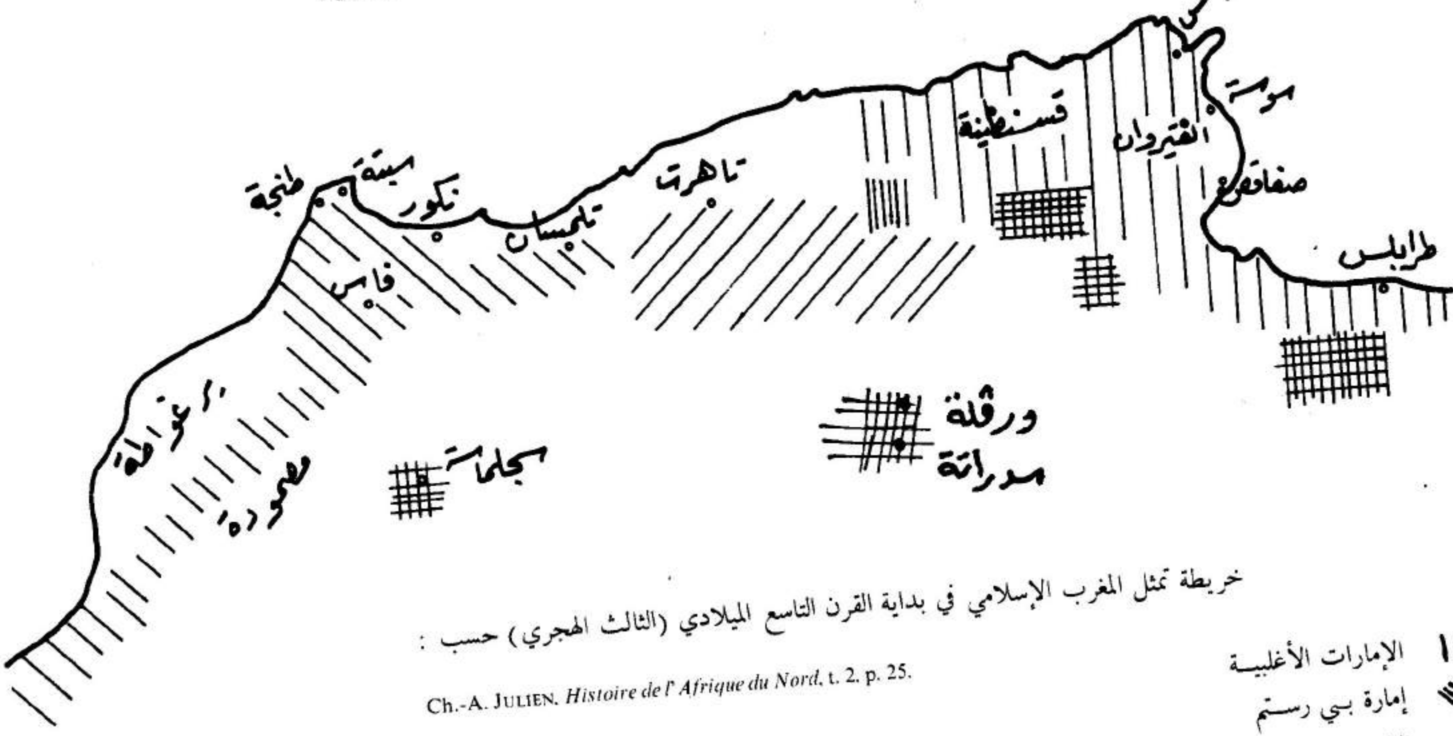
مجموعة لوى أو الشرق (لواتـة ـ هوارة وأوْريغة ـ نفوسة ـ نفزاوة)

مجموعة زناتة أو الوسط (يفرن ـ جراوة ـ مغراوة ـ دمّر ـ واسين ـ ورقلة ـ واغمرت ـ وُمَانـو ويلّومي ـ برنيان)

مجموعة صنهاجة أو الغرب (كتامة ـ زواوة ـ صنهاجة ـ عجيسة ـ بنو فاتن ـ غمارة ـ ور سطيف وزناقة ـ برغواطة ـ مصمودة قرزلة ـ لمطـة ـ صنهاجة الملثمون)

خريطة رقم (5)

المغرب في بداية القرن التاسع الميلادي (الثالث الهجري)



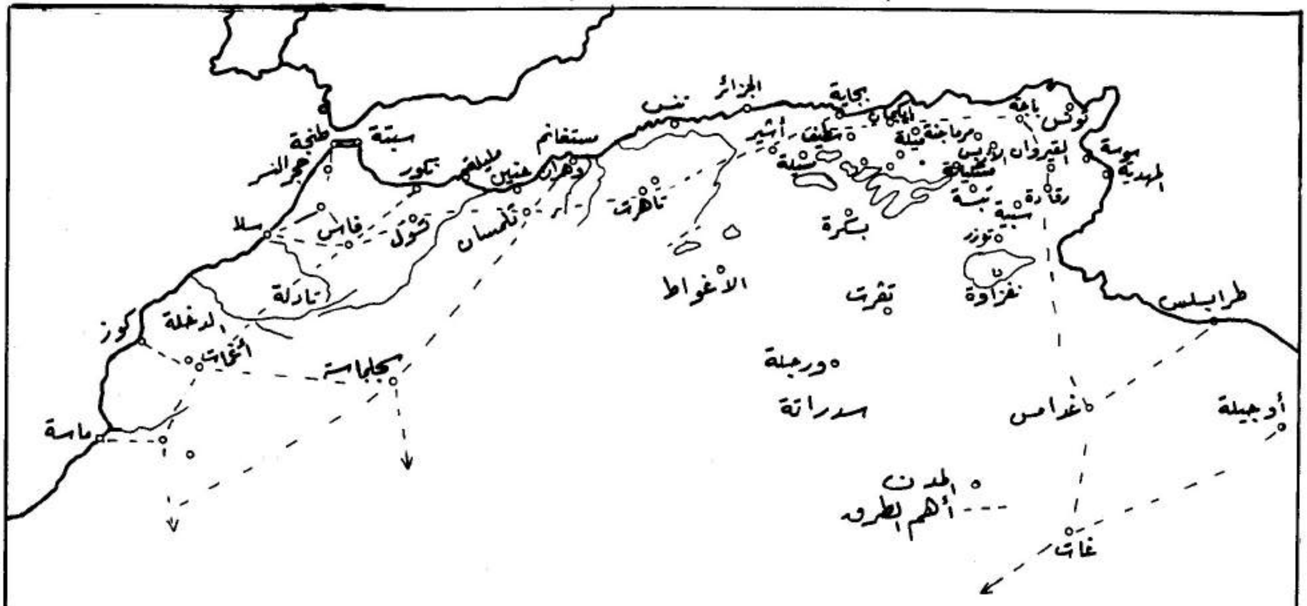
خريطة تمثل المغرب الإسلامي في بداية القرن التاسع الميلادي (الثالث الهجري) حسب :

Ch.-A. JULIEN. *Histoire de l'Afrique du Nord*, t. 2. p. 25.

- الإمارات الأغلبية
- إمارة بني رستم
- الإمارة الإدريسية
- مناطق انتشار الخوارج

خريطة رقم (6)

بلاد المغرب في عهد الفاطميين



المراجع المستخدمة :

LAROUI, *Histoire du Maghreb.*

BRIGNON JEAN et autres, *Histoire du Maroc.*

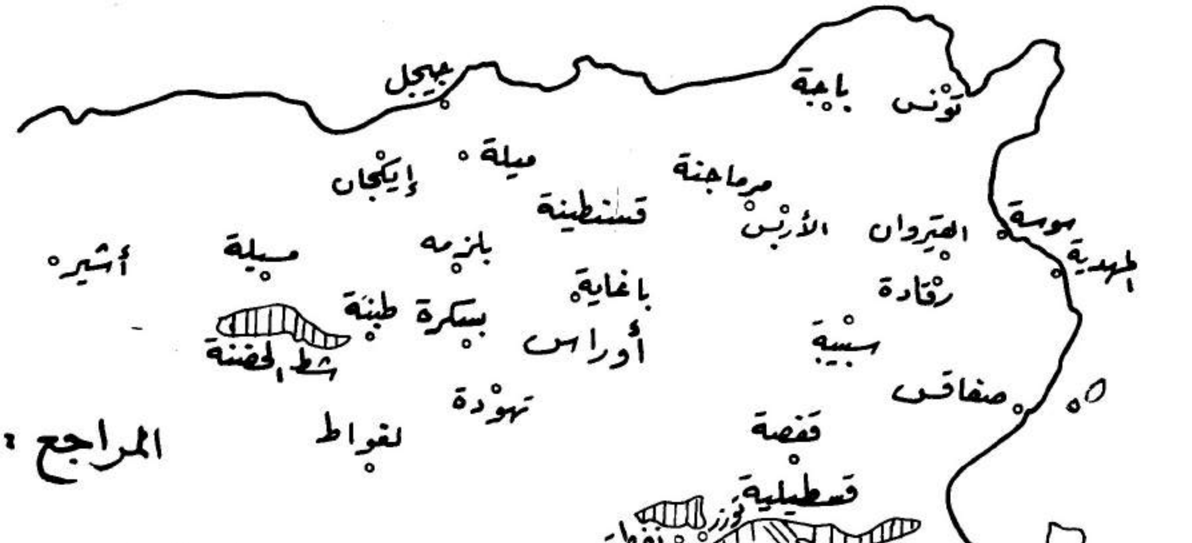
JULIEN Ch. -A, *Histoire de l'Afrique du Nord*, t. II.

ALBERTINI E. et autres, *L'Afrique du Nord française dans l'histoire.*

MERCIER E., *Episode de la conquête de l'Afrique par les Arabes.*

خريطة رقم (7)

المناطق التي شملتها أحداث ثورة أبي يزيد



المراجع :

JULIEN. Ch.-A. *Histoire de l'Afrique du Nord.*

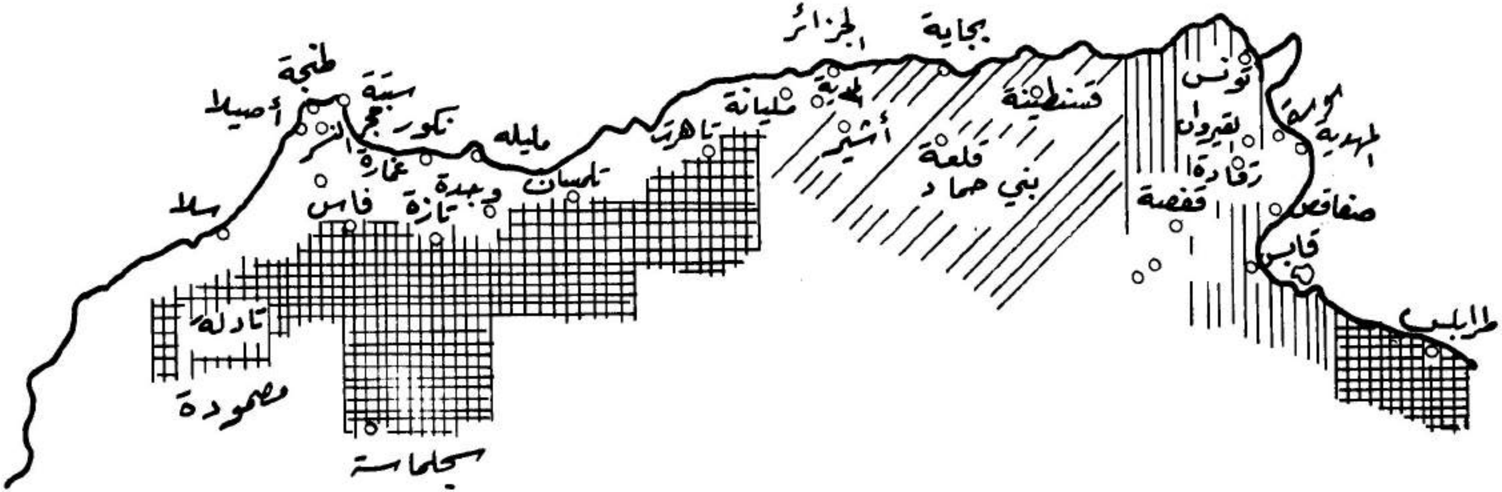
MERCIER E. *Episode de la conquête de l'Afrique par les Arabes.*

ALBERTINI E. et autres : *L'Afrique du Nord française dans l'histoire.*

GANTIER. E. F. *Le passé de l'Afrique du Nord.*

IBN KHALDOUN, *Histoire des Berbères*, trad. t. 4, index.

خريطـــة رقم (8)   بلاد المغرب في منتصف القرن الحادي عشر الميلادي



الإمارة الزيريـــة	▥
الإمارة الحماديـــة	▨
الإمارة الزيانيـــة	▦
ممالك مستقلـة	□

CH.-A. JULIEN, *Histoire de l'Afrique du Nord*, t. 2.   : خريطة مقتبسة من كتاب

البيبليوغرافيا

المصادر والمراجع

1) المصادر والمراجع العربية :

1) **المصادر القديمة** :

1) **ابن الابار** : (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الابار) : كتاب الحلة السيراء ، جزآن ، تحقيق حسين مؤنس ، ط . القاهرة 1963 .

2) **ابن الاثير** : (أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الاثير الجزري الملقب بعز الدين) : الكامل في التاريخ ، 9 أجزاء الطبقة الثانية ، بيروت 1967 .

3) **الادريسي** : (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس الحموي الحسني المسمى الشريف الادريسي) : وصف افريقية الشمالية ، مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، صححه ونشره هنري بيرس ، طبعة الجزائر ، 1957 .

4) **الاصطخري** : (أبو الحسن ابراهيم بن محمد الفارسي) : المسالك والممالك ، تحقيق الدكتور جابر عبد العالي الحسيني ، طبعة الجمهورية العربية المتحدة 1961 .

5) **البرادي** : (الشيخ أبو القاسم بن ابراهيم) : كتاب الجواهر طبعة حجرية بدون تاريخ .

6) **البغدادي** : (أبو منصور عبد القاهر بن طاهر) : الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية منهم ، عرف الكتاب وترجم للمؤلف وصححه وكتب هوامشه محمد زاهد بن الحسين الكوثري ، طبع ونشر ومراجعة السيد عزت العطار الحسيني سنة 1948 م .

(٭) لقد اقتصرت في كتابة قائمة المصادر والمراجع على أسماء الكتب الواردة في الهوامش.

7) **البكري** : (عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمر أبو عبيد) : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب (وهو جزء من المسالك والممالك) نشره البارون دوسلان ، طبعة الجزائر 1957 .

8) **البلاذري** : (أحمد بن يحي بن جابر) : فتوح البلدان ، 4 أجزاء ، نشره الدكتور صلاح الدين المنجد ، طبعة القاهرة 1956.

9) **التجاني** : (أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني) : رحلة التجاني ، تقديم حسن حسني عبد الوهاب ، تونس 1958 م .

10) **ابن تغري بردي** : (جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي) : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، 16 مجلدا (ط . القاهرة) .

11) **الجوذري** : (أبو علي منصور العزيزي) سيرة الأستاذ جوذر تقديم وتحقيق محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي شعيرة ، طبعة دار الفكر العربي بمصر 1954 .

12) **ابن حزم الاندلسي** : (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد) : جمهرة انساب العرب ، تحقيق ا. ليفي بروفنسال ، طبعة القاهرة ، 1948 .

13) **ابن حماد** : (أبو عبد الله محمد بن علي) : أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، نشره (M. Vonderheyden) الجزائر - باريس 1927 .

14) **الحموي** : (أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي) : كتاب معجم البلدان ، 6 مجلدات ، طهران 1965 .

15) **ابن حوقل** : (ابو القاسم النصيبي) : كتاب صورة الارض ، طبعة بيروت (بدون تاريخ) .

16) **ابن حيان** : (ابن خلف أبو مروان حيان القرطبي المسمى بابن حيان) : المقتبس في أخبار بلد الاندلس ، تحقيق عبد الرخمن علي الحجي ، طبعة دار الثقافة بيروت 1965 .

17) **ابن الخطيب** : (لسان الدين) : تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط ، وهو القسم الثالث من . كتاب أعمال الاعلام ، حققه وعلق عليه مختار العبادي والاستاذ محمد ابراهيم الكتاني نشر دار الكتب الدار البيضاء 1964 .

- تاريخ اسبانيا الاسلامية أو كتاب أعمال الاعلام ، الجزء الأول ، تحقيق وتعليق ا. ليفي بروفنسال ، الطبعة الثانية ، بيروت 1956 .

18) **ابن خلكان** : (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان) : وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان . 6 أجزاء ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، طبعة مصر :

- الجزْ الأول (بدون تاريخ)
- الجزء الثاني والثالث 1948
- الجزء الرابع والخامس 1949
- الجزء السادس 1948.

19) **ابن خلدون** : (أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون المغربي) : تاريخ الدول الاسلامية بالمغرب وهو القسم الأخير من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبر بر ومن عاصرهم من ذي السلطان الأكبر ، جزآن ، صححه وطبعه البارون دوسلان طبعة الجزائر 1951 م .

- المقدمة ، الطبعة الثانية ، بيروت 1961 .
- كتاب العبر ، 7 أجزاء : الجزء الثاني طبعة بيروت 1956
- الجزء الثالث 1957
- الجزء الرابع 1958
- الجزء الخامس (بدون تاريخ)
- الجزء السادس 1959.

20) **ابن خلدون** : (ابوزكرياء يحي بن أبي بكر محمد بن محمد بن الحسن بن خلدون) : كتاب بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، نشر وتحقيق الفرد بل ، الجزائر 1903 .

21) **الدباغ** : (عبد الرحمن بن محمد الانصاري المعروف بالدباغ): معالم الايمان في معرفة أهل القيروان ، جزآن ، مجلد أول ، طبعة تونس ، 1320 هـ ـ 1325 هـ .

22) **الدرجيني** : (أبو العباس أحمد بن سعيد) : طبقات المشايخ ، مخطوط مكتبة اطفيش رقم 1955 ـ 4 ـ 70 .

- طبقات المشائخ بالمغرب ، تحقيق وطبع ابراهيم طلاى ، بدون تاريخ .

23) **ابن أبي دينار** : (أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني المعروف بابن أبي

دينار) : المؤنس في اخبار افريقيا وتونس ، تحقيق وتعليق محمد شمام (المكتبة العتيقة ـ تونس) 1967 م ـ 1387 هـ .

24) **الرقيق القيرواني** : تاريخ افريقيا والمغرب ، تحقيق وتقديم المنجي الكعبي ، نشر رفيق السقطي ، تونس (بدون تاريخ) .

25) **ابن أبي زرع** : (أبو الحسن الفاسي) : الانيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، مصححة وطبعه كامل يوحنا تورنبرغ طبعة أويسالة 1948 .

26) **أبو زكرياء** : (يحي بن أبي بكر الورجلاني) : كتاب السيرة وأخبار الأئمة ، مخطوط خاص .

27) **الزركلي خير الدين** : الأعلام 10 أجزاء ، الطبعة الثانية .

28) **السلاوي** : (أحمد بن خالد الناصري) : الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ، 4 أجزاء (بدون تاريخ) .

29) **الشهرستاني** : (محمد بن عبد الكريم) : كتاب الملل والنحل ، جزآن ، مجلدان ، تحقيق كورتر لندن 1842 .

30) **الشماخي** : (أبو العباس أحمد بن سعيد بن عبد الواحد) : كتاب السير طبعة مجرية (بدون تاريخ) .

31) **ابن الصغير** : تاريخ ابن الصغير ، نشره : ; **Ade C. Motylinski** المؤتمر الرابع عشر الدولي للمستشرقين ، الجزء الثالث (تابع) . الجزائر 1905 .

32) **الطبري** : (أبو جعفر محمد بن جرير) : تاريخ الأمم والملوك ، 13 جزاء ، 6 مجلدات طبعة القاهرة 1939

33) **ابن عبد الحكم** : (عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن حيان أبو القاسم) : فتوح افريقية والاندلس ، تحقيق عبد الله أنيس الطباع ، طبعة بيروت 1964 .

34) **ابن عذاري** : (أبو عبد الله محمد المراكشي) : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب 4 أجزاء ، تحقيق ومراجعة ح . س كولات واليني بروفنسال ، طبعة بيروت .

35) **ابن عبد ربه** : (أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي) : كتاب العقد الفريد . شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته ورتب فهارسه أحمد أمين ، أحمد الزين ، ابراهيم الأبياري ، طبعة القاهرة .

- الجزء الأول ، ط . ثانية 1367 = 1948
- الجزء الثاني 1359 = 1940
- الجزء الثالث 1372 = 1952
- الجزء الرابع 1363 = 1944
- الجزء الخامس 1365 = 1946
- الجزء السادس 1368 = 1949
- الجزء السابع 1372 = 1953

36) **الغزالي أبو حامد** : فضائح الباطنية حققه وقدم له عبد الرحمن بدوي ، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة 1383 هـ = 1964 .

37) **أبوالفداء** : (اسماعيل بن علي بن محمود بن عمر بن شاه شاه بن أيوب عماد الدين الايوبي) : تقويم البلدان ، صححة وطبعه رينوه والبارون ماك كوكين ديسلان ، طبعة باريس 1840 .

- كتاب المختصر في أخبار البشر ، 7 أجزاء ، مجلدان ، طبعة دار الكتاب اللبناني ، بيروت 1959 ـ 1961 .

38) ابن الفقيه : (أبو بكر أحمد بن محمد الهمدان المعروف بابن الفقيه) : كتاب البلدان (طبع في مدينة ليدن المحروسة بمطبع بريل 1302 هـ / 1885 م .

39) **ابن القاضي** : (أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن العافية الشهير بابن القاضي) : جذوة الاقتباس ، الطبعة الحجرية فاس 1309 .

40) **القاضي النعمان بن محمد** : رسالة افتتاح الدعوة ، تحقيق وداد القاضي . دار الثقافة بيروت لبنان 1970 .

41) **ابن قتيبة** : (أبوعبد الله محمد بن مسلم المسمى بالقتيبي أوالقتبي الكوفي المروزي الدنوزي) كتاب الامامه والسياسة ، الطبعة الثانية مصر 1957 .

42) **ابن القوطية** : (أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن ابراهيم بن عيسى بن مزحيم

المعروف بابن القوطية القرطبي) : تاريخ افتتاح الاندلس ، حققه وشرحه وعلق عليه عبد الله أنيس الطباع ، طبعة دارالنشر للجامعيين ، بيروت 1957 .

43) **المالكي** : (أبو بكر عبد الله) : رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم وعبادهم ، الجزء الأول ، نشره حسين مؤنس ، طبعة القاهرة 1951 .

44) **المبرد** : (أبوالعباس محمد بن يزيد المبرد) : الكامل ، باب الخوارج ، نسخة محققة ومنحقة ومقارنة مع كافة الاصول ، الطبعة الثانية ، منشورات دار الحكمة دمشق ـ حلبوني 1972 .

45) **ابن مقديش الصفاقسي** : (أبوالثناء الشيخ سيدتي محمود بن سعيد) : نزهة الأنظار، جزآن ، تونس طبعة حجرية 1321 هـ .

46) **المراكشي** : (عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي أبومحمد) : المعجب في تلخيص اخبار المغرب ، ضبطه وصححه وعلق على حواشيه محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي طبعة القاهرة 1949 .

47) **المقري** : (أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن يحي التلمساني المالكي شهاب الدين) : كتاب نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ... ، 4 أجزاء ، طبعة القاهرة 1302 هـ .

48) **المقريزي** : (تقي الدين أحمد بن علي) : اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، تحقيق جمال الدين الشيال : القاهرة 1387 هـ/1967 م .

ـ الخطط المقريزية (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) جزآن ، دار الطباعة المصرية ، 1270 .

49) **ابن منظور** : (أبو الفضل جمال الدين محمد بن بكر بن منظور الافريقي المصري) : لسان العرب ، 15 مجلدا ، الاجزاء الاربعة الاولى ط . بيروت 1955 م = 1374 هـ . الاجزاء الباقية ط . بيروت 1956 م = 1375 هـ .

50) **مؤلف مجهول** : أخبار مجموعة في فتح الاندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بينهم ، طبعة مدريد (Madrid) 1867 م .

51) **مؤلف مجهول** : نبذة تاريخية في أخبارالبربرفي القرون الوسطى (منتخبات من المجموع المسمى بكتاب مفاخر البربر) نشره وصححه ا. ليفي بروفنسال ، طبعة الرباط 1352 هـ / 1934 م .

52) **ابن النديم** : الفهرست لابن النديم ، المطبعة الرحمانية بمصر لصاحبها عبد الرحمن موسى شريف .

53) **النويري** : (أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم البكري التميمي القرشي المعروف بالنويري) : نهاية الأرب في فنون الأدب ، طبعة غرناطة 1917 ، 22 جزء .

54) **اليعقوبي** : (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي المعروف باليعقوبي) : تاريخ اليعقوبي ، جزآن ، مجلدان ، طبعة بيروت 1960 م .

ـ صفة المغرب (مأخوذ من كتاب البلدان ، ليدن ، مطبعة بريل 1861 .

2 ـ **المراجع الحديثة** :

55) **احسان النص** : الصعبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي ، طبعة دار اليقضة العربية .

56) **أحمد أمين** : ضحى الاسلام ، 3 أجزاء ، الطبعة السابعة .

ـ فجر الاسلام ، الطبعة السابعة القاهرة 1959 .

57) **الباروني** : (أبو الربيع سليمان) : مختصر تاريخ الاباضية ، طبعة تونس ، 1357 هـ / 1938 م .

58) **الباروني** : (سليمان بن عبد الله النفوسي) : كتاب الازهار الرياضية في أئمة وملوك الأباضية ، القسم الثاني ـ ، طبعة القاهرة (بدون تاريخ) .

59) **بل الفرد** ، الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي ، ترجمة عبد الرحمن بدمي طبعة بنغازي 1969 م .

60) **جورجي زيدان** : تاريخ التمدن الاسلامي .

61) **حركات ابراهيم** : المغرب عبر التاريخ ، المجلد الأول (من عصر ما قبل التاريخ الى نهاية دولة الموحدين) طبعة الدار البيضاء 1384 هـ / 1965 م .

62) **حسن ابراهيم حسن** : تاريخ الاسلام السياسي والديني والاجتماعي ، 3 أجزاء ، الطبعة الثانية ، القاهرة 1953 م .

ـ الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص ، القاهرة 1932 .

ـ تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسوريا وبلاد العرب ، الطبعة الثانية ، القاهرة 1958 .

63) **حسن أحمد محمود** : حضارة العرب في المغرب والاندلس وصقلية ، نشر دار النهضة العربية 1963 م ـ 1964 م .

64) **حسين مؤنس** : فجر الاندلس ، طبعة القاهرة 1959 .

65) **دبوز** : (محمد علي) : تاريخ المغرب الكبير ، 3 أجزاء ، طبعة القاهرة ، جزء 1 ، 1964 . ج . 2 . 1963 ، ج . 3 . 1963 .

66) **دوزي** : (ر) : تاريخ مسلمي اسبانيا ، الجزء الاول الحروب الأهلية ، ترجمة الى العربية حسن حبشي ، طبعة القاهرة (بدون تاريخ) .

67) **أبوزهرة** : (محمد أحمد) : المذاهب الاسلامية ، المطبعة النموذجية ، القاهرة (بدون تاريخ) .

68) **شلبي أحمد** : التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامنة ، 4 أجزاء ، الجزء الثاني (الدولة الأموية والحركات الفكرية والثورية خلالها) ، الطبعة الثانية القاهرة 1966 .

69) **عبد المنعم ماجد** : التاريخ السياسي للدولة العربية ، جزآن ، الطبعة الثالثة ، بيروت 1966 .

70) **عبد الوهاب بن منصور** : قبائل المغرب الجزء الأول ، طبعة الرباط 1968 .

العدوي : (ابراهيم أحمد) : المسلمون والجرمان ، طبعة دار المعرفة 1960 .

72) **لقبال موسى** : المغرب الاسلامي (منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج سياسة ونظم) نشر مطبعة البعث بقسنطينة 1969 .

73) **محمد كامل حسين** : طائفة الاسماعيلية : تاريخها ، نظمها وعقائدها ، مكتبة النهضة المصرية 1959 .

74) **هويدي يحي** : تاريخ فلسفة الاسلام في القارة الافريقية ، طبعة مكتبة النهضة المصرية القاهرة 1966 .

3 ـ المجـــلات :

75) **ايفانوف** (و) : مذكرات في حركة المهدي الفاطمي ، سيرة الحاجب جعفر وخروج المهدي ، مجلة كلية الآداب بالجامعة المصرية ، المجلد الرابع ، الجزء الثاني ديسمبر 1936 .

76) **التازي عبد الوهاب** : دولة الادارسة وامارة الرستميين الكسراوية والعلاقات السياسية الأولى لمملكة فاس 173 هـ / 709 م ، مجلة دعوة الحق العدد 10 ، السنة 14 ، ذو الحجة 1391 هـ / يناير 1972 م .

77) **ابن تاويت** : (محمد) : دولة الرستميين ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ، المجلد الخامس ، عدد 1 ـ 2 ـ سنة 1957 .

ـ بين أمويي الأندلس والأدارسة ، تطوان (مجلة للابحاث المغربية والأندلسية العدد الثامن ، 1963 .

78) **حسين مؤنس** : ثورات البربر في افريقية والأندلس (بين سنتي 102 هـ ـ 136 هـ / 721 ـ 753 م) مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول (القاهرة) : المجلد العاشر ، الجزء الأول مايو 1948 م .

79) **العبادي** : (أحمد مختار) : سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس ، صحيفة الدراسات الاسلامية في مدريد 1 ـ 2 ، المجلد الخامس سنة 1957 م .

80) **محمود مكي** : الخوارج في الاندلس ، تطوان (مجلة للأبحاث المغربية الأندلسية) العدد الأول سنة 1956 م .

4 ـ دوائر المعارف :

81) دائرة المعارف الاسلامية .

1) كتـــب :

I) ALBERTINI (E.), MARÇAIS (G.), YVER (G.), PRIGENT (E.) : *l'Afrique du Nord française dans l'Histoire*, Edition Archat, Lyon, Paris.

2) ANDRE (P.J.) (Capitaine d'infanterie coloniale) Pierre Redan : l'Islam et les races, tombe second. (Les rameaux, mouvements régionaux et sectes.) Paris 1922.

3) AUGUSTIN BERNARD ET LACROIX (N.) : *l'Evolution du nomadisme en Algérie*, Alger, 1906.

4) BASSET RENÉ : *La zenatia du Mzab, de Ouargla et de l'oued Rir*, Paris, 1892.

— *Recherche sur la* religion des Berbères (Ext : de la « Revue de l'Histoire des Religions », t. 61, 1910.

5) BEL-ALFRED : *La religion musulman en Berbérie*. (esquisse d'histoire et de sociologie religieuse), t. I, Paris, 1938.

6) BOUSQUET (G.H.) : *Les Berbères*, Presse Universitaire de France, Paris, 1957.

7) BREMOND (G.R.) : *Berbères et Arabes*, Paris, 1942.

8) BRIGNON (Jean), *Abdelaziz Amine, Brahim Boutaleb, Guy Martinet, Bernard Posenberger* avec la collaboration de Ouchel Terrasse : *Histoire du Maroc*.

9) CARETTE (E.) : *Recherche sur l'origine et les migrations des principales tribus de l'Afrique septentrionale*, Paris, 1853.

10) CHEIKH BEKRI : *Le Kharidjisme berbère*, (extrait des *Annales* de l'Institut d'études orientales, tome XV, Paris, 1938.

11) DESPOIS (J.) : *l'Afrique du Nord*, Paris, 1949.

12) DOZY (R.) : *Histoire des Musulmans d'Espagne*, tome II, III, Leyde, 1932.

13) EL-ADOUANI : *Kitab El-Adouani ou le Sahara, de Constantine et de Tunis*, Traduction L. Ch. Féraud. Constantine, 1868.

14) FERAUD CHARLES (L.) : *Annales tripolitaines* publiées par Augustin Bernerd, Tunis, 1927.

15) FOURNEL (H.) : *Les Berbères.* (Etudes sur la *Conquête de l'Afrique, par les Arabes*). Paris, 1927.

16) Gautier (E.F.) : *Le Passé de l'Afrique du Nord*, Paris, 1952.

17) GRIGNER (Jules): *Précis historiques des dynasties marocaines*, Casablancas, 1929.

18) GOLVIN (L.), *Le Maghrib central à l'époque des Zirides*, Paris, 1957.

19) GOUVIN (Marthe et Edmond) : *Le Kharidjisme*, Casablanca, 1926.

20) HADY ROGER IDRIS : *La Berbérie orientale sous les Zirides Xé*-XIIé siécle, 2 tomes, Paris, 1962.

21) IBN HAMMAD : *Documents inédits sur Obeïd-Allah*, traduit par M. Cherbonneau, Extrait du *Journal Assistique* n° 7, 1855.

— Documents inédits sur l'hérétique Abou-Yazid-Mokhaled Ibn Kidach de Takdemt, traduit de la «*Chronique d'Ibn Hamed*» par M. Cherbonneau, extrait du journal Assiatique n° 15 de l'année 1853, Paris, 1854.

22) IBN-KHALDOUN : *Histoire des Fatimides*, Appendice N° II, IBN-KHALDOUN : *Histoire des Berbères*, Tome II, traduction Deslane, nouvelle édition Casanova, Paris, 1968.

23) IBN OUDRANE, précis historique de la dynastie des Aghlabites, traduit en français et accompagne de notes par M. Cherbonneau, extrait de la revue de l'Orient de l'Algérie et de colonie, n° décembre 1958.

24) IBN TAGHRI BERDI (Djemal Ed-Din Abou L'Mehasin Yousef) : *En-Nodjoum ez-Zahira* (Extrait relatif au Maghreb.) Traduction. E. Fagnan.

25) JULIEN (Ch. André) : *Histoire de l'Afrique du Nord*, tome II, Paris, 1966.

— *Histoire de l'Afrique Blanche*, Presse Universitaire de France Paris, 1966.

26) LARAOUI ABDELLAH : *l'Histoire du Maghreb*, Paris, 1970.

27) LESCHI LOUIS : *Rome et les nomades du Sahara* central, travaux de l'Institut de recherches sahariennes, 1942, t. I.

28) LÉVI-PROVENÇAL (E.) : *Histoire de l'Espagne musulmane;* III tomes, Paris, 1950.

29) MARÇAIS (G.) : *Les Arabes en Berbérie* (du IIé siècle), Paris, 1913.

— *La Berbérie au* IXÉ *siécle d'après El-Yakoubi.* Extrait de la « Revue Africain » N° 386-387 (1er et 2é trimestre, 1941).

30) MERCIER (Ermest,) : *Episodes de la conquête de l'Afrique par les Arabes, les héros de la résistances berbère*, Kceila, la Kahina, Constantine, 1883.

— *Histoire de l'établissement des Arabes dans l'Afrique septentrionale*, Paris, 1875.

— *Notes sur l'origine du peuple berbère*, t. I, Casablanca, 1949.

31) TALBI MOHAMED : *l'Emirat aghlabide*, Librairie d'Amérique et d'Orient Adrien, Maison-Neuve, Paris. VIé, 1966.

32) TERRASSE (HENRI) : *Histoire du Maroc* (des origines à l'établissement du protectorat français), 2 tomes, Casablanca, 1949.

33) XAVIER DE PLANHOL : *Les fondements géographiques de l'histoire de l'Islam*, Paris, 1960.

2) نشـــرات :

34) CAUVET (Ct.): *Les origines caucasiennes des Touareg*, « Bulletin de la société de géographie d'Alger », 2é trimestre, 1925.

— *l'Origine des Zénata*, « Bulletin Aprovisoire de la société de géographie d'Alger et de l'Afrique du Nord », 2é trimestre, 1942.

35) DEMOUGEOT RAYMOND : *La Berbérie de la conquête romaine à la conquête arabe*. « Bulletin de la société de Géographie d'Alger et de l'Afrique du Nord ». N° 98. 2é trimestre. 1924.

36) PEYRONNET (Raymond) : *La Berbérie de la conquête romaine à la conquête arabe*. « Bulletin de la société de géographie d'Alger et de l'Afrique du Nord N° 98. 2é trimestre. 1924.

37) TERRASSE (Henri) : *La politique des califes de Cordoue au Maroc* (Extrait du « Bulletin de l'enseignement public du Maroc ») n° 179-1944), Rabat. 1944.

3) مجـــــلات :

38) LEBLANC (E.) : *Antropometrie et caractère morphologique des Zenata sahariens*, « Revue antropologique », 44è Année, n° 10-12, octobre décembre. 1934.

39) LE TOURNEAU (Roger) : *Le Maghreb d'antan a-t-il connu des révolutions ?* « Revue de l'Occident musulman et de la Mediterranée », n° 5 1er et 2è semestre, 1968.

40) MONTGOMER (Watt) :. *L'influence de l'Islam sur l'Europe médiévale*. « Revue des études islamiques, tome XL, 1972.

41) RINN (L) : *Essai d'études linquistiques et ethnologiques sur les origines des Berbères*. « Revue Africain », 1886, 1887, 1889.

42) TAUXIER (Henri) : *Ethnographie de l'Afrique septentrionale au temps de Mahomet*, « Revue Africaine », 1863, 1864, 1886.

43) UN GROUPE D'INSTITUTEURS : *L'Afrique du Nord musulmane*, 2é, numéro spécial de l'Ecole républicaine, année 1950-1951.

4) حوليـــات :

44) DEMOUGEOT (E.) : *Le chameau et l'Afrique du Nord romaine*, « Annales E.S.C. (économies, sociétés et civilisations), mars-avril 1960.

45) IBN EL-ATHIR : *Annales du Maghreb et de l'Espagne*, traduction : E. Fagnan, Alger, 1898.

5) دوائر المعارف :

46) *Encyclopédie de l'Islam* : 1re et Nelle édition.

47) *Supplément de l'Encyclopédie de l'Islam.*

6) مقـــالات :

48) GUEY : *Notes sur le romain de Numides et le Sahara au* IVè siècle, Ecole française de Rome (mélange d'archéologie et d'histoire) LVIè année, 1939.

7) مـذكـــرات :

49) GSELL (S.), : *La tripolitaine et le Sahara* au IIIè siècle de notre ère. Memoire de l'Institut academique de France, tome 43, I re partie, Paris, 1933.

8) الاطـــالس :

50) GSELL (S.) : *Atlas archéologique de l'Algérie*, Edition spéciale des cartes au 200 000è du Service géographique de l'armée, Alger Paris, 1911.

51) HERMANN KINDER ET WERNER HILGEMANN : *Atlas historique de l'apparition de l'homme sur la terre à l'ère atomique*, édition française, librairie Stock, 1968 (l'adaptation française du texte a été dirigé par Pierre Mougeot).

9) مـؤتمـــرات :

52) BEL ALFRED : *Note de sociologie religieuse*, IIé congrès national des sciences historiques, Alger 14-16 avril 1930.

53) IBN SAGHIR : *Chronique d'Ibn Saghir sur les imams restemides de Tahert*, XIVé congrés international des orientalistes, Alger, 1905, IIIé partie, *suite*, Paris, 1908.

10) معـــاجم :

54) DEZOBREY et BACHELET : dictionnaire de bigraphie. d'histoire et de géographie. des antiquites et des institutions. 2 volumes, 2 tomes. 11ème édition. Paris. 1895.

فهـرس الموضوعـات

الموضوع : الصفحة

طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية
وحدة الرغاية ـــ 1985